هذا كتاب المقابسات

لأبي حيان التوحيدي

المتوفى سنة ٤٠٠ هجرية

وقد اهتم على طبعه لندرة وجوده الذي جمع المكارم واجتنب المخازي الميرزا محمد ملك الكتاب الشيرازي دام علاه

آمين



المعظم اليك نرغب بما انت اهله ومظنته ومعروف به ونلتمس منك ما انت واجده وقادر عليه ومامول فيه فهب بجودك وجد لنا روح القلب بنور العقل وسكون البال ببصيرة النفس ورخاء العيش بدرك الرزق وصلاح الحال بقابض الخير وصواب القصد بثبات العقد وبلوغ الغاية بصحة العزم ونيل المراد بلزوم الصبر وبعد الصيت بحسن السيرة ويشايع برضى الطريقة وفاش النعم بتراتب الحمد و سلامة العاقبة بحيد عن الهوى واكف من اللسان فلتته ومن الهوى فتنته ومن الشر خطرته ومن الرأي غلطه ومن الغضب خبطته ومن الطباع سورته ومن النفس علوته ومن الامر روعته ومن العدو سطوته وحسن معاندة الحق ومجانبة الصدق وشراسة الخلق وملازمة الخلق والثقة بالعلم والبحث بالجهل والاستعانة باللجاج والاخلاد الى العاجلة والخفوق مع كل ريح واتباع كل ناعق حتى نوحدك بسرائر سليمة من الشرك ونقدس لك بالسنة نقية من الهجر ونتوجه اليك بقلوب صافية من الدغل ونعبدك عبادة نقية من الريا خالصة بالمحبة ونستجيب لك في كل سهل وعسير ونستريح اليك في كل قليل وكثير ونحتمل فيك الاذى من كل صغير وكبير وحتى ان ما حرمنا من المال والثروة تخفيف عنا وما رزقنا من الحكمة تشريف لنا وحتى نعتقد انك لم تسد الى احد من خلقك الا ما هو لايق بالاحتيال والا ما هو اخذ باوفر الانصباء من تمام جودك وسابغ نعمتك وحاضر صنعتك انك الله العزيز الحكيم الجواد الكريم الرؤوف الرحيم الملك الله حاتك واعز قدرك واكرم مثواك وقرن النجح بسعيك وضاعف مناجح فضلك وادامها لك وذب عنها ما يكدرها عليك لم يذهب علي خطلي في البدار الى رسمك والشروع الى طاعتك بما شرفت اليه وحصصت عليه من تصنيف اشياء من الفلسفة ويتهالك ونشرتها عليك وخلطت بها رغبتك فيها وتشاطك لاقتنايها واضافتنا اشياء اخر تجري معها وتدخل في طرازها وتقوي عهدها وتدل على شرف جوهرها وانا عدمتها عن مشايخ العصر الذي ادركته والزمان الذي لحقتهم فيه والله ما الموس عن جمعتها في كتاب واهديها اليك في اقرب وقت على اليسر وجه الا العمر ان هذه الدنيا واختلاف احوال اهلها وتقلب ظلالها وانيابها وخبث نجومها وانوايها وقلة يقظة ابنائها

وابنائها وانحطاط بعد رتبة باهلها وفساد حال بعد حال على المتعلقين بحبلها الى البيت لمن عهد الناس
في عواقبها فقد اصبحنا في هذه الدار كانما هي تاج املس او ثرا ثوب خلق لا يبقى من يرضى هديه ويقتبس
علمه او يخطب عرفه او يقتفى جوده او يقتدح زنده او يستفاد لفظه او يتوخى مكانه او يعرف حاله بالادب
من لا ادب عليه او يباشر بوجه من الوجوه اليه وما ذاك الا لتخلل القلوب ودخل الاعراق وخلو الدين
وقلة الحمية ولين نقاع المراقبة وسقوط الهيبة ورفض السياسة والتبجح بالفحشاء والنكر ولعمرى ما
زالت الدنيا على هيئتها المعروفة وعاداتها المألوفة ولكن اشتدت مؤنتها وتضاعفت زينتها اليوم بفقد
السائس الصارم وبعدم العابد العالم وبانقراض اهل الحياء والتكرم وبتصالح الناس على التعادى و
التظالم ولله جل وجهه وتقدس اسمه في هذا الخلق غيب لا يعرف مآبه ولا يفضى بابه ولا يقع القياس
عليه ولا يهتدى الاحساس اليه ومن اجله سقط الاعتراض ووجب التسليم والانقياد ودع هذا فهو
سلم طويل وفضاء عريض بل ما اخرجت حاجتك الى هذه الغاية مع تقاضيك بالتعريض والتصريح
وللماحك بالغلاة والحثى وتلطفك بالتشفيع بعد التشفيع الا الظن بانها تزيف على نقدك وتنبهرج
بتقليبك ويبدو عوارها لعينك وتعيبه عليها وتحى من بينك من اجلها ما شئت من طعنتك ولا تمتك في
السكوت ابقاك الله امان من هذا كله وليس القلم كاللسان ولا الخط كالبيان ولا ما يذهب مع الانفاس
كما يبقى ويسم بين الناس فهذا واشباهه يقص جناح العزم ويغض طرف النشاط ويقطع جم
الهمة ويكذب رائد الطمع ويلجلج لسان الرأى الى ان قال لى بعض من اثق بخلته واستنير
بمشورته واستقبل مقاصدى برأيه ينبغى ان تأتى لعمل ما اقترحه فلان لو شرفك به وتخف الى مراده
وتعلم ان ابتدار الامر رشد واثرة وجمال وزينة وليس في نشر غرائب هؤلاء المشايخ ونقل
كلامهم عليك مؤنة ولا مشقة فادحة ولا كلفة شديدة ان لم تبلغ فيها ذروة الخاصة لم تقع منها الى حضيض
العامة بل ان لم يرد ما تحكيه عنهم رونق لفظ وبهاء وصف وتقريب بعيد وايضاح مشكل لم ينقص
حظه من الحقيقة التى اليها انتهت المطالبة وعليها وقفت الارادة فخفض عليك وخفف عنك فما
بالامر كل هذه الصعوبة ولا بك كل هذا التبرم وقال ايضا قد علم الصغير والكبير ان كل انسان
يتنفس برئته ويبشق بانفه ويبتاع بساعده ويسبق الى غايته ويعمل على شاكلته ويجرى على قدر علمه
ونيته واجتهاده فهب هذا قوة ولكن مدخولة وافدا على نشاطا ولكن ضعيفا فاقبلت على ما
عرفتك من عللى وضيق صدرى وفقد انسى وانشاد من صحبى ما تألفت ما شرد منها وانظر الى ما
انتثر عنها وارقع بجهدى وطاقتى شملها واحلى بوسعى واستطاعتى عطلها ومن بذل لك
مجهوده فقد حرم عليك ذمه ومن سعى الى مرادك شوطه فقد استحق منك ثوابه هذا في اوائل
التعارف وفواتح التناصف وارجو ان لا اعيس بين ارادتى الخير لك واحتمالك بالكرم على ان شاء الله
عز وجل

مقايسة

سمعت ابا سليمان المنطقى يقول بالاعتبار تظهر
الاسرار وبتقديم الاعتبار يصح الاختيار ومن ساء نظره لنفسه قل نصحه لغيره وكما تنظف الانية
من وسخ ما جاورها ولابسها وضر ما خالطها ودخنها التشرب فيها ولتنظر اليها وتستصحبها

وتحفظها ولتكون غنيا بها ولتزيدها الاطاهرة نقية مجلوة ومتى لم تجد هالك ذلك منها وكرهتها في نفرت وطرحتها لان طبيعتك لاتساعدك عليها ونفرتك لاتزول منها واباؤك لايفارقك من اجلها وتشمريك لا تذهب من شناعة منظرها وكذلك فاعلم انك لاتصل الى سعادة نفسك وكمال حقيقتك وتصفية ذاتك الا بتنقيتها من درن بدنك وصفايها من كدر جبلتك وصرفها عن جملة هواك وفطامها عن ارتضاع شهوتك وحسمها عن الضراوة على سوء عادتك وردها عن سلوك الطريق الى هلكتك وتلفك وثبورك واضمحلالك فاسعد ايها الانسان بما تسمع وتحس وتعقل فقد اردت لحال نفيسة ودعيت الى غاية شريفة وهيئت لدرجة رفيعة وحليت بحلية رايعة وتوجت بكلمة جامعة ونوديت من ناحية قريبة

مقابسة اخرى

هذه مقابسة دارت في مجلس ابي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني وعنده ابو زكريا الصيمري والنوشجاني ابو الفتح والعروضي ابو محمد المقدسي والقومسي وغلام زحل وكل واحد من هؤلاء امام في شانه وفرد في صناعته سوى طائفة دون هؤلاء في الرتبة وهم احياء بعد فاستخلصتها جهدي ورسمتها في هذا الموضع وقد كادت تضيع في جملة تعليق كثير ضاع استعجلت منه الحسرة والاسى ومن حق العلم وحرمة الادب وذمام الحكمة ان يتحمل كل مشق دونها ويصبر على كل شديد في اقتنائها وتحصيلها ولا انسب فضلا الى واحد منهم بعينه لان الكلام بينهم كان يلتف ويلتبس وكانت المباهاة والمنافسة يدخلان فيه ويظهران عليه وينالان منه وهذا من ذوي الطبايع المختلفة معروف ومن اصحاب التنافس معتاد ولو استنبت القول بين سائل ومسؤل لحكيت الحال مقربا ومبعدا ومصوبا ومصعدا ولكن الامر على ما عرفتك فكن عاذري عند خلل تراه ابيت ان تكون شاكري عند صواب تظهر عليه ان شاء الله تعالى قيل لم يخل علم النجوم من الغاية والثمرة وليس علم من العلوم كذلك فان الطب ليس على هذا ابل الناظر والشادي منه والكامل من اهله يقصد بالطب استدامة الصحة ما دامت الصحة موجودة وصرف العلة اذا كانت العلة عارضة وكذلك النحو الذي قصد به الماهر فتق المعاني وصحة الالفاظ وتوخي الاعراب واعتياد الصواب ومجانبة اللحن على حد ودما في غرايز العرب وطبايعها وسلايقها وكذلك الفقه الذي قصد به صاحبه اصابة الحكم واقتضاب الفتيا وايجاب الحق ورفع الخلاف واقناع الخصم وحسم مواد التنازع ورد اهله الى الرضى والتسليم وكذلك الشعر الذي منتهاه قايم في نفس صاحبه ثابت في قريحته يجيش به صدره ويجود به طبعه ويصبح عليه فوه من مدح مامول وترقيق غزل وهجو مسيئ واستنزال كريم وتوشية لفظ وتحلية وزن وتقريب مراد واحضار خدعة واستمالة غرير وضرب مثل واختراع معنى وانتزاع تشبيه مع تصرف في الاعاريض بين وقيام بالقوافي ظاهر وتحصوله حاظر وفايدته عامة ونتيجته منجلية وثمرته دانية وغبه محمود وجدواه موجودة تبر صحة المعاملة وقامت الدولة وحرس الملك وجبي المال وامن الغبن وقام الديوان وقوي السلطان وقرت الرعية واستفاضة السيرة واستمرت القضية هذا الى اسرار فيه عجيبة وغوامض ترجع اليه شريفة وخواص لاتوجد لغيره غريبة وكذلك البلاغة التي قد علم صاحبها وطالبها ما

يتهوّا اليه ويقف عليه من تمييز لفظ وتزويق غرض وتغطية مكشوف وتعمية معروف واحضار بيّنة واظهار بصيرة واختصارات و
تفليل ماث وتالف شارد وتسكين مارد وهداية متحير وارشاد متبلّع واقامة حجة وارادة برهان واستعادة مريد وتطبيب
قول في عتب وتسهيل طريق في اعتاب وتهنية مسرور وتسلية محزون وتلهية عاشق وترغيب راغب ونصح من غرض وحسم
مادة من طمع وقلب حال عن حال حتى تضم بها امور منتشرة وتلم بها اصول منخرطة وتستنزل بالاقوال مصالحة وتستمال بها خيرات تاية
وتجلب نيرات ملتهبة ولا الصناعات عليها كالهندسة في شرفها والهيئة في علو رتبتها وجد وجوده هذه العلوم بديعة وفوائد ظاهرة ولبعض هذا
القدر ما اتيا على حقائقها ولكنه منته الى موضع المسألة والبحث عنها فقد وضح لكل ذي حس مقيد وعقل ماد ورأي صحيح وذلك صحيح ان
هذه العلوم كثيرة المنافع عامة المصالح حاضرة المرافق وان الناس لو خلوا منها وعروا عنها لتشتت نظامهم وانقطع قوامهم وكانوا نهبا
للكايد وحيارى طول الابد ولنس علم النجوم كذلك فان صاحبه وان استقصى وبلغ الحد الاقصى في معرفة الكواكب وتحصيل مسيرها واقترانها
ورجوعها ومقابلتها وتربيعها وتثليثها وتسديسها وصعودها وهبوطها ومواضعها من بروجها واشكالها ومناظرها ومطالعها ومنازلها
ومقاربها دلالة حتى اذا حكم احكاما بانها ما تحقق واذا حقق جزم وانا جزم ختم فانه لا يستطيع البتة قلب عين شيء ولا صرف امر الى امر
ولا نقض حال قد حدث ولا نفي حالة قد كتبت ولا دفع سعادة قد اوجبت ولا طلب اعتق امرا لا بد على ان يجعل الا قامة سعيا ولا الهزيمة
ظفرا ولا العقد حلا ولا الابرام نقضا ولا الاياس رجاء ولا الاحقاق دركا ولا القعد وصلا ولا الولي عدوا ولا العدو قريبا ولا
القريب بعيدا او هذا الباب طويل والحديث فيه فنون وشجون وكان العالم المنجم في شؤم المتناهي في صناعته بعد هذا التعب والنصب
وبعد هذا الكد والداب وبعد هذه الكلفة الشديدة والمؤونة الغليظة مستسلما للمقدار ومستخدى بما يأتي به الليل والنهار
وعادت حاله مع علمه الكبير وبصيرته النافذة الى حال الجاهل بهذا العلم الذي انقياده كانقياده واعتباره كاعتباره ولعل توكل
الجاهل به احسن من توكل العالم ورجاؤه في الخير المتوقع والشر المتوقى اقوى وارجح من رجاء هذا الذي يزجيه وحسابه وتقويمه
واسطرلابه قالوا ولهذا روي ان الموبذ لقي ماشاء الله فقال له انت تخاف زحل وانا اخاف رب زحل وانت ترجو
المشتري وانا ارجو رب المشتري وانت تغدو بالاستشارة وانا اغدو بالاستخارة فكم بيننا **قال** وهذا انوشروان
كان من المتقدمين الافاضل روي عنه انه كان لا يزيغ بالنجوم فقيل له في ذلك فقال صواب شبيه بالحدس وخطاؤه شديد على
النفس هكذا ترجم وهو كما ترى قال فصح اقتضى هذا الفاضل النحرير والحاذق البصير الى هذا الحد والغاية كان علمه عاريا
من الثمرة خاليا من الفائدة حائلا عن النتيجة لا غاية ولا مرجوع وان امرا اوله على ما قررنا وآخره على ما ذكرنا لحري بان لا نشتغل
الزمان به ولا يوضع لعمر له ولا يعار الهم والفكر ولا يعاد عليه بوجه ولا بسبب هذا اذا كانت الاحكام صحيحة ومدركة محققة و
مصانه ملحقة ومعروفة محصنة ومن يحكي المذهب ما زعم ارباب الكلام والذين يأبون تأثير هذه الاجرام العالية في هذه الاجسام
السافلة وينفون الوسائط والوسائل ويدعون الفواعل والفوائد لحقلت حطك الله المسئلة بعد نسق الكلام فيها و
وميتها جهدي من اولها الى آخرها بطولها وعرضها ودخلها ومخرجها ولا شك في اطراف زلت عني بعد اختلافها واقتباسها
وقد تقصيت الجواب عنها على وجه الاجتهاد في الاعراب عنها في هذا الموضع ببلغ وسعي فاني بعد فاتني لا اطرف بها وبعي
زيادة لا يطيق متن الكلام لا بها وكلتاهما خطة صعبة لولا كلف النفس بالعلم ومحبتها للفائدة لكان الاضراب عنها ادنى
عن العرض واصوب للمقدار وابعد من استثقال اللائمة من لعله لو اتفق بهذا المقدار لكان عندي عظيم المنة حقيقا
بالشكر والمحمدة فاول ما قيل في ضد هذا الكلام هذه العلوم والمعارف كلها من آثار هذه الاجرام العلوية وسهام المواطن
السريعة والبطيئة والمتوسطة على اشكال صحيحة دائبة واسباب على الطبيعة جارية ثم رجع الى الجواب فقال عن هذا لا

المسئلة على هذا التهويل جوابان مختلفان من وجهين مختلفين احدهما هو زجر عن النظر فيه لئلا يكون هذا الانسان مع ضعف
تخيلته واضطراب غريزته وانفتات طينته وانبتات مريرته عن ربه جاثيا متكبرا على عباده ظانا بانه ماق فى شانه قائم بحيلة و
قدرته وحوله وقوته وتشميره وتقليصه وتحبيره وتدبيره فان هذا النظر يحجز الانسان عن الخشوع لله القدير والاذعان
لربه وبينه عن التسليم لمدبره ويحول بينه وبين طرح الكاهل بين يدى من هو املك له واولى به واما الجواب الاخر فهو
بشرى عظيمة على نعمة جسيمة لمن حصل له هذا العلم وذلك يجب لو اطلع عليه وسمع لو وصل اليه لكان ما يحيله الانسان فيه من الركوع
والراحة والخير فى العاجلة والاجلة يكفيه مؤنة هذا الخطب الفادح ويهينه عن تجشم هذا الكد الكادح فاجعل ايها المفكر نظر
هذا العلم بدل غيبك ما يخفى عنك خفيه لكونه مثلا لله تقدس اسمه فيما استبان لك معلومه وصح عندك مظنونه
ثم قال اعلم ان العلم حق ولكن الاصابة بعيدة ولا كل صواب معروفا ولا كل محال موصوفا وانما كان العلم حقا والاجتهاد فى طلبه
صلفا والقياس فيه صوابا والسعي فيه محمودا الامتثال هذا العالم السفلى بذلك العالم العلوى واتصال هذه الاجسام
القابلة بتلك الاجرام الفاعلة واستحالة هذه الصور بحركات تلك المتحركات المتشاكلة بالوحدة واذا صح هذا الاتصال والتشابك
وهذه الحبائك والربط صح التاثير من السفلى بالمواصلات الشعاعية والمناسبات والاحوال الخفية والجلية واذا صح
التاثير من المؤثر وقبوله من القابل صح الاعتبار واستتب القياس وصدق الرصد وثبت الالف واستحكمت العادة
وانكشفت الحدود وانثالت العلل وتعاضدت الشواهد وصار الصواب غامرا والخطأ مغمورا والعلم جوهرا راسخا
والظن عرضا زائلا ثم تشقق الكلام فى وجوه مختلفة حتى كاد لا يحصل منه ما يكون تلو المسئلة والجواب ولما زل ازرق و
انفث واغزل وانكث حتى تظرت هذا الذى يمر بك فى هذا المكان على تنافر كثير وتعاند شديد وبين اول واخر
وصدر وعجز وسلامة ودخل واقتباس واقتباس فمن جملة تلك وحرمته لمن قيل هل تصح الاحكام ام لا تصح لكان من
حصول الجواب قال قائل الاحكام لا تصح باسرها ولا تبطل من اصلها وتلك ليست بالهوينا اذا انعم النظر ونشط
للاصغاء ومهد نحو الفائدة بغير متابعة الهوى وايثار التعصب لان الامور الموجودة على ضربين ضرب له الوجود
الحق فالامور الموجودة بالحق قد اعطت الباقية نسبة من جهة الوجود وانحجبت منها حقيقة ذلك فلما كان لا
الفاحص عن هذه الاسرار ان اصاب فبنسبة الوجود الذى لهذا العالم السفلى من ذلك العالم العلوى وان
اخطا فبما فات هذا العالم السفلى من ذلك العالم العلوى والاصابة فى هذه الامور السيالة المتبدلة عرض والاصابة
فى امور الفلك جوهر وقد يكون هناك ما هو كالخطاء ولكن بالعرض لا بالذات كما قد يكون ههنا ما هو كالصواب فى الحق
ولكن بالعرض لا بالذات فبهذا صح بعض الاحكام وبطل بعض الاحكام وما يكون ايا اشد الهدا الفصل وشاهدا قويا ان هذا العالم
السفلى مع تبدله فى كل حال واستحالته فى كل طرف ولمح متقبل لذلك العالم العلوى شوقا الى كماله وعشقا لجماله وطلبا
للتشبه وتحقيقا بحلو ما امكن من شكله فهو يحق التقبل يعطى هذا العالم السفلى ما يكون مشابها للعالم العلوى
ومن هذا الباب يقبل الانسان الكامل من البشر من الملك ويقبل الملك من البارى وكذلك تقبل الطبيعة للنفس
النفس للعقل والعقل للبارى **قال** اخر وانما وجب هذا التقبل والتشبه لان وجود هذا العالم وجود متهافت
مستحيل لا صورة له ثابتة ولا شكل دائم ولا هيئة معروفة وكان من هذا الوجه فقيرا الى ما يمله ويشده واما سنخه
وسوسه فهو موجود ثابت مقابل لذلك العالم الموجود الثابت وانما عرض ما عرض لان احدهما مؤثر والاخر
قابل فبحق هذه المرتبة ما وجد التباين وبحق تلك المرتبة ما وجد التواصل **وقال** اخر وقد يجعل مع هذا

لعلم النجوم اعتبار حركات كثيرة من اجرام مختلفة فلا انه يعجز عن نظمها وتقويمها ومزجها وتسييرها وتفصيل احوالها
وتحصيل خواصها مع بعد حركة بعضها وقرب حركة بعضها وبطئها وسرعتها والتفات صورها والتباس مقاطعها و
تداخل اشكالها وعن الحكمة في هذه الاعتقال ان الله تقدس اسمه يميز بذلك القدر المفصل والقليل الذي لا يؤبه
له والكثير الذي لا يحاول البحث عنه امر الركون في حساب الفلق ولا يثما علموا فيه القياس واختلط بالتقدير والتوهم **قال** و
ههنا حكم هذا الحاذق في صناعته بهذا الملك وهذا الماهر في علمه لهذا الملك ثم يلتقيان فتكون الدائرة على احدهما
مع شدة الدفاع وصدق المصاع هذا وقد حكم له بالغلب والظفر فالى في هذا الموضع النوشجاني انما يوجي احد الحاكمين
لاحد الملكين لا من جهة غلط في الحساب ولا قلة مهارة في العمل ولكن يكون في طالع من يصيب ذلك الحكم ويكون في
طالع ذلك الملك لا يصيب منجمه في تلك الحرب فيقتضي حاله حال صاحبه يحول بينه وبين الصواب ويكون الآخر مع
صحة حسابه وحسن ادراكه قد وجب في طالع نفسه وطالع صاحبه ضد ذلك فيقع الامر الواجب ويبطل الآخر الذي ليس بواجب
وقد كان النجمان من جهة العلم والحساب اعطيا الصناعة حقها وقاما عليهما وتفاموقفا واحدا على غير مزية بينة
ولا علة قائمة **قال** ابو سليمان ما احسن هذا وطالما يسكت عن هذه المسئلة فانقضت عن جوابها قالوا ولولا هذه
الشيمة المذمنة والغلبة المستترة التي استأثر الله بها لكان لا يعرض هذا الخطأ مع صحة الحساب وقوة النظر وشدة الغوص
وتوخي المطلوب وتبع غلبة الهوى والميل الى المحكوم له وهذه البقية دائرة في امور هذا الخلق فاضلهم وناقصهم وسعيدهم وشقيهم
وفي دقيقها وجليلها وصحيحها وذلولها ومن كان له من نفسه باعث على التصفح والنظر والتمييز والاعتبار وقف على ما
او ما يأتي اليه عن كثب وسلم من غير منكد ولا متعب ثم قيل والحكمة جليلة ضرب الله دون هذه العلل بالاسداد وطوى
حقايقه عن اكثر العباد وذلك ان العالم بما سيكون ويحدث ويستقبل علم خلق للنفس واتم عند العقل فلا احد الا و
هو يتمنى ان يعلم الغيب ويطلع عليه ويدرك ما سوف يكون في غد ويجد سبيلا اليه ولو دل السبيل الى هذا الفن لرأيت
الناس يهرعون اليه ولا يؤثرون سبيلا اخر عليه لحلاوة هذا العلم عند الروح ولصوقه بالنفس وغرام كل احد به و
فتنة كل انسان فيه فبحمة من الله لم يفتح هذا الباب ولا انكشف من دونه الغطاء حتى يرتقي كل احد وضعه وليلزم حده و
يرقب فيما هو اجرى عليه وانفع له اما عاجلا فقد علمت ان علم ما يكون احب الى جميع الناس من كل فقه وكلام وادب و
هندسة وشعر وحساب وطب لان هذه رتبة الاهية وهي الفاصلة الكبرى فطوى . الله عن الخلق حقايق الغيب
فتر لهم نبذا منه وشيئا يسيرا يتعللون به ليكون هذا العلم محروما عليه كسائر العلوم ولا يكون ما نفاعن غيره **قال**
ولولا هذه البقية التي فضحت الكاملين واعجزت القادرين لكان تعجب الخلق من غرائب الاحاديث وعجائب العروض
وطرايف الاحوال عبثا وسفها وتهكما على الله ولهوا ولعبا **ثم قيل** وهذا يتوضح بمثال وليكن ذلك المثال ملكا في زمانك
وبلادك واسع الملك عظيم الشان بعيد الصيت شايع الذكر معروفا بالحكمة مشهورا بالحزامة متصل اليقظة قد صح عنه
انه يضع الخير في موضعه ويوقع الشر في موضعه عنده جزاء كل سيئة وثواب كل حسنة قد رتب له بلياء واصلح للاولياء
له وكذلك نصب لجباية اموال الناس بره وكذلك لعمارة الارض انفض الناس بها وانصحهم فيها وشرف اخر بكتابته
لحضرته واخر بخلافته ووزارته في حضره وسفره اذا نظرت الى ملكه وجدته موزونا بسداد الرأي ومحمود التدبير و
اولياؤه حواليه وحاشيته بين يديه وكل يخف الى ما هو منوط به ويستقصي طاقته فيه ويبذل وسعه دونه والملك
يأمر وينهى ويصل ويوعد ويحل ويعقد وينظم ويبدد ويعد ويوعد ويرعد ويبرق ويقدم ويؤخر ويخلع ويهب

ويعاقب ويثيب ويفقر ويغني ويحسن ويسيء ويقلد مامر صغيرا وليائه وكبيرهم ووضيع رعاياه وشريفهم وتدبير الناس
فاعلم ان الراي الذي يتعلق بامر كذا وكذا اصدره من الملك الى كاتبه لانه من جنس الكتابة وعلائقها وما يدخل في شرايطها و
وثابتها والراي الاخر صدره الى صاحب بريده لانه من احكام البريد وفنونه وما يجري في كليته والامر الاخر القي الى صاحب المعونة
لانه من جنس ما هو مرتب له ومنصوب من اجله والحديث الاخر صدره الى القاضي لانه من باب الدين والحكم والقضاء في كل
هذا اسلم اليه ومعصوم به لا يفتات عليه في شيء ولا يستبد بشيء دونه فالاحوال على هذا كلها جارية على اذلالها وقواعدها في
مجاريها لا تزال متماشية بغير تكلم ولا يرتقي الى ما ليس من حليته وهكذا ما عدد جميع ما عددناه باسمه وحكينا برسمه فلو وقف رجل له من الحزم
نصيب من الفطنة قسط على هذا الكلام العظيم على هذا الملك الجسيم وسلك فكره وبثه وجمع همه فيه وتصفح كلا حالا وحسب
شيئا شيئا وقدر امرا امرا وتامل بابا بابا وتخلل شيئا شيئا ووضع ضعفا ضعفا وتعقب وجها وجها لامكنه ان يعلم ما يتم له بهذا النظر
ويسره هذا القياس ويصله هذا الحدس ويقع عليه هذا الامكان لما يستعمله هذا الملك غدا ويسلبه بعد غد وما ينقله
به الى شهر وما يكاد يكون منه الى سنة وسنين لانه على الاحوال ملتا ويجملها جملها ويقايس بينها قياسا وينقط من الناس لفظا
لفظا ولحظا لحظا ويقول في بعضها يترك كذا وكذا او يفعل كذا وكذا وهذا يكون كذا وكذا وانما جرت هذه الجراة على هذا الحكم
والبت لانه قد ملك لحظ الملك ولفظه وحركته وسكونه وتمريضه وتصريحه وجده وهزله وسجيته وتجعده واسترساله و
وبيمه وتثاقله وانقباضه وانبساطه وغضبه ورضاه ونادره ومعتاده وسفره وحضره وبشره وقطوبه ثم يتجسس في
نفس هذا الملك يوما هاجس ويخطر بالخاطر فيقول اريد ان اعمل عملا واوثر اثرا واحدث حالا لا يقف عليها اوليائي
ولا المطيفون بي ولا المختصون بقربي ولا المتعلقون بحبالي ولا احد من اصدقائي والمتبعين لامري والمصيخين لانفاسي
والمترقبين لطاسي ونفاسي ولا ادري كيف اقترحه لاني متى تقدمت في ذلك بشيء الى كل من يلوذ بي ويطيف بنا حتى
كان الامر في ذلك نظير جميع اموري وهذا هو الفساد الذي يلزمني تجنبه ويجب على المتيقظ فيه فيقدح له الفكر الثاقب
والذكا اللاهب انه ينبغي ان يتاهب للصيد ذات يوم ليتقدم بذلك ويديمه ويطالب به فياخذ اصحابه وخاصته
في اهبة ذلك واعداد الالة فاذا تكامل ذلك له اصحر للصيد وتشوف له وتطلب في البيداء وصمم على بعض ما يلوح له وامعن
قبله وركض خلفه جواده وشدد في طلبه بلاده ونهى من معه ان يتبعه حتى اذا اوغل في تلك الفجاج الخاوية والمدارج
المتنائية وتباعد من متن الجادة وواضح المحجة صادف انسانا فوقف عليه وحاوره وفاوضه فوجده حصيفا محصلا
يتقلد فهما ويتقلد افهاما وقال له افيك خير فقال نعم وهل الخير الا في وفضلي ولا امعن لقالي ما بدالك وخلني وذاك
فقال له ان الواقف عليك والمكلم لك ملك هذا الاقليم فلا ترع واهدأ ولا تقلق فيتنكر له عند سماع هذا ويتلو السعاة
فيضمني لك والحلاطمعك علي فيقول له الملك اني اريد ان اصطنعك لا ريب في نفسي واملك بك ان بلغت ذلك لي واريد
منك ان تكون عينا على نفسك زكية وصاحبا لي نصوحا فقبل لي بذلك مجهودك ووسعك والموسري عن مساع لي
فضلا عما خلا ذلك فاذا بلغ منه غاية الوثيقة والتوكيد القى اليه بحجرته وبجرته وبعثه على السعي والنصح وتحري الرضى وصاه
بما احب واحكمه وازاح علته في جميع ما يتعلق المراد به ولا يتم الا بحضوره ثم ثنى عنان دابته الى وجه عسكره واوليائه و
لحق بهم وتعلل بقية النهار في فضاء وطرد من صيده ثم عاد الى سريره في داره ومفزع في ملكه وليس عند احد من
رهطه وبطانته وغاشيته وحاشيته وخاصته وعامته علم بما اندا سره الى فلان الكهل الصحراوي وبما حادثه فيه
الناس على سكناتهم وغفلاتهم حتى اصبحوا ذات يوم عن حادث عظيم وامر جسيم وشان هايل وعارض محير وكل

قويا

عند ذلك يقول ما اعجب هذا من فعل هذا امتى تهيأ لهذا من ارتصد لهذا من انتصب لهذا وكيف تم هذا لصاحبه البريد و
ليس عنده منه اثر وهذا صاحب المعونة وهو من الخبرة بمعزل وهذا الوزير الاكبر وهو متحير وهذا القاضي وهو متفكر وهذا
حاجبه وهو ذاهل وكلهم عن الامر الذي دهم مشغول وهو عنده عجيب وقد قضى الملك ما رامه وادرك حاجته واصاب فلتته وبلغ
غايته واخذ ثاره ونال اربه كذلك ينظر صاحب النجم الى زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر والى البروج وطباعها
والراس والذنب وتقاطعها والهيلاج والكدخداه والجوزهر وما الى هذا وتجاربه وكان له فيه نتيجة وثمرة فيحسب ويمزج ويركب
ويقلب عند اشياء كثيرة من سائر الكواكب التي لها حركات بطيئة واثار مطوية تنبعث بما اعقلها واهملها وامضى بعده ولم يتسع له ما
يملك عليه حسه وعقله وفكره ورويته حتى لا يدري من حيث اتى وكان من اين دهي وكيف استمر عليه الامر واشتد دونه الطلب
وفاته المطلوب وغرب منه الراي هذا ولا خطأ في الحساب ولا تقصير في الحق وهذا كله لان الله عز وجل في الامور ويعلم انه مالك
الدهور وملك الخلق وصاحب له وراعي والمواقيت والعالم على كل نفس والقائم عند كل نفس انه اذا شاء نفع واذا شاء ضر
اذا شاء عافى واذا شاء اسقم واذا شاء اغنى واذا شاء افقر واذا شاء احيا واذا شاء امات وانه كاشف الكربة والمونس في الغربة وانه
الجليل القهار ومالك الازمة ليس فوق يده يد وهو الاحد الصمد على الابد والسرمد وكنت سمعت ابن ... العروضي يقول قديما
بمكة وكان شاهد شيئا من الحكمة وعرف ذروا من حديث الاوايل فقال هذه الامور وان كانت منوطة بهذه العلويات مربوطة بالفلكيات
عنها تحدث وبحركتها تنبعث فان في عرضها ما لا يستحق ان ينسب الى شي منها الا على وجه التقريب قال ومثال ذلك ملك له سلطان في
ونجدته ويجد كل احد ما هو لايق به وما هو ناهض فيه فيولي مثلا بيت المال خازنا امينا كافيا ثم ما يفرقه على يده يجمع على يده ثم ان
هذا الملك قد يضع في هذه الخزانة شيئا لا علم للخازن به وقد يخرج منها شيئا لا يقف الخازن عليه ويكون هذا منه دليلا على الكمال
واستبداده وعلى تصرفه وقدرته الى هاهنا كان كلام العروضي ومثله هذا وان كان نظير المثل الاول فانه شاهد له وجار معه في قبيل
ايتلاق عرض الانسان الذي كان بين اوليك المشايخ ما هو زاجر عن تعاطي هذا العلم ومانع عن التحقيق بباب الحكم لان علم النجوم
وصاحب الشغف بالاحكام يريد ان يقف على حدث الزمان في مستقبل الوقت من خير وشر وخصب وجدب وسعادة و
نحس وولاية وعزل ومقام وسفر وغم وفرح وفقر ويسار ومحبة وبغض وجاه وصلاح وعافية وسقم والفة وشتات وكساد
ونفاق واصابة واخفاق وراحة ومشقة وقسوة ورقة وتيسير وتعسير وتمام وانقطاع والتيام وانصداع وافتراق واجتماع
انفصال وابتات وحياة وممات وهو انسان ناقص في الاصل زايد في الفرع لا ترتفع نقصانه في الاصل لان نقصانه بالطبع وكماله بالعرض
وهذه الحال الملحوظة بالشبح المزوقة بالطين قد بارع باريه وجارى بجريه ونازع ربه وتتبع غيبه وتوغل علمه وتقلد حكمه وعادى
ما الكريم الله نابتة هذا العلم وقصرت قوته عن الانتفاع به والاستمتاع من ثمرته واضافه الى من لا يحيط بشيء منه ولا يحلى بشي في باب
النفس والقهر وجعل غاية سعيه فيه الخيبة ونهاية علمه منه الحيرة وسلط عليه في صناعته الظن والحدس في الحيلة والزرقة الكذب
والحتل ولو شئت لرويت من ذلك صدرا وهو مثبوت في الكتب ومنشور في المجالس ومتداول بين الناس بلغاتهم واشباه
حط وتبتروبه وعلى عقبيه ليعلم انه لا يعلم الا ما علم وانه ليس له ان يتعطى بما علم على ما جهل فان الله لا شريك له في غيبه
ولا منازع له في ربوبيته وانه يونس بالعلم ليطاع ويبلد ويوحش بالجهل ليفزع اليه ويقصد عز وجل لا الها وتقدس شانه
اليه وتعالى معتمدا عليه وهذا كما ترى قال العروضي قد يقوى هذا العلم في بعض الدهر حتى يشغف به ويدان بتعلمه تبوءا
سماويه وشكل فلكي فيكثر الاستنباط والبحث وتستبد العناية والفكر فتغلب الاصابة حتى يزول الخطأ وقد يضعف هذا العلم
في بعض الدهر فيكثر الخطأ فيه لشكل اخر يقتضي ذلك وحتى يسقط النظر فيه ويحرم البحث عنه ويكون الدين حافظ الطبيعة الكون

بهو قد يعتدل الامر فيه مرة اخرى حتى يكون التطابق وزن الصواب والصواب في نقد الخطاء وتكون الدواعي والصوارف متكافية
ويكون الذين لا يحث على طلبه كل الحث ولا يحظر على طالبه كل الحظر **قال** وهذا اذا صح تعلق الامر كله بما يتصل بهذا العالم
السفلي من ذلك العالم العلوي فاذن الصواب والخطأ محمولان على القوى المنبثة والانوار الشايعة والاثار الرايعة والعلل الموجبة
والاسباب الموافقة **ورايت** ابا سليمان يرتضي بهذا القول ويميل الى هذا الرأي **قال** النوشجاني انما القوم لخصوا الكلام
وقربوا البغية فان لا طائل مسئلة عن القابلة ومسئلة الفطنة والفهم هل تصح الاحكام فقال غلام زحل ليس عن جواب
بتسبب على كل وجه مقبل ولم وبين قال لان صحتها وبطلانها متعلقات باثار الفلك وقد يقتضي شكل الفلك في زمان
لا يصح منها شيء وان غوص على دقايقها وبلغ الى اعماقها وقد يتحول ذلك الشكل فيجيء زمان لا يبطل منها شيء فيه وان
قويرب في استدلال وقد يتحرك هذا الشكل في وقت آخر الى ان يكثر الصواب فيها ويتقاربان ومتى وقف الامر على هذا الحد لم
يثبت على قول قضاء ولا وثق بجواب فقال ابو سليمان هذا الحسن ما يمكن ان يقال في هذا الباب وهو الذي من كلام الشيخ
ابي محمد قيل بعد هذا كله فاما الجواب الذي هو كالبشرى بفائدة هذا العلم وثمرة هذه الحال على ما تقدم من قول من قاله
الجماعة فهو ما ختم به هذه المقابسة ان شاء الله تعالى وانما احيز في الرواية قليلا لان كلام القوم اختلط اختلاطا مانعا من اداء ما
جرى على ذلك كنهه وخاصته بعضه بالطول وبعضه بالتحريف وبعضه بالدقة والغموض وبعضه بالكناية والتعريض ولولا
اني خلعت الحياء خلعا وتصديت للوم تصديا في تحرير هذا الكلام على ما به من اضطراب اللفظ وانتثار المعنى وزيغ التأليف
وتراجع الحكاية لكان ذلك كله منسيا في جملة ما نسي ومغمورا في غمار ما جهل وفائتا في عرض ما فات والعلم حرسك الله
وحشي والحكمة نفور والبيان حرون والبلاغة ظنون والجهل مصاحب والسفه طباع والعزوف والقلب شعاع وعلى
ذلك فقد نفقت في هذا الكتاب ما ان لم تكن فائدة لغيري لم يعد ان تكون تذكرة لنفسي وتبصرة لمن يعرف ومعتبرا الى
الله نشكو قسوة تلوح في ايثار الصدق وتحقيق العقل وتصفية الخلق وما قد حل بنا ونزل بساحتنا من فقد الناصر واسلام
المعين فنحن كما قال القايل افتضحنا فاصطلحنا **قال** بعض الحاضرين ان الله تعالى وتقدس لما اخترع هذا العالم ونضد
مراتبه وحسنه وشعبه ونظمه وهذبه وقومه واظهر عليه البهجة وابطن في اضعافه الحكمة وحققوا بكل ما طلبا العقول
تصفحه ومعرفته وحشاه بكل ما حاشا النفوس الى تقليبه والتعجب من اعاجيبه واهتم الارواح بمحاسنه واوصافه واستخرج
اسرار ثم حرك اوليك عليها حتى استثارتها ولقطتها واجتلتها وعشقتها وولهت عليها لانها عرفت بارئها وخالقها
ولاحظها وواضعها وصانعها وناصرها وحاشدها وحافظها وكافلها ثم انه تبارك وتقدس خرج بعض ما فيها ببعض وركب
بعضه على بعض ووصل بعضه من بعض ونسج بعضه في بعض وقام بعضه من بعض واحال بعضه الى بعض بوسائط من اشخاص
واحساس وطبايع وانفس وعلوم وعقول وتصرف في ملكه بقدرته وحكمته لا بعيب الفضل ولا بفعل الاختيار ولا مردود
الحكم ولا بمحجوب الذات ولا محدود الصفات وهو سبحانه مع هذا كله لم يستفد شيئا ولم ينتفع بشيء بل استفاد منه كل
شيء بحسب مادته المنقادة وصورته المعتادة ولم يتثبت بشيء وثبت به كل شيء ولم يختص بشيء وحضي به كل شيء فهو الفاعل
القادر والجواد الواهب والمنيل المفضل والاول السابق والواحد المطلق فلما كان الباحث عن العالم العلوي يتصفح حكمه
ومعرفة اماكنه واثاره ومواقعه واسراره متعرضا لان يكون متشابها للباري متناسبا له بهذا الوجه المعروف استحال ان
يستفيد بعلمه كما استحال وبطل ان يستفيد خالقه بعلمه لان عقله لصق به وحكمه لزمه وجليته بدت منه وصفته عادت
عليه وهيئته تعلقت هذه حال اذا فطن لها واشرف عليها ببصيرة ثاقبة وتحقق حقيقتها وتولى الخبرة ينسى ما فيها

علم اضطرارا عقليا انها اجل واعلى وانفس واسنى وارفع واوفى واعظم وازكى وادوم وابقى من جميع فوايد ساير العلوم
التي جازها اليك العالمون لان اولئك اعطوا فوايد علومهم فيما حفظ عليهم حال الانسان وخلقه ومادته وشهوته واخلاقه في
اجتلاب نفع ودفع ضر ونقصت رتبتهم مشاكهة ومناسبة والتشبه بخاصيته والتحلي بحليته وكذلك خبر الله بقصصهم في
علمهم بفوايد نالوها ومنافع اخبروها واوطار قضوها بسببها فاما من اراد معرفة هذه القضايا والاسرار في هذه الاجرام
والانوار على ما هيئت له وعيبت عليه ونظمت به ورتبت فيه وزينت بمحاسنه فهو حري جدير ان يجري من جميع ما وجد منا
كل علم من المرافق والمنافع على ما اتسع القول به في فاتحة لهذه المقايسة وينفرد بحكم من رتبتها على ما هو عليه غير مستفيد به الا
غاية ولا جدوى وهذه لطيفة متى وقف عليها حق الوقوف وتقبلت حق التقبل كان المدرك لها اجل من كل قلب ان عرى بها
بشرية صارت الاهية وجسمية استحالت روحانية وطينية انقلبت نورية ومركب عاد بسيطا وجزء حال كلا وهذا امر
قل ما يهتدى اليه ويتنبه عليه ثم اني بعد هذا الكلام **قلت** لابي سليمان في خلوة ايها الشيخ تكررت في هذه المسألة كلمات
ما فيه بشعة مانية مكروهة لا اراها تسلم او تسلم قال ما هي قلت مثل قول القايل متشاكها له ومناسبا اياه ومثل قول بعضهم
المتشبه به وحكم له مرة وحلية بدت منه وصفة عادت عليه **قلت** لعمري ان تقديس الباري يحق هذا الكلام ويذهب به ويطرح حكمه
بغيره ولكن اذا عرفه واشار اليه وكنى عن ربوبيته وافصح عن الاهيته لم يجد بدا من هذه الكلمات التي هي الطف ما في ملكه
واشرف ما في قوته والمراقي التي هي فوق المرام التي تتراسل بين الخلق في عباراتهم واشاراتهم لكنها استعارة في حريم التوحيد
وحرم المعرفة مرفوعة المقادير عما يلابسها ويليها ويفسدها ويحيلها على عادة اهل اللغات في الاسماء والصفات والحروف
والاحداث وانما يوحى الى هذه الغايات بهذه العبارات ايماء لانها تفوت ذرع القول كما تفوت ذرع العقل وتسبق ظن
الفكر كما تسبق وهم المستشعر وهذا اضطرار اشترك فيه جميع اهل اللغات فيعتقد اخبارهم عن الحقيقة الا من كانت معرفته من
جنس معرفة العامة واستبصاره من قبيل استبصارها وعبارته في طريق عباراتها والعامة لا توحيد لها ولا حقيقة
معها ولا مبالاة بها **قلت** لابي سليمان في هذا الموضع حصل لنا في هذه المسألة جوابان احدهما زجر عن النظر في هذا
العلم على ما ال الشرح فيه والاخر على هذه الفايدة التي تكاد الروح تطير معها طربا عليها فعلى ايهما نعتقد فساد
احد الجوابين وهو ما نهي من التبصر فيه والاخذ بالحظ الوافر فيه ليكون الجواب الاخر صحيحا مع الوجوب الحق فقال الجوابان صحيحان
وذلك ان ههنا انفسا خبيثة وعقولا ردية ومعارف خسيسة لا يجوز لاربابها ان يشتغلوا بالحكمة ويتطاولوا الى غرايب
الفلسفة فالنهي صرف من اجلهم وهو حق والحال هذه الحال فاما النفوس التي قوتها الحكمة وبلغتها العلم وعدتها الفضايل و
عقدتها الحقايق وذخرها الخيرات وعمارتها المكارم وهمتها المعالي فان النهي لم يتوجه اليها والعيب لم يوقع عليها كيف يكون
ذلك وقد بان بما تكرر القول فيه ان غاية هذا العلم اجل غاية وثمرته احلى ثمرة ونتيجته اشرف نتيجة فليكن هذا كله كافيا من سوء
الظن وكافيا لك عما وقع القول فيه مبسوطا بين هؤلاء السادة الجحاجحة في الفهم والعلم والبيان والنصح **هذا** ابقاك الله
آخر ما نقلت به من حكاية هذه المقايسة بين هذه الطائفة الفاضلة وقد اعتذرت اليك في خلال هذا مرارا من قصور لا حيلة
لي فيه ومن تقصير لم اقصد اختياره الا ظني بايثارك لستر القبيح على اخوانك ونشر الجميل عن اصدقائك جميل والله كافي
كافيك ونعم الوكيل **مقابسة اخرى** جرى عند ابن سعدان يوما كلام في الاخلاق وحضره جماعة منهم عيسى بن ثقيف
الرومي وابو المسيح وغير هؤلاء من مشايخ النصارى وكانوا متحرمين بالفلسفة ومحبين لاهلها وكان محصول ذلك من آرا

ان يكسب نفسه هيئة جميلة وسجية محمودة بتهذيب الاخلاق وتقويمها وتطهيرها من الادناس التي تعتريها لقصد اوان تتباين احوالها
عسر ذلك وتعذره والتوائه فيظن لذلك ان الامر الذي يحاوله ممتنع عنده وانه غير ممكن وعليه فان الوصول اليه محال والآخر
استجابة ذلك وانقياده وسطاوعته وامكانه فيظن لذلك ان العناية التي يعنيها باجتهاده وقصده ورايه وعزمه دانية منه وغرضه سهلة
قريبة والمثال على هذا من الشاهد في اخلاق الانسان موجود من اعتبار الابدان وذلك ان الانسان اذا قصد تطرية بدنه وتدليك
اعضائه وتليين اطرافه وتنقية بدنه وتسريح شعره وترجيل جمته وتنقية ابدانه عن الدرن عن مغابنه وبين غيره من القيم
في الحمام وغيره وقدر على ذلك وجد السبيل اليه سهلا حتى يخرج من الحمام ناضر البدن نقي الاطراف قد اكتسب صاحبه صباحة ونظافة
ووضاءة وخفة ظاهرة من ثقل ما كان اكتسبه ولازمه من الوسخ والدرن فان اراد بعد ذلك ان يحول فطس انفه قنا وزرقة عينيه حورا ولثغة
لسانه استمرارا اراد المحال وحاول الممتنع عنده وتعرف سوء الاختيار وحكم عليه بسوء السعي وبطلان الاجتهاد ومع هذا فليس له ان
يباشر من اصلاح ما هو مستطاع لياسه من صلاح ما هو غير مستطاع وليس له ايضا ان يرجو صلاح ما ليس بمستطاع لاقتداره
على صلاح من مستطاع فطلب هذه المذاكرة في الاخلاق على ان تهذيبها وتطهيرها وردها الى مقارها وتسويتها وتعديلها
الصعب العسير والممتنع المتعذر لكنها مع هذا كله ممكنة من نفسها في اشياء خاصة وفي مواضع معلومة بعض الامكان وقاصرة
الاستجابة الى ما يرجى بها بعض النقصان فعلى هذا لا ينبغي ان يطمع في اصلاحها كل الطمع ولا يقطع الرجاء عن اصلاح الممكن منها كل القطع وكان
في كلامهم حشو كثير حصلت حاله من بلد نزما اعرفت هاهنا وذكرته وجملة الناس من اول الدهر انما يتكلمون في الاخلاق على هذا
تدل الكتب السالفة والاشعار المتقدمة والمواعظ القائمة والزواجر المترددة ومع ذلك فكل من طبع على الجبن ليس تجيء منه شجاعة ومن
طبع على الغيرة لم يمكنه ان يغفل ومن وجد في سوسه شيئا ابداه ومن كان في قوته شيء اظهره ومن استكن في مزاجه شيء لاصل طالع
واسير على الاباء والاجداد في الاشياء قوة ضعيفة جدا لا ثبات لها مع الضرورة التي ترد قاهرة وتوافي مخبرة فان الاختيار
ايضا في الاولى من جملة تلك الضرورة في عرض القسمة السماوية ولو ان انسانا لم يبد او ظهر وسعى وسفر وان تكلف الاخرى بطل حكمه وسعيه
وارتفع عيبه وفعله وقد شاهد ناس يمدح الجود ويحث عليه ويحسنه ويدعو اليه وهو ابخل الناس من العلم به والقيام بحكمه وقد
وجدنا من يلوم التغافل في الحرمة وما يجري معها ويبعث على الغيرة والصرامة فيها وخوض الدم من اجل عارض في بابها وهو اشد
الناس تخلفا فيها واكثرهم اختلالا عليها فكان ما يقوله احدهم دائما ويعادها هو غير ما ينبغي ان ياتيه او يتركه ويجتنبه وكان ابو سليمان
يقول كثيرا من اخلاق الانسان يخفى عليه وتطوى عنه وذلك جلي لصاحبه وجاره وعشيرته وهو بذلك احق من ذلك
على صاحبه وجليسه ومعامله وقريبه وبعيده وكانه في عرض هذه الاحوال عالم جاهل ومتيقظ غافل وجبان شجاع وحليم
طائش يرضى عن نفسه في تخرصه ويغالط على غيره من اجله قال وهذا الكلام دليل على ان الخلق في وزن الخلق وعلى انسا حسم
بعيبه منه ما يحيص من هذا ويسهل منه هذا ما يسهل من ذلك قلت له عند انتهاف الكلام في هذا الحد ما الخلق قال شيء
ثبت في المحمود منه قال ثم انشاء النفس الفاضلة في المزاج المعتدل قلت فما المذموم منه قال لما دبر الطبيعة في سوء مزاج متفاوت
والكلام في الاخلاق مطلوب وكل هذا الكتاب فيها ولهذا ما يجب ان يخطى وان امكن عدت املها في اثناء غيرها فالغرض كله
تقديرها بالقسطاس وتمحيصها من الادناس التي تعتليها اجهورها هذا الخلق **مقابسة اخرى** سمعت ابن مقداد يقول
لابد في وضع الناموس الالهي الذي يتوجه بافاضة الخير وترتيب السياسة وما يورث سكون البال ويحسم مواد الشر
ثم ... عاليم السنن ويبعث على تشريف النفوس وتزيين الاخلاق ويقرب الطريق الى السعادة المطلوبة ويواصل اسباب
الحكمة وشوق الارواح الى طلب الحق وايثار العفة وتقدم دواعي العدل والنصفة والرحمة والكرمة من الاخبار التي تنقسم بين

ما هو صدق محض وبين ما هو صدق ممزوج وتكون الالفاظ التي تدور بها والصفات التي ترجع اليها كثيرة الوجود سمحة عند
التأويل وانما وجب ذلك لان الناس في اصل جبلتهم ومبدأ خلقهم واول نشئهم قد افترقوا مجتمعين واجتمعوا مفترقين في
اخلاقهم مؤتلفين وائتلفوا مختلفين واجسامهم متوقحة وظنونهم جوالة وعقولهم متفاوتة واذهانهم عاملة وارائهم سايحة
وكل منهم منفرد بمزاج وشكل وطباع وخلق ونظر وفكر واصل وفرع واختيار والف وعادة وضراوة ونفرة واستحسان
واستقباح وتوق ووقفة واقدام وجسارة واعتراف وشهادة وبهت ومكابرة هذا سوى اعراض كثيرة مختلفة لا اسما
لها عندنا لخالصة ولا صفات متميزة **قال** ومثل هذا الكلام مثل من اصلح طعاما كثيرا واسعا مختلفا من كل لون وجنس
ومذاق ورائحة وطعم وقصد وحرارة وبرودة وحلاوة وحموضة ونصبه على مائدة واسعة عظيمة فجمع ذوي عدة جم
فمتى لم تكن المائدة ذات الوان مختلفة واطعمة مركبة متباينة في القلة والكثرة والملوحة والحرافة والمرارة المتقدمة لم يقبل كل
انسان على ما يفيق برشهوته الخاصة له ولم تمتد يده اليه بالكون الذي تدعو اليه العين لان للعين نوعا من الطلب ليس
للفم وللنفس ايضا مثل ذلك اعني النفس لا تعتد بهذا غير ما هو مطلوب للنفس لما لطفت من التهذيب المكرمة
والايناس والمحادثة **قال** فلما كان الناس لا اتحاد نصيحة عامة للكافة وجب ان يستعان عليها بكل ما يكون ردءا لها وظهيرا
معها وفارشا لما انطوى وموضحا لما خفي عنها وداعيا باللطف اليها وضامنا لحسن الجزاء عنها وهذا القدر كاف لما قصدناه
وتبع التفاوض برمته على ما امكن والحمد لله وحده **مقابسة اخرى** قلت لابي بكر القومسي وكان كبيرا في الاوائل

٥ مقابسة

بأي معنى يكون هذا الزمان اشرف من هذا الزمان وهذا المكان افضل من هذا المكان وهذا الانسان اشرف من هذا الانسان
فقال هذا يشعر بأضافة الزمان الى سعادة شائعة وعز غامر وبركة فائضة وخصب عام وشريعة مقبولة وخيرات مفعولة ومكارم
موثرة من جهة شكل الفلك بما تقتضيه بعض دوائره وكذلك المكان اذا قابل اثرا من هذه الاجرام الشريفة والاعمال
المنيفة واما الزمان الذي هو رسم الفلك بحركته الخاصة فليس فيه جزء اشرف من جزء وكذلك المكان لانه رديف الزمان
ولا سبيل في مثل هذه المسائل الى معرفة الحقائق الا بالامانة التي هي شاملة للعالم الذي رتبه عليه من محيطه الى مركزه واما الانسان
فلا شرف له ايضا على انسان اخر من جهة حده الذي هو الحياة والنطق والموت لان الحد في كل احد واحد فاذن لا شرف
من هذا الوجه فان اعتبر بعد هذا افعل هذا او فعل ذاك من جهة الاختيار والايثار والاكتساب والاجتلاب فذاك يتقف
على الاشرف فالاشرف والاعلى فالاعلى بحسب ما يوجد منظوما في نفسه نافعا لغيره واقعا موقع الاخص منه

٦ مقابسة

مقابسة اخرى قلت لابي بكر القومسي وكان كبير الطبقة في الفلسفة وقد لقي يحيى بن عدي زمانا وكتب لنصر الدولة
وكان حلو الكتابة مقبول الجملة ما معنى قول بعض الحكماء الالفاظ تقع في السمع فكلما اختلفت كانت احلى والمعاني تقع في النفس
فكلما اتفقت كانت احلى فقال هذا كلام مليح وله قسط من الصواب والخبر ان الالفاظ يشملها السمع والسمع حس ومن
شان الحس التبدل في نفسه والتبدل بغيره والمعاني تستفيدها النفس ومن شانها التوحد بها والتوحيد لها ولهذا تبقى
الصورة عند النفس قنية وملكة وتبطل عند الحس بطولا وتمحى محوا والحس تابع للطبيعة والنفس متقبلة للعقل
وكان الالفاظ على هذا التدريج والتنسيق من امر الحس والمعاني المقولة فيها من امر العقل فالاختلاف في الاول بالطبع
والاتفاق في الثاني بالواجب وبالجملة الالفاظ وسائط بين الناطق والسامع فكلما اختلفت مراتبها على عادة اهلها
كان وشيها اروع واعجب والمعاني جواهر النفس فكلما ائتلفت حقائقها على شهادة العقل كانت صورها انصع واظهر
واذا وفيت البحث حقه فان اللفظ يجزل تارة ويتوسط تارة بحسب الملابسة التي تحصل له من نور النفس وفيض العقل

بهادة الحق وبراعة النظم وقد يتفق هذا التعويل للانسان بمزاجه الصحيح وطبيعته الجيدة واختياره الجودة وقد يقوم
هذا الوجه قليلاً فاما يحسن الاخذ ابن سبق بهذه المعاني اليه فيكون اقتداؤه حافظاً عليه نسبة الابيات على شكله العجيب
وصورته الحسنة ومدار البيان على صحة التقسيم وتخير اللفظ ورتبة النظم وتقريب المراد ومعرفة الوصل والفصل
وتوخي الزمان والمكان ومجانبة العسف والاستكراه وطلب العفو كيف كان

سابع

مقابسة اخرى قيل لابي سليمان قد
يجري كلام في الشر وليته والبوح بسر السبب فان السر لا ينكتم البتة فقال لان السر اسم لامر موجود وقد ضرب دونه حجاب
واغلق عليه باب فعليه الكتمان والطي والخفاء والستر منعه عن الغريب وهو مع ذلك موجود العين ثابت الذات تحصل
الموهم فباتصال الزمان وامتداد حركة الفلك يتوجه نحو غايته كالدفلا بد له اذاً من النمو والظهور لان انتهائه اليها و
وتوفره عليها ولو بقي مكتوماً خافياً ابد الاباد والعدم سوا وهذا غير سائغ اعني ان يكون الوجود معدوماً ولو قبل الوهم
هذا القبل ان يكون المعدوم موجوداً وهذه مسئلة في الهوامل ولها جواب اخر في الشوامل لكن هذا القدر مستفاد من الشيخ
الفاضل ومرايضا في كلام ان الحجاب المضروب على هذا السر يرث ويخلق لانه لا يبقى على هيئته الاولى يوم يبقح سراً ويحدث
مكتوماً ثم قال هذه = الخواطر والسوانح على لفظها وقتها وشدة حقايقها وعموم مشاربها تبلى وتظهر وتقوى و
تكثر حتى يعرف فيها الشيء بعد الشيء باللحظ والنتيجة والتلفت وضروب شكل الوجه فكيف ما ابتذله اللسان ونسجه العبادة
وجعل منه كان الى كانه

ثامن

مقابسة اخرى سمعت ابا علي بالقاسم وكان يعرف بالمجتبي يقول الاسباب التي هي مادة للحياة
هي بعينها الاسباب التي هي جالبة للموت قيل له فلم كان الموت على هذا اولى بالانسان من الحياة فقال لان الموت طبيعي وكل طبيعي لا محيص عنه
وانما اطلقت الكلام الاول لانك ترى من يتحامى الموت بشيء به يتخلص غيره الى الموت فلو استطيع حصر هذه الابواب
ما به يموت من يموت في علة ما به يحيى من يحيى ثم قال وهاهنا موت طبيعي معروف به وفي مقابلته حياة طبيعية وهكذا
ايضاً هاهنا موت عرضي وفي مواجهته حياة عرضية فالموت الطبيعي قد قامت منه الشهادة من الكافة فاما
الحياة الطبيعية فحياة العقل بالمعقول والموت بالعرض الجهل الشايع في الانسان واما الحياة العرضية فحس الانسان وحركته
بسلامة بنيته وسكون اخلاطه وقوة طبيعته وتصرف ساير ما هو مركب من جهته ثم قال ومن فتح الله بصيرة عقله لحظ اصناف
هذه الحقائق ترقى في درجات المعارف وسلاليم الفضايل وانتهى الى افق الروح والراحة وتحامى هذه المعادن التي
هي معادن العطب والتلف ومساكن الافات والهلاك وتفجر في هذا الفصل بكل كلام شريف وكل موعظة حسنة
وكان من القادرين على امثاله وممن ايده الله بتوفيقه ومعونته

تاسع

مقابسة اخرى سال ابو محمد الاندلسي النحوي
عيسى بن علي بن عيسى الوزير وانا عنده فقال له قال صاحب كل علم ليس في الدنيا اشرف من علمي الذي انظر فيه
هكذا نجد الطبيب والمنجم والنحوي والفقيه والمتكلم والمهندس والكاتب والشاعر فقال وانا الكافر منا النحو
اقول هذا وهكذا اجد جميع من سميت قال الشيخ عيسى بن علي هذا لان صورة العلم في كل نفس واحدة وكل احد
يجد تلك الصورة بعينها فيمدح العلم بها ويظن ان تلك الصورة انما هي لعلمه وحده وكذلك صاحبه وتلك الحال الله
بقالب صورة العلم الاول فاما اذا قسمت العلم كما قسمه ابو زيد احمد بن زيد البلخي الفيلسوف في كتابه المسمى اقسام
العلوم وتتبعت مراتبه فانك حينئذ تجد علماً فوق علم بالموضوع او بالصورة وعلماً دون علم بالفائدة والثمرة و
هذا المعنى الذي اشير اليه يصح لك ولو فرضت نفسك عالمة بكل شيء فكنت حينئذ لا يحصر لك علم دون علم بل كنت
تطلع على جميعه بنوع الوحدة مع اختلاف مراتبه من نواحي مواده وصوره وفوايده وثمره كنت تجد ها كلها واحدة في

حد العلم كان يسبق من كل فن منها على ما هو به من غير خلل عارض ولا فساد واقع قال الاندلسي قد كنا ايها السيد قرأنا
هذه المسئلة بحقيقتها الها وامتهنا القدرها و فيها هذا الجواب الذى لو رحل اليه من قطر شاسع وغرم عليه مال كثير لكان
ذالك دون حقه وما اكثر ما يحقر الشئ فيصير صلة للشئ لا يحقر لولا ان عمري يستهلكه الضر لكنت البس لهذا العلم صدار
المنكمش واصبغ نفسي صبغة المحققين

مقايسة اخرى

قال ابو زكريا الصيمري لابي سليمان اذا كان الباري
لا يفعل ما يفعل ضرورة ولا اختيارا فعلى اي نحو يكون فعله فانه ان كان كاستنارة الهواء عن الشمس فهو ضروري
وان كان كفعل احدنا فهو اختياري وما خلا هذين فغير معقول وما لا يعقل فغير مقبول قال ابو سليمان قد قال الاوايل
الاوائل انه يفعل بنوع اشرف من الاختيار وذالك النوع لا اسم له عندنا لانا انما نعرف الاسما التى قد عهدنا اعيانها
او مشبهاتها والناس اذا عدموا شيئا عدموا اسمه لان اسمه فرع عليه وعينه اصل له واذا ارتفع الاصل ارتفع الفرع هذا
ما لا دفاع له ولا امتناع منه وخواص الخواص معدومة الاسما ونحن نحس بمعاني جمة وفوايد كثيرة لا نستطيع صرفها
عن انفسنا وقد التبست بها وقرت في عنانها ومع ذلك اذا حاولنا اسماءها عجزنا بلى قد نعتاض من الاسماء القائمة
اشارات بصفات وتشبيهات تقوم لنا من بعد مقام الاسماء القائمة ولكن لها فينا اعمال ردية وايهامات عندنا
فاسدة ولكن ليس لنا في هذا اتوجه من الوجود جملة فمن جملة ذالك هذا الذى نحن فيه انه قد صح بالبرهان ان فعل
الله تقدس وعلا ليس باضطرار لان هذا نعت عاجز ولا داع لهذا القول وليس باختيار ايضا لان في الاختيار معنى
قويا من الانفعال وهذا مسلم عند من الف شيئا من الفلسفة وشدا بعض علم الاوايل فلم يبق بعد هذا الا انه بنحو عال
شريف يضيق عنه الاسم مشار اليه والرسم مدلول به عليه ولو قال لك رجل لم عبرت عن الله بالتذكير دون التانيث
لما كان عندك الا ان تقول هذا اما قد رمته وليس عندي لما هو حقه في الخبر عنه اسم يخصه واكثر ما امكنني نفي لما
به الانثى وهذا لان التذكير والتانيث معنيان يوجدان فينا وبهما اشبهنا سائر الحيوان وهما منفيان عن الله
تعالى من كل وجه وكل وهم ثم قال بعد هذا الذى قد مر من القول والذى اختاره في هذا الجواب معه هذا
التضييق الواقع قولنا يفعل لا يصح معناه في الباري تعالى البتة بل قولنا يفعل عبارة عن انفعال الاشياء له لان الاشياء
له وان الاشياء كلها مشتاقة اليه متوجهة نحوه مستانسة مقتبسة منه وذالك اتصالات وجوده فذ خولها
الى ذاته وشوقها الى تربوبت الوسايط بينها ثم ضرب مثلا فقال الا ترى ان الطبل يضرب عند الرحيل من قبل
الملك فترى كل احد يتحرك حركة لائقة به موقوفة عليه نحو الملك من غير ان يكون قد تقدم الى واحد منهم بما هو به
بل هو على سكونه وحاله السابقة فانما الاخر له منه لاجل فتحركوا مشتاقين متشبهين ثم قال وينبغي ان نعلم انه لا فاعل الا
ويعتريه نوع من انواع الانفعال في فعله كما انه لا منفعل الا وهو يعتريه نوع من انواع الفعل في انفعاله الا انه في الانفعا
خفي جدا والفعل في المنفعل خفي جدا فلهذا لا يطلق على الفاعل الا الاسم الاشمل له الاول ولذلك لا يطلق على المنفعل
الا الاسم الاخص له الاعم لجملته وهذا وان كان للاطلاق والاستعمال على حد ما حقق القول فان المعقول لا سبيل الى
انكاره وما عرف حقيقته لا طريق الى جحوده فقد بان ان قولنا يفعل ولا يفعل وفاعل وغير فاعل كلمات مطلقة على حد
المجاز والعادة

مقايسة اخرى

سمعت ابا اسحق الصابئ الكاتب يقول لابي الخطاب الصابي اعلم ان
المذاهب والمقالات والنحل والاراء وجميع ما اختلف فيه الناس وعليه كدايرة في الفعل فمتى فرض فيها قول وجعل
مبدا للاقوال انتهى منه الى اخر ما يمكن ان يقال فليس من قول الا وقد قيل او يقال وليس من فعل الا وقد فعل او سيفعل

وليس من شيء الا وقد علم او جهل وهكذا في الظن والراي وغير ذلك وامثال هذا ابين في كل ما ارد تروفد الفا تلك
لا تشير الى رأي ويخلو الا امكنك ان تظن بكل ما ظن ويظن وتقول كما قيل ويقال وانما يضيق بجم احدنا وينفسح شرح
الاحوال الخاطر يسنح مرة ولا يسنح مرة والقلب يتسع تارة ولا يتسع تارة واللسان ينطق وقتا ويمسك وقتا
قال ابو الخطاب هل للخواطر والالفاظ والاراء والمقالات نسبة الى المزاج والطينة والهوا والى العناصر بالجملة فقال
نعم انها نسبة قوية وعلاقة شديدة وروابط متينة الى هذه الامور التي تنظر فيها او تطيف بها وتطل عليه ولا سبيل مع
ذلك الى اتفاق الناس في حال من الاحوال ولا سبيل من السبل ولو امكن ذلك لوجد الاثر على انه لا سبيل الى ان يكون
الناس كلهم طوال القدود او قصارها وضخام الرؤس او صغارها وفصحاء الالسنة او لكنها او على مذهب واحد وحد
ومقابلة واحدة كيف يكون هذا او يظن هذا والطبيعة انما تعطي صورتها لكل شيء بحسب قبوله وتهيئه ومواتاته فليس
الزند من عطية الطبيعة ولكن على قدر قبوله وصلابة الحجر من عطية الطبيعة ولكن على قدره فاختلاف الصور انما نشا
من اختلاف المواد وهذا اصل لا اصل له وعلة لا علة لها لانه لم يفعله فاعل على ذلك بل الصورة من شانها هذا والمادة
من شانها ذلك والامر مسبب على سنن ما ترى فعلى هذا الاحد يتحمل ما شاكل مزاجه وينبض عليه عرقه وينزع اليه شوقه
ويحن به طينه وجرى بعد ذلك عليه ما يرويه بدنه مقايسة اخرى سمعت النوارزمي الكاتب يقول لابي اسحاق
الصابي بن هيثم بن هلال له اذا قيل لمصنف او كاتب وخطيب او شاعر في كل كلام قد اختل شيء منه وبيت قد
اختل نظمه ولفظ قلق مصابه هات بدل هذا اللفظ لفظا ومكان هذه الكلمة كلمة وموضع هذا المعنى معنى آخر تها فتت
قوته وصعب عليه تكلفه وجهد بمزاولته ذلك رايه ولو ابتدا انشاء قصيدة مفردة وتحبير رسالة مقترحة كان عسرها عليه
اقل وكان نحو ضربها اعجل فقال وقع ما وهو محتاج الى تدبير تدافت اوله من جهة صاحبه الاول وان كان اولى بدو
كان كالاب له وذلك شبيه بعلم الغيب وقل من ينفذ في حجب الغيب مع العوايق التي دونه وليس كذلك اذا اقترح
صو كلاما وابتدأ خلا وانتصب حالا لانه يستقل حينئذ بنفسه ولا يحتاج فيه الى شيء كان من غيره او يكون تعلقه بيقظته
بعطيه تمام ما قد فتح عليه سده وقدح عليه زنده ولم يكن هكذا حاله في كلام معروض عليه لم يحبس قط في نفسه
ولا اصل له شيا من فكره فقد يعجزه ما لم يتاهب له ولم يرض نفسه عليه وفي الجملة كل مبتدئ شيئا فقوة المبدا فيه تفضي
به الى غاية ذلك الشيء وكل معقب امرا قد بدأ به غيره فانه بتعقيبه يقضي الحد ما بدأ به في تعقيبه ويصير ذلك مبدأ
له ثم تنقطع المشاكلة بين المبتدا وبين المتعقب مقايسة اخرى قال يحيى بن عدي قول القايل العلة قبل
المعلول لا مدخل للزمان فيه وكذلك قول النحويين الاسم قبل الفعل لا يتضمن معنى الزمان وكانه جار في قضايا
الدهر والفرق بين الزمان والدهر بين ولعله سيمر في موضع من هذا الكتاب قال له البديهي فقولنا الاب
قبل الابن اين هو من الزمان قال من جهة لا مدخل للزمان بينهما وذلك ان الغرض فيهما ان هذا علة هذا ومن جهة
يدخل لانه يصير موذنا بان هذا كان في الزمان قبل هذا في الزمان واما قول النحويين ان الاسم قبل الفعل فمعقول
ان رتبته مقدم عليه والا فمتى وجد الاسم وجد الفعل ومتى وجد الفعل وجد الحرف فرتبة الوجود واحدة
في الجميع ومراتب الاعيان مختلفة في الجميع ثم قال وينبغي ان يصفو الحظ الذي يتجرد في نحو الاشياء الاول التي هي كثيرة
بالاسماء والنعوت عند الاستعمال وواحدة بالحقايق والذوات فان هذا النظر اذا صفى وتم كفى موونته عظيمة
وحاز امرا عزيزا مقايسة اخرى قال يحيى بن عدي في درس لبديهي عليه سنة احدى وستين

وثلثماية

يب ١٢

يج ١٣

يد ١٤

فالثمانية وانا حاضر. مبدأ الجوهر الصورة والمادة ومبدأ الكم النقطة والوحدة ومبدأ الكيف السكون والحركة. قال
وهذه المبادئ هي اوائل العالم العلوي والسفلي والعقلي والحسي وصار ايضا حد بهذه التفاصيل بحث العقل واستنباط
النفس وشهادة الحال وحقيقة المطلوب ان حاول محاول زيادة على هذا لم يستطع وان رام رائم نقصا منه لم يتفق
لان انتظامه بالعلة الاولى وتمامه من اجلها وهو وامده وامدها والحركة والسكون والنقطة والوحدة والمادة والصورة
بل الاختلاف في اعيانها بين القوابل التي هي بها وبحسبها انقسمت النعوت عليها واشتركت العبارات فيها ومتى امكن تشتت
الحظ الى الغاية والى النهاية المتناهية لم يوجد الا الحق الذي هو هو لا لشئ هو به بل كل شئ هو به وهو له وهو منه
بدأ ثم قال النقطة في الجوهر صورة والصورة هي في الكم نقطة والوحدة في جميعها مستولية شاملة تحتوي على غايتها
يجب ان يرعى الرأي وعنها يجب ان يحمي الحامي فليس فوقها مذهب ولا دونها مبتغى. ثم قال العروضي انما كانت
الوحدة مستولية كما بان من القول فيها لان الكثرة ادنى الينا واسبق الى نواظرنا واغنى عن طلب الدليل فيها فقال
لانا بها وهي بنا في هذه الجهة وجب ان تشتد العناية في تحصيلها وتقليبها حتى تظهر الوحدة في الثاني كما ظهرت
الكثرة في الاول وهو الذي يسمى سعادة واليها وقع التوجه وعليها قصر السعي ودخل ابو العلا صاعد فانقطع الكلام وفات
ان يبلغ اقصى ما عنده.

يد ١٥

مقابسة اخرى قلت لوهب بن يعيش الرقي لم صارت الكيفية تسري من المكيف الى
الاول والثاني مثال ذلك الرائحة التي للتفاح فانها تسري الى الدماغ وليس كذلك الكمية من ذي الكم مثال ذلك
تفاحتان وثلاث عند زيد لا تسري كميتها الى عمرو فقال الكمية اقرب الى الجوهر واشد توحدا به وادل على المواصلة
والتشبث والوحدة وليس كذلك الكيفية بحسب الكثرة تخالفها المقتضي الكيفية بحسب الوحدة الا ترى ان الكيفية تا
لما ترى الى الحس واسبق عن الطبيعة الا ترى ان الكمية تابعة لما ترى الى العقل ومتصل بالنفس.

يو ١٦

مقابسة اخرى لم صار الانسان اذا اورد كلاما بالمجلس بحضره خصم يناظره وصاحب يعاتبه لا يمكنه اداؤه في حال ما يباشر
المراد ويحيد عن الغرض ويتوخى غاية ما في النفس فقال لانه في الحال الثانية يصير اسيرا في يد ما تقدم وقوم فهو
يحتاج في تلك الحال الى قوة حافظة وقوة مؤدية وربما خانتاه او خانته احديهما وليس كذلك اذا ارتجل كلاما
واخترع معنى فانه يكون مطلق العنان في ضروب التصرف وافانين التي ويبقى غير موقوف على شئ متقدم ولا مقتفي شيئا موقفا
يخاف ان يأتي على خلاف تقديره في وهمه ووضعه في نفسه يخلو من الحال وسلامة البال يقضيان به الى آخرها في نفسه لان
الواسطة الحائلة ساقطة والحجب مخروقة والاولية مغيبة والوحدة مساعدة لا تسرع ايدك الله الى الطعن والعيب في هذه
المواضع التي نزل قليلا ولا يبلغ ظنك بها فان الجميع اخذ عن هؤلاء الجلة الاعلام حسب ما كانت المذاكرة والمقايسة تمتد ان
بهم ويغران عليهم وكان الغرض كذلك يستفاد كل ما تنفسوا به وتنافسوا فيه فان شاركتني على ذلك فالحكمة فوضى بيننا
والحق مشاع عندنا والفائدة حاصلة لنا فان الحيت بجدلك وفطنتك لم تخرج من جميع وجوه العدل الى الظلم لكن تعدل
عن الخلق الجميل وعما يليق بالرجل الاصيل واساس لذلك في الاجتماع والتصافي والاستماع والمناومة بين الناس بكل
ما يطلق بالتودد والايناس على الكرم والتفضيل والرعاية والحيا والابقا والاغضا لا على الشراسة والعناد ولا على ما لا يجمل بالتقى
المكرمة والفضل والحفاظ والله يبلغ بك ويحسن على اقتباس الحكمة عونك ويقر اعيننا بمكانك ويصل بنا جميعا الزلفى
عنده والكرامة فيه بمنه واحسانه على انك اذا استشفعت هذا الكتاب كله وقلبته وعرفت غرائبه وعجائبه علمت
انك ظالم انا عتب واني مظلوم في يدك اذا استزرأت والله لقد تعبت في تحصيل ما فالوه وخاطرت الان بروايته

ما لطابيعه ولو قمت مقام حيلة الخطاب حالي ولا خلوت من عرى من بعض ما تقتضيه من عليّ كان القالك والقيل

١٧ وادام الشيخ الجليل الله **مقابسة اخرى** سئل ابن سوار وكان ابن السمح بباب الطاق هل ما عليه الناس من
السيرة وما هم عليه من الاعتقاد حق كله او اكثره حق او كله باطل او اكثره فقال للسائل مسألة والجواب عنها ثقيل لما فيه
الله ثمان ركية العلم لا تترنح وان اختلف عليها الدلاء وكثر عليها فانها الواحدة فقال صدقتم واعلموا ان الحظ استيلا
الطبيعة عليهم وعليها اثارها فيهم في الراي المعتقد والسيرة المؤثرة فاكثر ذلك باطل لان سلطان العقل في بلاد الطبيعة
غريب والغريب ذليل وان لحظ حكم العقل وما يجب به ويليق بجوهره ويحسن معناه فالية فاكثر ذلك حق كان المحوط
رايا او سيرة وعادة او خليقة وعلى حسب هاتين القبلتين يكون القضاء ويقع الحكم والحق لا يصير حقا بكثرة معتقديه
ولا يستحيل باطلا بقلة منتحليه وكذلك الباطل ولكن قد يظن بالراي الذي قد سبق اليه الاتفاق من جملة الناس
انا علم انه اولى بالتقديم والايثار واحق بالتعظيم والاختيار لانه يكون مقوما بالبحث مجبورا بالفكر مصقولا على الزمان تلمس
كل يد ومحلية كل عين ويصير ثابتا على صورته الواحدة دليلا قويا وشاهدا زكيا على حقيقته لانه يبرأ حينئذ من هوى ودعوى
من تعصب ناصره ويبقى بصورته الخاصة ويجري مجرى السكينة التي لا تحتاج الى علاج المعالج وتمويه المموه وانتقاد
١٨ المنتقد وتنفيق المنفق وحيلة المحتال **مقابسة اخرى** سالت ابا زكريا الصيمري عن الانسان يقول حدثتني
نفسي بكذا وكذا وحدثت نفسي بكذا وكذا هذا اثنان احد الانسان ونفسه كجاريين متلاصقين يتلاقيان
فيتحدثان ويجتمعان فيتفاوضان وهذا يدل على بينونة بين الانسان ونفسه قال الانسان انما هو انسان بالنفس
والنفس ما هو انسان والانسان له صورة بحسب قبوله من النفس والنفس نفس بحسب ملابستها البدن وتصريفها
له وتدبيرها فيه فاذا قال الانسان حدثتني نفسي وحدثت نفسي فانما ذلك لتحويم بشرف نفسه بقدر ما
استفاد من صورتها الخاصة به واستنارة العقل عليه هذا ان كان الحديث مواتيا للحق اخذا بقسطه منه وان تكن
الاخرى دخل الفساد من ناحية المادة والخلط والمزاج والقابل الا ترى انك لا تقول حدثني عقلي بكذا وكذا ولا حدثت
عقلي بكذا وكذا الا ان افق العقل اعلى وعالمه ارفع واثره الطف وانقى ونسبه اشرف واسنى والانسان متقوم بالنفس
حتى اذا لحظها بعينه التي له منها ساغ له ان يحدثها ويحدث عنها ويحقق بناءها وعالمها وهي العقل بوجه اخص
والعقل هو بوجه اخر ولكن العبارة عن هذه الخفيات قاصرة وان كانت النفس بها مستنيرة فعلى هذا الانسان
يحدث نفسه بما يغلب منها ويحدثه نفسه بما يغلب عليها منه وهو هي وهي هو ولكن بنوع ونوع وحال وحال واسم
واسم وملحوص وملخوص وتقريب وتقريب وهذه معان اختلست من مذاكرات هذه المشايخ فلم يكن ان تؤتى
تامة مستقصاة لان الكتب التي توضح هذه الحقائق موجودة ومن يشرح مشكلها ويفتح مستغلقها حاضر فليكن
١٩ التعويل في بلوغ غايات هذه المواضع على العلماء والكتب والقرائح **مقابسة اخرى** خرج ابو سليمان
يوما ببغداد الى الصحراء بعض ايام الربيع قصدا للتفرج والمؤانسة وصحبته وكان معنا ايضا صبي دون البلوغ
جهم الوجه بغيض المحيا شتيم المنظر ولكنه كان مع هذه الصورة يترنم ترنما نديا عن جرم ترف وصوت شجي
ونغمة رخيمة والمذاق حلو وكان معنا جماعة من طراق المحلة فلما تنفس الوقت اخذ الصبي في فنه وبلغ اقصى
ما عنده فترنح اصحابنا وتهادوا وطربوا فقلت لصاحبي في كما اما ترى ما يعمل بنا شجي هذا الصوت وندا هذا الحلق وطيبة
هذا اللحن وتفنن هذه النغم فقال لو كان لهذا من يخرجه ويعنى به وياخذه بالطرائق المؤلفة والالحان المختلفة لكان

يظهر اثره ويصير فتنة فانه عجيب الطبع بديع الفن غالب الدين والشرف فقال ابو سليمان قلت حدثونى بالكتم فيمن
الطبيعة لم احتاجت الى الصناعة وقد علمنا ان الصناعة تحكى الطبيعة وتروم اللحاق بها والقرب منها على تقويم لها دونها
وهذا رأى صحيح وقول مشروح وانما حكيتها وتبعت رسمها وقصت اثرها لانحطاط رتبتها عنها وقد زعمت ان هذا
الحديث لم يكفه الطبيعة ولم تفسر وانها قد احتاجت الى الصناعة حتى يكون الكمال مستفادا وماخوذا من
بعضها والغاية مبلوغة بحوتها واصلها فقلنا له ما تدرى وانها لمسئلة فقال وفكروا فعد ذلك وقلنا انا قد ثلجنا ولو
منيت بالبيان ونشطت لنشر الفايده كان ذلك محسوبا في بيض اياديك وغرر فضائلك فقال ان الطبيعة انما احتاجت
الى الصناعة في هذا المكان لان الصناعة هاهنا تستملى من النفس والعقل وتملى على الطبيعة وقد صح ان الطبيعة
مرتبتها دون مرتبة النفس وتقبل اثارها وتمتثل امرها وتكمل بكمالها وتعمل على استعمالها وتكتب باملائها وترسم
بالقائها والموسيقى حاصل للنفس وموجود فيها على نوع لطيف وصنف شريف فالموسيقار اذا صادف طبيعة قابلة ومادة مستجيبة
وتربية مواتية والانقيادة افرغ عليها بتاييد العقل والنفس لبوسا موزونا وتاليفا معجبا واعطاها صورة معشوقة
وحلية مرموقة وقوته في ذلك تكون بمواصلة النفس الناطقة فمن هاهنا احتاجت الطبيعة الى الصناعة لانها وصلت
الى كمالها من ناحية النفس الناطقة بوساطة الصناعة الحادثة التى من شانها استملاء ما ليس لها واملاء ما يحصل فيها
استكمالا بما تاخذ وكمالا لما تعطى فقال له البخارى وكان من تلامذته ما اشكرنا على هذه الصلات السنية وما احمدنا لله على
ما يهب لنا منك من هذه الفوائد الدائمة فقال هذا بكم اقتبست وبحجركم قدحت والى ضوء ناركم عشوت واذا صفى
ضمير الصديق للصديق واضاء الحق بينهما واشتمل الخير عليهما وصار كل واحد منهما ردءا لصاحبه وعونا على قصده و
سببا قويا في نيل اراده ودرك بغيته ولا عجب من هذا فالنفوس تتقادح والعقول تتلاقح والالسنة تتفاتح واسرار
هذا الانسان الذى هو العالم الصغير في هذا العالم الكبير كثيرة جمة واسعة منبثة وانما يحتاج الناظر في هذا النمط الى
عناية بنفسه في طلب سعادته ودعاية لحاله في السلوك الى غايته غير عائج على زهرة العيش ونضرة الحس ولذة الوقت
فانه بهذه المقدمات يصل الى تلك الغايات ويجتنى تلك الثمرات ويجد تلك السكاين مرتفعا عن هذه الاقذار
القاذورات واول هذا الامر واخره بالله ومن الله اللهم طهر قلوبنا من ضروب الفساد وحبب الى انفسنا طرائق
الرشاد وكن لنا دليلا وبحياتنا كفيلا بمنك وجودك الذين ما خلا منهما شيء من خلقك العلوى والسفلى ولا فاتنا
شيئا من صنعك الجلى والخفى يا من الكل به واحد وهو في الكل موجود هذا ما خلص من هذا الاجتماع وهو كما هو
الشرف انبت به على ما لقيته فاشركنى في استحسانه وقبوله وكن معينا لى على طلب نظيره والتعاقب على الخير والتناصر
على البر سيرة الفاضلين وعادة اهل التقى والدين **مقابسة أخرى** قال مانى المجوسى وكان ذا حظ وافر من
الحكمة لابى الحسن محمد بن يوسف العامرى وكان من اعلام عصره ايها الشيخ انى اجد النظر في حال النفس بعد
الموت مبنيا على الظن والتوهم وذلك ان الانسان كما يستحيل منه ان يعلم حاله قبل كونه ووجوده كذلك يستحيل ان يعلم
حاله بعد كونه لانه يصير مشفى علمه ومستنبط مراده عدما والعدم لا يقتبس منه علم بشىء بوجه ولا يستفاد منه
معرفة حال لا فيما يتعلق بالحق ولا فيما يتعلق بالباطل فقال في الجواب ليس النظر في حال النفس بعد الموت مبنيا على
الظن وان كان شبيها به ولن يجب ان يثبت ايضا في هذا المعنى بالظن للمشابهة بينه وبين غيره لان الفصل حاضر والفرق
ظاهر وذلك ان الانسان لم يحصل حاله قط فيما سلف لان الطريق الى تبيين ذلك وتحصيله مسلوك والشاهد

على ثمرة المطلوب تام والتقريب يدل على ذلك فى هذا الوقت وان كان البرهان فى الصناعة موجودا اذا اخل شىء
على ترتيبها الناس لقلة فى معرفة المنطق الذى هو آلة فى استقراء الطبيعة التى هى حواس وفى معرفة النفس التى هى طالبة
لكل ناظر فى علم وتحقيق بحث لحركات الانسان لانه سيرتقى عن هذا العالم فلما صعدت النفس لما حركت الطبيعة على
تاليفها وتوزيع الكمالات المختلفة فيها واعطتها النفس بوساطة الطبيعة صورة خصتها بها ودبرت اخلاطها
وهيئات مزاجها فظهر الانسان فى الخلق بشكل غير الشكل الذى كان لاجزائه التى يردها فى آخر البحث الى الهيولى
بالقول الجميل والكلام فى هذا ذو شعب ونوايتم ثم ان للانسان فى معارفه التى يرتقى فى درجاتها يجد للنفس قنية ليست
كسائر القنيات وهيئة ليست لجميع الهيئات اعنى الحكمة التى هى علم الحق والعمل بالحق فيحصل طالبا لبقائها
ناظرا وباحثا عن حقيقة ذلك حائرا الا ان يبلغ بفرط العناية وجودة الفحص وحسن مشاورة العقل الى الحد
الذى يفصح له ان النفس ليست تابعة للمزاج ولا حادثة بالاخلاط بل هى مستتبعة للمزاج ومقومة للاخلاط
وكالة الطبيعة التى هى ظل من ظلالها وقوة من قواها وان النفس ليس لها استعانة بالبدن ولا بشىء
منه وانها خالصة لا شوب فيها وقائمة بجوهرها غنية بنفسها عما يفسدها ويحللها ويمحوها ويؤثر فيها وكيف يكون
ذلك وهى لا تنفعل البتة ولا رداءة فيها البتة فبهذا واشباهه ينفتح للانسان ان النفس يمكن ان تطلب علم حالها
بعد مفارقة البدن بالامر الطبيعى والسبب الضرورى فقد تجلى وانكشف ان البحث عن ذلك ليس بحثا عن محال
مطلق بل هو بحث عن احوال منزلة مشهورة مرتبة محدودة بل هو بحث عما يتصور غايته ويطلب اليه تارة
بالبرهان المنطقى وتارة بالدليل العقلى وتارة بالايماء الحسى والامر الالهى وقال ايضا فى مثل هذا الموضع مما
يجب ايراده وان طال الفصل واتسع فذكره ان الحسيات معابر الى العقليات ولا بد لنا ما دمنا باحثين عن حقائق
العقل ولا نقدر ان نخلص الى عالم الجرد فهذه واحدة من سبيل نسلكها ومثل نستعملها وشواهد نستنبطها و
نثق بها ولو امكننا الوصول الى عرصات العقول وبلاده كان التفاتنا الى الحواس فضلا لا انا متى اخذنا الامثلة
من الحواس فليس يجب ان نتشبث بها الى التشبث ونطالب بها المعقولات كل المطالب بل الذى يحكم به الحق و
يقتضيه الحزم ان ناخذ الامثلة من الحس فاذا وصلنا الى العقل حينئذ فارقناها واغتنينا عنها مستريحين منها ومن
حرجها واضطرابها ولما كنا بالحس فى مهد الطبيعة لم ننفك منه ولما كنا بالعقل فى اول الجوهر لم نجهل فضله
فلهذا اذا اشتغلنا بالحس ولم نقتصر به وصلنا الى العقل ولم نتميز عليه وهذا اقتضاه قول عرض فى جملة الامر
وذلك انه فى كل محسوس ظل من المعقول وليس فى كل معقول ظل من الحس ومتى وجد ناشئا فى الحس فله
اثر عند العقل بروح التشبيه وبركات التشويق وبحدث المقدار ولا انتهاء متى لم يخلع آثار الحس خلعا
لم يتجل له سر العقل تجليا وانما شق الاقرار بمعرفة حال النفس بعد الموت لان الحس لم يساعد فى تسليم
ذلك بشهادة يسكن اليها وان كان العقل قد استوضح ذلك بالامثلة الضرورية فى اقامة البينة عليها وفى
الجملة هذه المسئلة عذراء ضيقة وعجماء مشكلة ولكن العقل الذى هو خليفة الله فى هذا العالم يجول فى هذه
المضايق ويدفع هذه الموانع والعوائق ولولا هذه العناية المرموقة والحالة المعشوقة بهذه الاوائل المنيرة
والابواب المفتوحة لكان اليأس يزهق الارواح ويتلف الانفس ولكان العالم بكل ما فيه من العجائب والآثار
والشواهد لشىء لا حقيقة له ولا حكمة فيه وانه شبيه بالعبث واللعب وليس له محصول ولا فيه شىء معقول ولا

حاجة بعد هذا البيان الذي غرّه حاد يرى طرب سامعه في هذا المكان الا قلة الصبر على النظر وسوء العناية بطلب الحق وايثار الراحة بالراحة وقطع ايام العمر بالتمني وتوجيه التهمة الى الحق وتسليط الجدل على الاستبصار والاعتماد على البهت والوقاحة والا فان الحق معرض لك بل بارك عليك بل نازل عندك بل حاضر عندك بل متجلل بك موجود فيك وانما يؤتى من جفائك في الطلب في سوء العناية في التحري لا من تواري الحق عنك ولا من اشتباهه عليك وليس مع الجفاء والعنف وصول الى الحق ولا مع الرفق يأس من الحق الحق اسبق اليك منك واعطف عليك وارأف بك منك والمعرفة فيك منك فيه وكان وفيّاً بهذا الباب قيماً عليه وسقط عني حتى كثير مع هذا الكلام وفيما حصل تحلل وعلى الله التمام

مقايسة اخرى ٢١

سمعت ابا سليمان يقول فضيحة حسيب لا ادب له افظع واشنع من فضيحة اديب لا حسب له فقال ابن الوراق النحوي ولم ذلك فقال لان هذا اعلم ما يقوم نفسه ويكمل ذاته وذلك فقد ما يقوم اصله ويستر قديمه والنفس ارفع من الاصل لان الاصل راجع الى الولادة والنفس دالة على النقص والزيادة تغمر وعلى الشقاء والسعادة وقد يحس الانسان بفساد الجبلة سقوط ابويه فيختال في تكسب الخير وايثار الجميل وشد الادب وقصد العلم كل ذلك سفطاً كما يحس الانسان بشرف ابويه فيتكل على ما سبق لاوليته ولا يشتغل زمانه العزيز في تحلية نفسه بحلي امائره واجداده واخواله واعمامه لكون ذلك زينة له في حياته وذكر العقبه من بعده فلاجرم اخرى من صاحبه كثيراً ثم قال سمعت بباب الطاق في هذه الايام وانسان من انكاد السوقة يقول لآخر من ضربائه شرفك ميت وشرفي حي وشرفك اخرس وشرفي ناطق وشرفك اعمى وشرفي بصير قيل له ما ذا اراد بهذا قال اراد اني بنفسي على جملة الفضائل الشريفة والحال المتمناة وانت بنفسك على اضداد هذه لا تحيي ولا تنطق ولا تبصر لم تنفعك ارومتك البيضاء ولم تضر في جرثومتي السوداء ومتى نابك امر فتحدث بشرف غيرك كنت بمنزلة الخصي المدل بحظ غيره وهذا امر لا يجهله عليم عند البصائع

مقايسة اخرى ٢٢

قلت لابي سليمان اني اجد بين المنطق والنحو مناسبة غالبة ومشابهة قريبة وعلى ذلك فما الفرق بينهما وهل يتعاونان بالمناسبة وهل يتفاوتان بالقرب به فقال النحو منطق عربي والمنطق نحو عقلي وجل نظر المنطقي في المعاني وان كان لا يجوز له الاخلال بالالفاظ التي هي لها كالحلل والمعارض وجل نظر النحوي في الالفاظ وان كان لا يسوغ له الاخلال بالمعاني التي هي لها كالحقائق والجواهر الا ترى ان المنطقي يقول بجبير وهو ينفعل والنحوي فيما خلاه اللفظ ومثاير هذا المثال شوايع ذوايع في عرض الغنيين النظريين اعني المنطق والنحو وكان التقصير في تحبير اللفظ ضار ونقص وانحطاط فذلك التقصير في تحرير المعنى ضار ونقص وانحطاط وحد الافهام والتفهم معروف وحد البلاغة والخطابة موصوف والحاجة الى الافهام والتفهم على عادة اهل اللغة اشد من الحاجة الى الخطابة والبلاغة لانها متقدمة بالطبع والطبع اقرب الينا والعقل ابعد عنا والبديهة منوطة بالحس وان كانت معاندة من جهة الحس وليس ينبغي ان يكتفى بالافهام كيف كان وعلى اي وجه وقع فان الدينار قد يكون رديء الذهب وقد يكون رديء الطبع وقد يكون فاسد السكة وقد يكون جيد الذهب عجيب الطبع حسن السكة فالناقد الذي عليه المدار واليه العيار يبهرجه مرة بردائة هذا ومرة بردائة هذا ويقلبه مرة بحسن هذا ومرة بحسن هذا والافهام افهامان رديء وجيد فالاول لسفلة الناس لان ذلك غايتهم وشبيه برتبتهم في نقصهم والثاني لسائر الناس لان ذلك جامع للمصالح والمنافع فاما البلاغة

فانها زايدة على الافهام الجيادة بالوزن والبناء والسجع والتقفية والحلية الرايعة وتخير اللفظ واختصار الزينة بالرقة والجزالة والمتانة وهذا الفن لخاصة النفس لان القصد فيه الاطراب بعد الافهام والتواصل الى غاية ما في القلوب لقرع الفضل بتقويم البيان قلت له فما النحو فقال على ما يحضرني الساعة من رسمه انه غير تصفية حاله وتنقيحه انه نظر في كلام العرب يعود بتحصيل ما تألفه وتعتاده او تفرقه وتحلل منه او تغرقه وتخطيه او تأباه وتذهب عنه وتستغني بغيره قلت فما المنطق قال آلة بها يقع الفصل والتمييز بين ما هو يقال هو حق او باطل فيما يعتقد وبين ما يقال هو خير او شر فيما يفعل وبين ما يقال هو صدق او كذب فيما يطلق باللسان وبين ما يقال هو حسن او قبيح بالفعل قلت فهل يعين احدهما صاحبه قال نعم واي معونة اذا اجتمع المنطق العقلي والمنطق الحسي فهو الغاية والكمال قال ويجب ان تعلموا ان فوايد النحو مقصورة على عادة العرب بالقصد الاول ناصرة من عادة غيرهم بالقصد الثاني والمنطق مقصور على عادة جميع اهل العقل من اي جيل كانوا وباي لغة ابانوا الا ان يتعلق من اسماء عند قوم وتوجد عند قوم فحينئذ الحال في التقصير يتوكل على تعلق الاسماء او على وصفها على الخلاف اما بالتواطي والاصطلاح واما بالطبع والاسماع قال وبالجملة النحو يرتب اللفظ ترتيبا يؤدي الى الحق المعروف او الى العادة الجارية والمنطق يرتب المعنى ترتيبا يؤدي الى الحق المعترف به من غير عادة سابقة والشهادة في المنطق مأخوذة من العقل والشهادة في النحو مأخوذة من العرف ودليل النحو طباعي ودليل المنطق عقلي والنحو مقصور والمنطق مبسوط والنحو يتبع ما في طباع العرب وقد يعتريه الاختلاف والمنطق يتبع ما في غرائز النفوس وهو مستمر على الايتلاف والحاجة الى النحو اكثر من الحاجة الى المنطق كما ان الحاجة الى الكلام في الجملة اكثر من الحاجة الى البلاغة لان ذلك اول وهذا ثان والنحو اول مباحث الانسان والمنطق اخر مطالبه وكل انسان منطقي بالطبع الاول ولكن يذهب عن استنباط ما عنده بالاهمال وليس كل انسان نحويا في الاصل والخطأ في النحو يسمى لحنا والخطأ في المنطق يسمى احالة والنحو تحقيق المعنى باللفظ والمنطق تحقيق المعنى بالعقل وقد يزول اللفظ الى اللفظ والمعنى بحاله لا يزول ولا يحول فاما المعنى فانه متى زال الى معنى آخر تغير المعقول ورجع الى غير ما عهد في الاول والنحو يدخل المنطق ولكن مرتبا له والمنطق يدخل النحو ولكن محققا له وقد يفهم بعض الاغراض وان عري لفظه من النحو ولا يفهم شيء منها اذا عري من العقل فالعقل اشد انتظاما المنطق والنحو اشد التحاما بالطبع والنحو شكل سمعي والمنطق شكل عقلي وشهادة النحو طباعية وشهادة المنطق عقلية وما يستعار للنحو من المنطق حتى يتقوم اكثر مما يستعار من النحو للمنطق حتى يصح ويستحكم فالمنطق وزن لعيار العقل والنحو كيل لصاع اللفظ ولهذا قيل في النحو الشاذ والنادر وورد في المنطق ما جرى مجراهما فهذا ما استفدنا من قوله وهو باب مفتوح يمكن ان يقال فيه من هذا الجنس ما يكون شاهدا له قال والسلام

مقايسة اخرى

قلت لابي سليمان كنا امس في مجلس ابي علي القومسي فجرى كلام في الظرف فقال له الاندلسي ايها الشيخ لم صار الظرف المخصوص بالزمان اكثر من الظرف المخصوص بالمكان فسكت هنيهة ثم قال لا ادري وليس هذا من النحو انما النحو في هذا ان تعرف ان الظرف ظرفان ظرف زمان وظرف مكان وتحصي اسماء هذا وتميزها من اسماء هذا وتعرف على المواضع المخصوصة بهما والاعراب اللازم لهما او بهما فقال ابو سليمان صدق ابو علي فلقد ظلم الاندلسي من اين يعلم ذلك وليس عليه في صناعته ان يبحث عنه لان مبادي كل صناعة مأخوذة من ناس آخرين قوامين عالمين قلت فلو افدتنا

فيه شيئا فقال الظرف الزماني الطف من الظرف المكاني والمكاني اكثف من الظرف الزماني وكان المكان من قبيل
الحس والزمان من قبيل النفس وكان الزمان من حد المحيط والمكان من حد المركز فوجب لهذا ان يكون تصرف الالطف
اكثر من تصرف الاكثف وبحسب تصرفه تكون اسماء الحوادث فيه تصرفه اكثر والزمان منسوب الى حركات الفلك فهو جوهر
شريف والمكان من جوهر المحيط فهو جوهر محطوط والفلك اقرب من الامور العالية فكذلك موسومه الذي هو الزمان
قال ومما يشهد ان الزمان الطف انك تقول زمان حاضر وزمان ماض وزمان مستقبل هذا بالنظر الاول وقد احتج
به كل الناس وهو يزيد بالمنطق على هذه القسمة زيادة بينة ومن اجل تصرف الزمان في الوجوه الكثيرة استخرج يحيى بن
عدي المنطقي من قول القائل القائم غير القاعد وجوها تزيد على عشرين الف وجه بالاف وربما اتى في ذلك حاضرة ثم
قال ومما يزيد لطافة الزمان وضوحا ان الزمان الواحد يحوي اكثر من واحد الى ما لا اخر لهما والمكان الواحد متى شغل
بالواحد عجز عن الثاني ثم قال واي نظر اشرف من نظر الفيلسوف الذي يترقى من السفل فيجول في الوسايط ويبلغ الى العلو
وربما انحدر من العلو فخرق بهذه الحجب كلها مبينا عنها وعن جملتها وتفصيلها بمعرفة موزونة من العقل ورويه
مؤيدة بالبصيرة وحقائق بالعدل موزونة وتصفح بالغا الى الحد الاقصى بلا طرف ولا ترتب ولا شك ولا مرية بل علو تام
ومعرفة اختيار وبيان جلي وشاهد قائم وبرهان موجود وللمشغوف بالحكمة في هذه المواضع مواقف ومسرح ومرمى
ومفتح وذلك لان الالهية عالية وعلايقها متشاكلة متناسبة ومواهبها متقاربة متواصلة كشف الغطا بالنظر الخصوص
بان منها ما يبهر كشعاع الشمس وكان نضر الله وجهه اذا سلك هذا الوادي سال عرقاه ولم يدرك طرفاه وكان
يخرج من باب الى باب ومن صنف الى صنف استراحة من طول جامد وانسابه يقعم عنده بعض مرامه وذلك انه كان مهجورا
مطرحا فيطول سكوته وتنقبض عفاريته فاذا احرك ادنى تحريك انفتح وانفرج وترك التقية الموحشة والمداراة
الثقيلة وكان ربما انشد بعد هذا الشوط الطويل والنفس المديد قول الشاعر لو كنت اقدر ان اقول لا
لشفيت من قلبي غليلا * لكن لساني صارم * فليت مضاربه فلولا * مقابسة اخرى سالني ابو سليمان
يوما عن الطبيعة وقال كيف هي عند اهل النحو واللغة اهي فعيلة بمعنى فاعلة او بمعنى مفعولة قلت انا اكره ان اتجلل
الجواب عنها العلي ارتج فيه الى الاعتذار منه ولنا الشيخ ابا سعيد السيرافي غدا ان شاء الله فهو اليوم عالم العالم
وشيخ الدنيا ومقنع اهل الارض فقال انه لكذلك اجعله منك على بال وتلطف في تحصيل ما عنده اجمع في هذه ال
المسئلة فسالت ابا سعيد عنها فقال هذا من قبيل الاسماء المحضة لا من قبيل الاسماء المشوبة فلا يقال لذلك انه
فعيل بمعنى فاعل كقدير بمعنى قادر ولا يقال انه فعيل بمعنى مفعول كذبيح ولكن يقال هو فعل في اصله ككبير و
اثير ومع هذا فمعنى الفعل به اقرب من معنى الفعل منه ولفعيل اسرار ووجوه وقد كان بعض الناس زل
فيه عند بعض الامراء فالربيك بد من اعتباره على طريقة هذا السايل فلان يكون بمعنى مفعول اولى وذلك
انا نقول طباعه كذا وكذا وطبيعته اي ما طبع عليه وبمعنى فعل والمفعول فيه ابين واخوانه يدلك على ذلك اعني
الضريبة والسليقة والسجية والغريزة والنحيزة قال وهذا الكلام كاف في الحرف فاسترده تره فانه ينفع فاتي باشياء
لك نشرها هاهنا كالموجب وان لم تكن محتاجا اليه من كل وجه ولكن الكلام له صورة لا تملك وغاية لا تدرك

واذا عاودها زدته بفايدة لعلها تشاكل نفس ما نحن فيه وتسهل له وتحدث عنه فقد برينا من العنف واللوم و
الافراط في التوبيخ ان شاء الله تعالى قال واعلم ان للافعال مراتب مختلفة ومواضع متباينة فالظاهر منها مرتبة

ضرب وما أشبهه فإنه نافر إلى مصدر ولست أعني بما أشبهه ما كان مثلاً شيئاً بل ما زاد عليه أيضاً ولكن بعد أن يكون
الأثر منفصلاً من فاعله ثم ما بعد هذا أيضاً مراتب على ما يليه كقولك حلا وعلا وكرم وظرف وعلم وسلم و
ثبت ورتب ثم قال ما زاد أيضاً مثاله هذا أحكم كقولك تدحرج واحرنجم والانسان له في كل شيء من هذه
الأشياء شكل يباين شكل الآخر ضرباً من المباينة يشعر به مرة ويسهى عنه أخرى ومجموع الأفعال فعل يحدث بك
من غيرك مثل ما يحدث لغيرك منه مثاله ضرب وضُرِبَ يحدث بك منك مثاله حسن وسمج وضرب يحدث
فيك مثاله خجل ووجل وخشي وفي نوع ما يحدث بك ما يجوز أن يؤمر به وأن ينهى عنه مثاله اشجع ولا تجبن و
اعلم ولا تجهل وها هنا ضرب تحدث أنت فيه أو تحدث به مثاله ركب وجلد وأعلم وإذا حققت النظر كانت الطاقة
أغلب على جميع هذه الضروب إلا ما تميز عنها ولم يلتبس بها إلى ها هنا حصل ما اتصل بها كتابه وكرهت ختر الر
عنه وإعوده فإنه مرصد وإنشاءات بديع في هذه المقابسة بجزء نعم فبادرت بالجواب إلى أبي سليمان وقصصته وقرأته
عليه فقال هذا أحسن مقبول ويدل أن ما سمعته من هذا الشيخ غيض من فيض وشرارة من حريق ثم قال و
إنما يصح قوله هذا إذا لحظ المعنى الذي خصت الطبيعة به من قبولها من النفس وانقيادها للتصريف فيها و
انفعالها بتفعيلها فإن الطبيعة كالعبد لما أعني النفس وكالشيء الشاخص فإنه المنتظر لما يلقى اليه ويرسم له
لا يتعدى حكمه ولا يعصي أمره ولا يخالف نهجه وهذا شأن النفس مع العقل ولكن أعلا من هذا لأن الفيض
الأول والجود الأول لا واسطة له ولا شوب ولا عارض عليه ولا كره فيه ولا اختلاف ولا تزاحم ولا اختلاط ولا تدا
فع ولا اعتراض بل على نوع الخلوص وما يزيد على ما يقع في النفوس ثم التنزيل والتدريج والتوشيح يفيض ذلك
كله في الطبيعة بحسب إباياتها وسفاقاتها وتقوابها ومعانيها ويظهر عند ذلك الأشكال المختلفة في الأشخاص وتبدو
قواه بوسائط المساع والإحساس فأما الذي في حقها فيما يقبل منها ما دونها وينقاد لها ويأتمر لأمرها ويجري
على رسمها ويظهر تشكلها في الأجزاء المتشابهة المختلفة العناصر المختلطة والمتميزة والمواد المستعدة والآ
بية والأشتات المتلائمة والمتباينة فإنها في حد الفاعلة التي تطبع وتنقش وتصلح وتجمع وتؤلف وتنقض
وتحفظ وتبيح وتغذو وتستخرج وهذه الرتبة حصلت لها من تقبلها النفس لأنها أعطتها صورتها وكانت
فاعلة بها ولأنها تبلت منها فكانت منفعلة لها فلها الرتبتان والحدان بنظر ونظر ووجه ووجه قال وإنما وقف
على هاتين الحالتين الأولى بموجب اللسان العربي والثاني بقضية الاعتبار النظري لم يبق في الطبيعة
من هذا النسق ما يفتقر إلى إيضاحه والإبانة عنه لأن النصفة تداق على كل ما كان في القوة من هذين الوجهين
فأما حدها الذي حولها بالتحقيق وهو ما قال أرسطوطاليس إنه مبدأ الحركة والسكون وإيضاح هذا بين في
الكتب الموضوعة فيه وفي أشكاله وإنما تقويت العناية في شرح هذا القول على قدر ما بدأ من المسألة والجواب تابعة
حاملك الله من هذه المقايسات الثلاث لأنها متواخية في بابها أعني أنها في حديث النحو واللغة والمنطق والنظر و
بهذا أبين لك أن البحث عن المنطق قد يرمي بك إلى جانب النحو والبحث عن النحو يرمي بك إلى جانب المنطق ولولا
أن الكمال غير مستطاع لكان يجب أن يكون المنطقي نحوياً والنحوي منطقياً خاصة والنحو واللغة عربية والمنطق
مترجم بها ومفهوم والخلل على قدر ذلك قد دخل فيها بنقل بعد نقل وشرح بعد شرح

٢٥ مقابسة أخرى

قال سمعت شيخنا أبا سليمان يقول معارف الناس بالقول المجمل على التقريب تنقسم أصولها إلى الظن والوهم

الحدس والعقل واليقين والشك والغالب والسابق والايهام والايحاس والخاطر والسانح واللائح ثم ان هذه كلها
تتخالف مرة وتتلابس مرة وتتراءى مرة وتتوارى ولن يتخلص مطلب من المطالب لاحد ذهب من المذاهب من شوائب
شائبها على قدر القلة والكثرة والضعف والقوة واللين والشدة على حسب المزاج والهيئة والخلط والطبيعة والمنشأ والعادة
وعلى ما يجب للانسان من استبداد او تقليد ولو خلص مظنون من موهوم وتميز محسوس من معقول وانفصل معلوم من
مجهول وبان سليم من سقيم هواه لكان لا يدخل الظن في العلم ولا يدب الحس في العقل ولا يتغشى العقل في الحس ولا يكلف الحق
بالباطل ولا يصفو الباطل بالحق لتوضحت الاشياء باعيانها ونفيت من ادرانها وزال شك الناظر في اثباتها ووقع على حقايقها
وانابيها وعاد ثلج الصدر باليقين مغمور النفس بالسكون غنيا عن تأليف القياس البرهاني وتصنيف فنون القول البياني
ولكن الانسان مضروب بالظن والحدس ممنوع بالعقل والحس وهو مردود بين النقص والزيادة ومعرض في كل وقت للشقاء
والسعادة لا انفكاك له من جميع ذلك ما دام في سكر الطبيعة وعقد الجزئي وجهل الكلي اللهم الا ان يلبسه الله لباس [illegible]
ويغشيه غشاء العصمة فحينئذ ان قال قال الصواب وان فعل فعل الواجب وان اعتقد اعتقد الحق وان هم هم بالخير وان نوى
نوى الجميل وان حث حث على الصلاح وان زجر زجر عن الفساد وان لحظ لحظ العلو وان غض غض عن السفل فقال له
بعض الحاضرين فكأنه يفارق الطبيعة البشرية وينسلخ من العوائق العنصرية فقال يفارقها من وجه ولا يفارقها من وجه
بان يميت هواجسها اماتة ويسكن سوالحها تسكينا ويخمد لواهبها اخمادا او يقتدر على بلوغ هذه الغاية اقتدارا ولا
يفارقها بان يبقى انسانا لا طبيعة له ولا مزاج ولا بشرية فهذا امر لا يجب ان لا يكون وتقدر ما امكن من ذلك قدرا [illegible] وبكل
همته ويشرف على حال سنية وهذه هي حال افلاطن الفلاسفة الكبار وحال البررة الاخيار وحال من قد خصه بالزلفى واناف له على
الذروة العليا واندمج في هذا وما شاكله يقوى بدر وتبرح وتمر وكان كاملا بهذا الفن لا يؤتى فيه من عي ومن [illegible]
من نقص ولبسنا مجلسا وعنده فهذه العشية وكانما قد نهلوا من الخمرة الصرف والشراب العتيق وكان كلامه اكثر من هذا
ولكن الى ها هنا بلغ حفظي وتتبعي وسهري عند ما يتعلق بالقوم ولا يورث السأم ان شاء الله تعالى

مقابسة اخرى ٢٦

سمعت ابا اسحق الصابي الكاتب يقول رايت ثابت بن قرة الحراني في المنام قاعدا على سرير في وسط دجلتنا هذه وحوله
ناس كثير كان كل واحد منهم من قطر وهم على خلق مختلفة وهو يعظهم وينبههم في خلال وعظه وكلامه وحصلت له
نكتة شريفة هبت مني في اليقظة وساءني ذلك هذا وكنت اسرح تفكري كثيرا في الظفر به والوقوع عليه فلا يطوع لي
فلما كان بعد دهر وبعد اختلاف احوال ذكرت انه قال خذ يا ابراهيم ثمرة الفلسفة من هذه الكلمات الشافية التي
هي خير لك من اهلك وولدك ومالك وربيتك اعلم ان اليقظة التي هي لنا بالحس هي النوم والحلم الذي لنا
بالفعل هو اليقظة ولغلبة الحس علينا قد اتفقنا ان الامر بخلاف هذا ولا فعلية العقل مكان الحس يتضح لك الحق في
هذا الحلم فاذا وضح هذا فالواجب ان ينبغي ان ينقص من الحس ان ظننا ان اليقظة من ناحيته ويلتبس بالعقل ان
ظننا ان الحلم من ناحيته كان ابو اسحق يقول وهذه النكتة حققتها وشيها ولكن بقي ان نفهم منتفعا بها وتسمع على
وجه التقبيل لها لا على معنى الاعتراض لها الفلسفة هي لطائف العقل فكل من لطف وصل اليها ولطفه الا انا
في طلبها هو تأتيه عنده لتفهم وصبره عند الطلب وشانه على السيرة التي ندب اليها المشفقون الناصحون فان النفس
تزكو عند ذلك والصدر ينشرح والخاطر يتوالى فلا يبقى حينئذ باب الا انفتح ولا مشكل الا وضح

مقابسة اخرى ٢٧

سئل ابو سليمان هل يجوز ان يقال للانسان ذو نفس كما يقال هو ذو ثوب وذو مال قال اما على التحقيق فلا لانه

ان الانسان قد يكون ذا ثوب وذا مال وقد لا يكون ويستحيل ان يكون الانسان انسانا الا وهو ذو نفس الا على استعارة والمجاز قيل
له فهل تقول ان النفس ذات انسان قال لا لانها غنية عن الاضافة الا ترى انه لا يقال ان الثوب ذو انسان وان اليد ذات انسان
كما يقال ذو ثوب والانسان ذو يد لانه لا حاجة بالثوب الى الانسان وانما الحاجة بالانسان الى الثوب واليد ثم قال واعلم انه ينبغي
ان يفهم من قولنا الانسان ذو نفس انه بالنفس انسان لان الانسان عرف بالنفس انه انسان ومما يزيدك بيانا انك اذا قلت فلان ذو
نفس فقد صرت في الانسان نفسا في الاول ثم ميزته بعد بقولك ذو نفس وهذا رجوع فيما اعطيت الا ترى انك اذا قلت الانسان
ذو ثوب لم تتضمن الثوب في الانسان بل تميزه منه حتى يكون اشارتك الى هذا غير اشارتك الى هذا فقد انكشف ان الانسان
لا يقال هو ذو نفس الا على سعة وتجوز ومما يزيدك ايضا استبانة ان معنى الملك يستحيل في هذا الكلام وقولك الانسان
ذو ثوب ايضاح للمالك والملك غير المملوك وليس للانسان مع النفس ذلك لانه لا يملك النفس بل النفس تملكه الا ترى انها تصرفه
وتكلفه وتستعمله وتستكمله فاين معنى الملك الذي يقتضيه اللفظ فرجع ظاهر هذا القول والسلام **مقابسة**
اخرى قيل لابي سليمان هل هاهنا غير المعقول والمحسوس فقال الترتيب في القسمة الصحيحة يوقفك على هذا وتزيد عليه
وذلك ان ثمة اشياء كثيرة في هذا الباب اولها محسوس ثم محسوس معقول ثم معقول بحت لا معقول محسوس فاما المحسوس
البحت فما للبهيمة وما يجري في حكمها واما المعقول المحض فما للفلك باسره واما المحسوس المعقول فما يتخيله الانسان
الذي لم يصف بعد واما المعقول المحسوس فما يدركه النظر بالبحث وكلما امعن هذا بلغ الى عالم الاجرام الناطقة
التي قد غنيت عن الحس بفضل ما لها من الفيض الالهي ثم قيل له فما ابلغ قال قد قلنا مرارا بان تستنير نفسه بالمعارف الصحيحة وتعتدل
سيرته على الطريقة العقلية وتطهر اخلاقه من الاوساخ الطبيعية فتعلق قوته في الامور العالية قيل له فلم استغنى في نهاية المعقول عن
الحس ولم يستغن في نهاية الحس عن العقل فقال لان المعقول في نهايته حس والحس يحتاج الى ما ان تفع اليه ولا بد من حس يبين به
المتابعة في العموم ولا بد من عقل يوصل به الباري على الخصوص والحس راجع ولكنه يرد لمن هو اهلا منه والعقل مستزيد لكنه
يستزيد من هو دونه فوردت العلة في الاصل والفرع اصل الوجود وفرع العدم تراجع وانتهت الحال ثانية الى ما لا يعرفه الحاجي
ولا يدركه استحسان ولا يناله المترف كسلا والسلام **مقابسة اخرى** سمعت النوشجاني يقول قد صح
بالعبرة الصحيحة والتصفح الشافي والنظر البليغ ان الفاعل الاول هو علة كل ما يراد يوجد ويعقل ويحس لا قصد له في
افعاله ولا غرض ولا مراد ولا اختيار ولا روية ولا توجه ولا عزيمة ولا معالجة ولا مباشرة ولا مزاولة ولا محاولة فقال له
بعض الحاضرين لو ايدت هذا القول ببرهان ساطع او بدليل مقنع كنت قد شيدت ما اسست وقويت ما بنيت فقال
ان هذه كلها دخلت افعالنا لعجزنا وفسولتنا واختلاطنا وضعفنا وتهافتنا وتخوننا وتبدلنا وسيلاننا وجريت مكاسرنا
بها وتمت مواقفنا بمواصلتها وانبثت مفاقرنا باستعمالها فاما الباري الحق الذي هو واهب كل كامل كماله وجابر
كل نقص نقصه فهو علي عن الاغراض والعلل والمسالك تعالى له السائل فكيف اتفقنا على انه منعوت بالحكمة وافعاله
على ما زعمت وكيف بان عن هذا ويتحقق حتى يخلص من شوائب الحظ والقلوب وسائر اللفظ من الالسنة فقال لعمري
ان في ايضاحه لصعوبة وعسرا وان كان العقل قد قضى بما قدمته وعلى صعوبة ذلك فاني اولف على التقريب قولا
عسى ان يكون للسامع فيه رضى ومقنع ان لم يكن فيه براعة وسمع ثم ابتداء فقال قد وجدنا في افعالنا ما يندر في
بعض الزمان من غير قصد مفروض ولا مراد متوجه ويشتمل مع ذلك على النظم والاتقان والصواب والاحكام و
الموآمة والسلامة حتى نعجب من اتفاقنا غاية التعجب ونتهادى الحديث به وليس منا احد الا وهو يحيل هذا لنفسه

٢٨

٢٩

مختنق

من فعله أعني الباري والخارج عن قصد متقدم وعزم مستحكم ورأي مثبت ومقدمة مرتبة وحتى يظن كثير منا
أن ذلك انقلب بلا مؤامرة وانبجس بلا فكرة وانبعث بلا روية وتم بلا قصد وحدث بلا مقدمة وعرض بلا علة وكأنه
كالشيء الكائن بنفسه القائم بذاته وعند اتفاق الأمر على التمام وانتظامه يكثر شكرنا لله عز وجل وحمدنا إياه فمن الذي
كان صنعا منه لنا ولطفا منه بنا وبدءا سبقت بالحسنى إلينا ونعمة من الله تعالى توالت علينا وقد تتصل ببعض أفعالنا
وأعمالنا أيضا بالقصد والعزيمة والرأي والهمة والروية وسائر مقدمات العقل وأوائله وأعيد وقوي بعد ومع
ذلك تزل عن شرح النظام وتعدل عن طريق التمام وتحيد عن سمت الغاية وتزول عن بلوغ الحد والنهاية فا
لأول النادر منها منهاج لنا أن نعلم أن الفاعل الأول أحكم فعله فلذلك الحكم بلا أجل منه أيضا كثيرا وإنما ضربنا
هذا المثل تمثيلا وإن الذي كان منا في القنية بعد القنية والفرط بعد الفرط هو الذي يكون منه على الديمومة
والسرمدية على هيئة أشرف مما يعتاد ويستأنف والشاذ النادر منا أيضا طريقا لنا إلى أن نعلم نقصنا في كمالنا
وعجزنا في قدرتنا لأن القدرة تنقص والروية تتقدم والغرض ينتصب والفعل يمكن والتحصيل يقع ومع ذلك
لا يتم الفعل ولا يصح المقصود وفي النادر الأول يتم ذلك كله وليس هناك داع قوي ولا ضعيف ولا شيء من [illegible]
واه ولا حصيف وبين هذين النادرين يجمع الأفعال بالاستطاعة والقدرة والقوة والتمكين والدواعي الـ
بد منها دائم ولا يمنع من الاعتراف بذلك ممتنع فقد شهد العقل في مراتب هذه الأفعال بين ما قدر في الطرفين وبين
ما استتر بينهما بأن الفاعل الأول يفعل ما يفعل بغير قصد ولا روية ولا اختيار ولا غرض بشهادة ما بدر من الإنسان في وقت
دون وقت ولو تمت أفعال الإنسان أبدا بلا قصد ولا روية ولا غرض ولا إرادة وصار هذا النادر منه مألوفا كانت هذه
القوى فيه فضلا أو عبثا ولو كانت أيضا تتم أبدا بها ومعها وعندها ومن أجلها كان ضنا فالينا وعولا علينا غير موقظ
في عرضها على أسرارها ولا مدعوا إلى البحث عنها ولا منبه على اعتبارها واستثارها فاعلم الله هذا الإنسان هذه لا
القوى عارية والبسه هذه الحلل بيت الباشا ومترفيها تصريفا فإن يريها شيء فلذلك المعوق حاش هذا الإنسان
إلى الإذعان والطاعة قلت له وقد بلغ بهذا الموضع بعد ابتهار وجهد ولم يبد من الإنسان ما بدر في الأول فالإنسان
فيه جنبة إلهية وجزء رباني يلتحق به ما يتسق ومن أجله يتفق ما يتفق قلت فلم بدر منه النادر الثاني قال لأن
هيولاه عالية وطينته سائلة وصورته التي هو بها ما هو ممتزجة ولا بد للهيولى من الانفعال الذي هو من شأنها
ولا بد للصورة من الفعل الذي هو من شأنها وكل متقدم منهما ظاهر أثره ظاهر إلى أن يغلب سلطان الصورة فيبطل حكم
الانفعال أو يغلب سلطان الهيولى فيبطل حكم الكمال والتوسط بين هذين هو الذي يسلك إلى الغاية التي يسعد بها وإلى
النهاية التي يشقى بها ونحن نسأل الله عصمة تقي ونعمة تزيد وتنمي قد زال أبقاك الله عن سمعي وبصري وصدري
كثير مما كان من هذه الجملة والبقية كما تراها وبما لحظها العقل بالتحيز والوجب فتلقاها بالبشاشة والبشر وليس
يوصل إلى أعماق الفلسفة وعويص الحكمة الإلهية إلا بالإشارة والإيماء والرمز والإيماض

مقابسة أخرى

قيل لأبي زكريا الصيمري بباب الطاق في الوراقين وأبو سليمان حاضر بلغنا أنك لا تقول إن الباري شيء وهذا مذهب
الشنع إن لم يكن كالمحال والمعروف غيره عند كافة الناس فقال قولنا شيء ليس باسم ولا فعل ولا حرف ولا نعت
ولا مصدر ولا ظرف ولا حال ولسنا نجد أيضا ما يقع فيه ولا منزعا ينزع إليه وإنما صار له مفهوم بحسب اتصاله
بغيره وانضمامه إلى ما يتم به كقولك هذا شيء إذا أضفت إلى نفسك وهذا شيئك إذا أضفت إلى مخاطبك وهذا

شيء خارج عن هذه الوتيرة المعترف بها واما قولك شيء على نكرته واصله وتجرده فليس يجلب فائدة ولا يحدث ثمرة ولا يوجب
علما والنفس لا تأخذ منه معنى والفهم لا يخلو منه جملة والحس ينفر عنه ضربة واحدة فاما ان عرفته بالالف واللام
فقلت الشيء فانه لا يكون له ايضا ثمرة حتى تتصل المعرفة المجتلبة اليه بغيره وتنكشف اللام الا ان يكون بينك وبين صاحبك
عهد بشيء من الاشياء فحينئذ ذلك العهد يشير الى خبر ذلك الشيء الذي في نفسك ويذكر عهده لك به وعهده بك
ثم قال فان قلت مستريب الى لا يكون للاسماء قبل لانه لا ينبغي ان توجد شيء من الاشياء ثم يولي سما بانه زيد او نعت
بانه طويل او حال بانه قائم وخاصة بانه ضاحك وسائر ما يتبع هذه الاوايل مما لا يحصى كثرة وهو مشهور عند كل احد
فان سميت ما لم يوجد فذلك لانك اعرته اسم اخر موجودا فان قلت فلم لا يكون نعتا قيل لك لانه قبل ان ينعت
يكون شيئا وانما النعت يقرره ويبينه ويحليه ويوضح عنه فان قلت ومن اين كان هذا هكذا قيل لاشتمال قولك الشيء
واحتوائه الا ترى انك تطلقه على المعدوم على تفاوت درجاته كما تطلقه على الموجود على تباين طبقاته وتعين ما في الحس
تعيينا كما تشير به الى ما في العقل اشارة وتستعمله فيما يفرضه فرضا من غير حقيقة كما تستعملها فيما هو موجود له حقيقة
فلو توهم على كل ما عدم ووجد ويعدم ويوجد ما وجب ان لا يطلق على من كان يعلو على كل شيء وهو منبعث بكل شيء
ومعطي كل شيء ما على ما هو به من جسم وجوهر ومحسوس ومعقول ومفروض ومعلوم ومشهود وموهوم وبائن
وثابت وكنت سمعت الشيخ علي بن عيسى الرماني النحوي الصالح يقول الشيء مصدر شاء يشاء شيئا كقولك جاء
جيا والمشيئة كالجيئة وانما اعمل على ما ترى لتعلق ما يجد حسا وعقلا وظنا ووهما فالمشيئة والشيء بهذا المعنى بعض خصائص
الاسم وخرج به عن اصل المصدر ولهذا اشباه وقال ابو سليمن في هذا المجلس زائدا في هذه الغاية لا ينبغي
ان يطلق على الباري موجود قلنا ولم قال لان الموجود مقتض للواجد لا محالة والواجد في صيغته مقتض للموجود
لا محالة فالرباط قائم والتعلق بين والله تعالى يجل عن هذه الرتبة لانه لا واجد له ولو كان له واجد لكانت مرتبة
الواجد فوق مرتبة الموجود بدلالة سائر الاسماء والصفات قلنا له قد قيل معبود ومحمود وموجود وما ضارع
ذلك فقال اما اذا تجوزت في الكلام وتفسحت في العادة فكل هذا على باب واحد وانما الخصوصية للذين
دققوا في التوحيد من هذه الجهات الغامضة والاشارات اللطيفة على ان الذين اباحوا هذه الاسماء اعاروها اياها
لانهم نقلوه من غيرها ونعتوها بها وذلك غاية طاقتهم ومبلغ علمهم ونهاية جهدهم ثم قال ان اطلق الموجود على انه
فقط جاز لان الموجود في الاول انما اقتضى الواجد وصار مضمنا به لانه التبس بالصفة فاما اذا جرد اللفظ من معنى
النعت واستعمل على مدرجة الاسماء لم يكن كبير تقصير الا من وجه واحد وهو ان هذا الاسم بعينه هو صفة في
مكان اخر فالشركة حاصلة ضرورة والتوحيد مباين للشركة كانت الشركة بيانا او اشارة او تلبيسا وحقيقة وهذا كما
تسمع وما ازيدك استبصارا وتعجبا منه واستغرابا له وهو نمط ما سمعته من صنف هذا من الناس فان سرك
فاستغله وان ثقل عليك فدعه لاهله فلست الغيار على هذا الفن **مقابسة اخرى** سمعت مقلدا يقول ١٣
لو انتهى غرض من تقدس وعلا في الانسان مع هيئته المعروفة وحليته المالوفة الى ان يموت ثم لا يكون له بعث
ولا نشور ولا معاد ولا منقلب لما كان ذلك قادحا في الحكمة ولا متحيفا لطرف من اطراف حكمته ولا معاندا لما
يليق بربوبيته فكيف وقد نصب العلامات واحكام الشواهد والبينات واقام البرهان والايات على تحقيق المعاد
وحصول السعادة والشقا بحسب الصور الموجودة لواحد واحد ثم قال لو سئلنا العقلاء باسرهم او سئلنا



اعقلهم فقلنا ما تقول فی بدنك اذا ابطل باسره ولم يبق منه شیٔ الا العین التی من شانها أن تبصر الاشیاء فأجاب لا يمتنع وان يكون اذا لم يكن بد من فناء جميع البدن باجزائه فلان تبقى العين وهی اشرف ما فيه والسمع وهو فی الشرف خير من ان لا يبقى شیٔ ويبيد كله ويضمحل جميعه قال فيقال له فكذلك النفس فی بقائها بعد ان يصرح عنها قشورها وتفارق مختارة لبوسها قال وانما ضربت هذا المثل وعرضت هذا التشبيه لانه قال فی قائل الانسان لا يبقى فاذا لم يبق الانسان فاية فايدة فيما يبقى منه اوله او آخره قال وهذا لو ضرب له مثل بمن له ولد اغنى لو قيل لا سبيل الى بقائك بذاتك لانك لا تحتمل ذلك بعنصرك ولكن يبقى بعدك ولدك الذی هو بضعة منك وقائم عنك لاثر بقاء ولده من بعده ايثارا احسنا اطيب النفس فانه يرى ان ولده منه وهو هو لانه يرى امه اصله وخلاصته وبصاصته وسلالته ولا يكاد يفصل بينه وبين نفسه الا بالشخص والشخص فقط ثم قال موضحا لما اتصل بصدر كلامه اعلم ان الانسان لا يبقى انسانا لان الانسان بما هو انسان بحد النطق فاذا صفا ما كان به كدرا وانبسط الى ما كان عنه مركبا والتحق بما كان به متحدا وبدا وان ما كان بها باطنا محطوطا وخلع الصورة الملابسة للحس والغشاء اللاصق بما من ظاهره فانه حينئذ يكون الباقی الذی كان مرة انسانا لا لان الانسان اسم للحد المعروف اعنی الحی الناطق المايت فاذا ارتفع الحد ارتفع الاسم وحقت الحقيقة التی كانت النفس موجودة بها حاصلة الا ترى ان الانسان اذا اقدم فكره فی حالته الخالية الايام الماضية قبل ان حوى حلى ومثل صورته واقتنى بخاصته ونوعه وفصله وجنسه وعرضه ثم انه كان علی حال اخرى ولم يكن يجب من ذلك ان لا يكون فی الثانی علی هذه الحالة فكذلك ان كان الآن علی ما هو عليه ثم تحول عنه الى ما ليس الآن عليه ليس ينبغی ان يكون منكرا مردودا ومعجبا منه مجحودا لان الذات باقية كما كانت فی الاول وانما تخللت حجبا وقطعت طرقا واستعملت اشكالا واظهرت احوالا واستكملت استكمالا ونالت شرفا وعلوا وجلالا **مقابسة اخرى** سمعت عبيدة الكاتب يقول لابی محمد العروضی وكان ابو محمد يتفلسف ولزم يحيى بن عدی دهرا انا قليل الحظ يا و قد ساءنی هذا وقد خلت ان ذا من عمی القلب فقال ابو محمد هذا يكون من امرين مختلفين المرتبتين احد الامرين كدر النفس بالجهل وظلمتها بالغباوة ونحافة صورتها بصدإ الدهر وقلة اقتنائها المعارف وشدة انجرادها من الخير وهذه حال دهماء العوام واما الآخر فهو ان تعلو النفس فی مراتب المعارف وترتقی بما فی العلم فيصير حالها فی الحلم قسيمة حالها فی اليقظة الا انها تحتى اذا احس قرطس واذا ظن طن واذا اوهم هجم واذا اعتبر عبر وربما تحولت الى ما يرفع العقل فقط باستخراج الدقايق وتأليف المقدمات واستنباط النتايج والوصول الى سواد الحق وبحبوحة الصواب وربما صارت لها مصارحة للحقايق بزوال الوسايط ای من غير اعمال اداة واحضار الة قال وهذه كلها من درجات النفس تارة من ناحيتها بالبحث والتنقير والنظر والتقليب وتارة بالوحی والالهام والالقاء والسنوح والموافقة والمصارفة وما جرى فی نظاير هذه المعانی والتمس بما يكون شطرا لها وهذه حال تقع اولا فی مزاج مهيأ وترتيب معدل وطينة حرة ثم يظهر ثانيا بتهذيب النفس وتطهير الاخلاق وتصفية الاعمال وقمع الشهوات وكل من كان قسطه من الحال الفلكية اوفر كان مضاره فی الحال البشرية اظهر وهذا باب طويل الذيل ومجالس فيما وقع النفس عليه ووصلت الاشارة اليه بلاغ لمن اثر شأنه وقصد حظه وبذل سعيه وامر غايته وفقنا الله لما يحب واستعملنا فيما يرضى انه قريب مجيب **مقابسة اخرى** سئل ابو محمد العروضی مرة عن الحركة والسكون ايهما اقدم فقال اما عند الحس فالحركة اقدم واما عند العقل فالسكون اقدم وبعد فالسكون علة الحركة وكل حس فقوامه بالحركة وكل عقل فصورته بالسكون و

٣٢

٣٣

تظاهر بالعهد وخاصته بالطمأنينة واثره بالقرار وقوته بالنفس وكان من فيض العلة الاولى وجوده ولان هذا النعت لكل مادونه فالاستعارة له بالواجب والحقيقة والسكون عند العقل علم الحس والحركة عند الحس تأثير العقل في المال اما انه شك بها عني اكثر قوله وسمعت ابا سليمان يقول ما هو نحو هذا القول ويجار معه فان سكون العقل في نوع الحركة وحركة الحس في نوع السكون لان حركة الحس الى الاضمحلال والنكول وسكون العقل الى الكمال والحصول وقال انما الحركة التي نعتقد انها ضد اعني السكون هي الحركة التي الفقدان وبلاد الحس فاما الحركة لنوع السكون فلا ضد لها بوجه لان العقل كل بمعنى واحد وواحد بمعنى كل وله هذا باشتمال العلة الاولى عليه واقتباسه منها وقد وضح ان السكون مدامها فكيف يكون ههنا وجوه قيل له في هذا المكان فالعالم ساكن او متحرك فقال لو كان متحركا الحركة المعروفة لقلق واخنى ومال وتهافت ولو كان ساكنا لبقي فلك على حال ولكنه متحرك حركة استدارة فلذلك ما يظن به سكون وساكن لسكون قابل للفيض فلذلك يظن به الحركة فالتشوق حركة ولكن عقلية والدوام على التشوق سكون ما ولكن عقلي فكل ما قد فاض من العلة الاولى يقبله المعلول الثاني وهو موجود على مراتبه المتباينة ودرجاته المختلفة بين الطرف الادنى الى الطرف الاقصى مع ذلك نقل ونقد الجميع تجاه كل متصفح وقبالة كل باحث فليس لك هب من جميع ذلك بشيء الا بسوء الاختيار وقلة الاقتباس بلا فاصل الاخيار حفظك الله ولو انتفعنا ببعض هذه العقول الكريمة سحل ما نلنا منيتنا فسل ربك ذلك بالتضرع اليه والخضوع بين يديه مع العبادة الدائمة والبحث اللطيف والمودة العتادة الاحسان الى البرية فانك تعطى بغيتك وتبلغ غايتك وتنال سعادتك انشاء الله تعالى **مقابسة اخرى** سمعت ابن يحيى

٣٤

يقول وكان صحب عيسى بن على دهرا وهو حملني بدعوته اللطيفة الى مجلسه من البين ان الموجود على ضربين موجود بالحس وموجود بالعقل ولكل واحد من هذين الموجودين وجود بحسب ما هو به موجود فالحس واما عقلي فعلى هذا النفس لها عدم في احدى الموجودين وهو المحسوس ولها وجود في القسم الاخر وهو العقلي وقد كان الدليل على هذه الحال حاضر في هذا العالم وذلك انها كانت تنقد وتستنبط وتعقل وتستبطن وتنظم المقدمات وتدل على ينابيع المعلومات وتعلو الى غاية الغايات وليس للحس معها شركة ولا له عندها معونة ومادة فكيف لا تكون النفس التي هي هو ان كانتها وصريح كيانها وفاضل عنايتها بعد مفارقة القشور والحواجز والحيطان والمواجب والعوائق اللاتي عن الحس اغنى وبجوهرها اعلا وبخاصتها اسنى وهذه الاشياء عنها ابعد وعن شرفها احط وهل هذه الشهادة الا عادلة وهذه البينة الا مقبولة وهذا الحكم الا مرضي وهذا المثال الا بين ثم قال ولكنها يعني الحكمة لا يصل اليها الحسي الجافي والغليظ القدم والجلف العيام والعبلاجة العلفوف وانما هو تعرض لمن صح ذهنه واتسع فكره ودق بحثه ورق تصفحه واستقامت عادته واستنار عقله وعلت همته وخمد شره وغلب خيره واقبل رايه وجاد تمييزه وعذب بيانه وقرب اتفاقه قيل له هذا عزيز جدا الآن ومحصول من ذلك

ما سمعته الآن فسر نفعنا الله به وجلاه بازيره واستعد نابقبوله **مقابسة اخرى** سمعت ابا اسحق النصيبي المتكلم وكان من غلمان جعل يقول ما اعجب امر اهل الجنة قيل وكيف قال لانهم يبقون ابدا هناك لا عمل لهم الا الاكل والشرب والنكاح اما تضيق صدورهم اما يكلون اما يربون بانفسهم عن هذه الحال الخسيسة التي هي مشاكلة لحال البهيمة اما يانفون اما يضجرون واخذ في هذا وشبهه بوح مستعظما وكان يقول بتكافؤ الادلة ويجيب عن اكثر الناس يقلع فيه ابن الخليل ويناظره عليه ولعمري انه من طلب طمأنينة النفس ويقين القلب ونعمة البال بطريقة اصحاب الجدل

٣٥

واهل

واهل البلاد على هذا البلاء واحاط بهذا الشقاء والكلام كله جدل ودفع وحيلة وايهام وتشبيه وتمويه وترقيق وتزويق
ومخاتلة وتوريه وتشريد الالباب وارض بلا ريع وطريق بلا منار واسناد بلا صحة وورق بلا ثمر والمبتدى فيه
سفيه والمتوسط شاك والحاذق فيه متهم وفي الجملة آفته عظيمة وغايته قليلة ثم فاحدثت على بن سليمان
قولهم بعقب وحكيت له شمايله فيه فقال في الجواب انما غلب عليه هذا التعجب من جهة الحس لانه شيء اخر وهكذا كل
غرض بالحس ولحظ بالحس لانه قد صح ان شان الحس ان يورث الملال والكلال ويحمل على الضجر والانقطاع وعلى
السآمة والارتداع وهذا منه في وعى الاحساس ظاهر معروف وقائم موجود وليس كذلك الامر في المعاد اذا قوى
من جهة العقل لان العقل لا يعتريه الملل ولا تصيبه الكلفة ولا يمسه اللغوب ولا يناله الصمت ولا يتحيفه الضجر وهكذا
حكى في لشاهد الحاضر والعيان القاهر لولا عقله النصيبي ونظر ابو الريحان انه كان في هذه الدار على شوبها وفسادها
وكدرها وشوبها كان العقل لا يمل معقوله ابدا ولا ينقضي عنه ابدا البتة ولا يطلب الراحة عنه بوجه بل كان العقل اذا
وجد معقوله وتوحد به صار هذا اتحادا حتى لا يوجد بينهما بين بحال فكيف اذا كان المنقلب الى عالم الصرف الذى
لا استحالة ولا تغير له وهو الوجود المحض والامر الصرف والشيء الذى كلما عرفته بالصفة بعد الصفة كان عنها اعلا
وكلما اوضحته بالعبارة كان عنها اخفى واطال هذا الفصل وعلقت من جميعه قدر ما حررته في هذا المكان ولعلك
تجد بما اكون منصورا فيه عندك غير ملوم على اساءتك وفي الجملة القول في حصول النفس بعد خلع البدن الذى تحصن
به الانسان صعب ولولا امثلة توضح ايضا ما يثق به الانسان مرة بعد مرة لكان باب معرفتها لها قد ارتج والطريق
قد سد وقد بين هذا كله بالبرهان المنطقى في مواضعه المعروفة ان كانت الثقة تقع كذلك فاما هذا المقدار فما
جرى في عرض مقابسة هؤلاء المشايخ بينهم بالحديث والاسترسال فليكن العذر فيه مقبولا عندك بحسب الحال التى
قلبت ظهرها لبطنها لك مرة بعد اخرى فهذا الولوع منى بالاعتذار احساس بالتقصير اما من جهتى فلسوء الرواية و
اما من جهتك فلقلة الدراية فانا اسأل الله رب العالمين ان يفرغنى لبلوغ غاية هذا الامر بقية عمرى فانها فيما اظن
قليلة وما يرجو المرء بعد الالتفات الى خمسين حجة قد ضاع اكثرها وقصر في باقيها اذا اراد الله نجاة عبد تولاه بلطف
من عنده

مقابسة اخرى

سمعت النوشجانى يقول البارى الحق الاول والاحد منبجس الاشياء كلها ومنبعها و
عنه تفيض فيضا نيرا وتفيض فيضا لا على حد اللفظ الذى يرسم في عين فصلا وفي وصلا بل على حد العقل الذى
يقضى بالشيء على الشيء من غير اثبات بينونة ولا تاسيس كينونة فان الاشكال والحدود من الاقوال والاعراض
منفية في ساحة الالهية لكنها رسوم محركة للنفوس تحريكا وكلمات مقربات من الحق تقريبا تبلغ بالسامع الى مرام
ذلك كله تبليغا وكلما كانت هذه الرسوم اتم واحسن والكلمات ابهى وابين كان التحريك الطف والادراك اشرف
ولهذا ما يضرب عن بيان الحيوان ويؤثر كلاما على كلام ومثال هذا التحريك حاضر من الاشكال والخطوط والصور
والنقوش ثم تلك الوحدة شايعة في جميعها ومحيطة بها كلها ومشتملة عليها باسرها فصارت على هذه الاشياء
بالوحدة تتشاكل وتتكامل وبالكثرة تتخالف وتتفاضل فالمعنى بالتصفح المولع بالتعرف قد يلوح له تارة كالمركز
من المحيط وتارة كالمحيط من المركز وتارة كالذرة في الصحراء اعنى بهذه الفقرة ما بينهما فافطن له فاذا الحظ
الاول فكانه صادر مع الصوادر واذا الحظ الثانى فكانه وارد مع الموارد واذا الحظ المحشو بين الطرفين فكانه
على هذا وعلى ذاك ومن اجل الاحاطة الشايعة والاشتمال الاول ما انقسم المطلوب عند الطالب بين المحيط والمركز

ع٣٢

أنفسا ما فرقناه لا تحقيقا فانقسمت على هذا واحدة والوصلة ثابتة ولكن القوابل مختلفة والوجوه والأمكنة متباينة النواحي
والآن منتفعة هذه المختلفة الفروع والراجعة إلى الأصل المبدئ للفرع وهذا كلام غامض من وجه ومن وجه إلى فطنة
ربانية وتوجيه صافية لحظا من هذا الكثير ما أضمنت العبارة وأنت عليه الإشارة **مقابسة أخرى** قال أرسطو

٣٧

طاليس فيما ترجم من كلامه عيسى بن زرعة المنطقي البغدادي على بوعلي الإنسانية أفق والإنسان متحرك إلى الأفق بالطبع و
دائر على مركزه إلا أنه موثوق بطبيعته ملوط بأخلاق بهيمية ومن رفع عصاه عن نفسه وأفق جيله وسيب هواه في رسنه
ولم يضبط نفسه ما تدعو إليه بطبعه وكان لين العريكة لاتباع الشهوات الردية فقد خرج عن أفقه وصار إلى رذائل
البهيمية لسوء إيثاره هذا آخر ما ترجم من هذا الفصل وهو كما ترى وعظ بحكمة وإيقاظ برأفة وتعليم بنصيحة وإرشاد
ببيان لو روى هذا الحسن البصري ومنصور بن عمار وضرباهما ما زادا على ذلك وقد اتفقت الأوائل كلها على إصلاح
السيرة وتصحيح الاعتقاد والسعي فيما أثمر وأجدى والإعراض عن كل ما شغل البال وأثار الشهوة لتبلغ النفس غايتها
وتسعد في عاقبتها ولا يكون لها عكس في هذا العالم ولا تردد على ما قد خوف من ذلك كثير منهم والسلام **مقابسة

٣٨

أخرى** قلت لأبي علي هذا ما معنى قول القائل العقل يحرك كيت وكيت العقل نطق بكيت وكيت فقال معنى ذلك
استحسانه الحسن واستقباحه للقبيح والاستحسان تحسين لك والاستقباح تقبيح عليك والتحسين إطلاق والتقبيح
حظر وإنما كان هذا من العقل هداية لذي الطبيعة لأنه يجري مع الأول والطبيعة هي معنا من لدن خلقنا فإذا استحكم
سوء أدب ذي الطبيعة وطال انفلاتها حتى يصير كأنه بعض هذه البهائم في الجهل أو بعض هذه السباع في التنزي و
الوثوب وكان في الأصل محدودا بالنطق ظاهر من قوته بالعقل ما حفظ حياته عليه ونشر لطفه وشحذ جوهره ويسر
أمره وأظهر مكنونه وذلك كله تنبيه العقل وتحريكه وتحسينه وتقبيحه فمن استجاب كف غرام طبيعته وأمات
هائج شهوته بالتدريج والترتيب ليكون من إصغائه إلى نصح العقل وهدايته آمنا ويكون استضاءته بنوره أشمل
وأعم فلهذا كان العقل تحريما وتحليلا وحظرا وإباحة ومنعا وإجازة وكفا وحثا وإطلاقا وقيدا وحبسا وبعثا لا
على ما يظنه من لا خبرة له بالحقائق ولا استجابة له عند داعي الرشد **مقابسة أخرى** قيل لأبي سليمان كيف يفعل العاقل

٣٩

اللبيب والحازم الأريب ما يملك عليه وكيف يقدم على ما يعقبه تبعة ويأتي ما يأباه بعقله ويكره بدينه ويحاذر مؤونته
وينكره بعادته ويعيبه من غيره بنصيحته هذا مع اختياره الذي هو إليه واستطاعته التي هي حاصلة لديه مع عقله
الذي هو كالزمام والإمام والقاضي والإمام فقال الاختيار والاستطاعة والقوة والقدرة والحزامة والعزيمة والرأي
والروية والشهامة والصريمة والتحصيل واليقظة وكل ما كان في قبيلها وجاريا في حلبتها ومشاكلا لها ونازعا إليها وما
في جريتها ليست هي للإنسان على طريق الملك يصرفها كيف يشاء ويقلبها كيف يريد بل هي له من جهة التمليك ولو
كانت على جهة الملك ما زل زلة ولا ضل ضلة ولا ندم ندامة ولا أذعن ولا التزم مؤونة موجعة ولا زحم زحمة موحشة
ولا نكص على عقبه متحيرا ولا بقي منكسا عامها ولا متى كانت عنده على وجه التمليك من مالكها بقيت منها بقايا
عند مالكها متى شاء تمم فعله أمده منها بما يتم له فعله لئلا يظن ظان أن ذلك الاستقلال له بنفسه وكان لم يقيل
واستغنائه عن ملكه بل يتم له شيء ويتاح له ويشكره ويتقيه ليقيله بلاغه بانقطاع شيء آخر ليفزع إلى ربه في
مسألته ويتبرأ من حوله وقوته ومن علمه وبصيرته ومن جلده وتجلده ومن أنفته وشيمته بلوذ
بمن هو أولى به ويستمد ممن هو أملك له ويستأمر من هو أقدر عليه ويلقي مقاليده كلها إليه ويطرح كاهله

بين يديه وهذا بيان في موجب الربوبية ومقتضى العبودية لا ينكره الا من لا يبالي الى اي واد هلك وباي ريح انتشر وفي اي
بحر غرق وفي اي غشاء طاح قلت له هذا كلام على الصالحين واهل الديانة من اصحاب الشرايع قال يا بني لا تعجب من هذا
فالانبياء والاصفياء ومن قد ونهم يدندنون حول خلوص النفس في العاجلة وخلاصها في الآجلة والقول وان اشتبه والاسماء
وان اختلفت فالمراد بين والمطلوب متيقن وهل الحكمة الا مولدة الديانة وهل الديانة الا متممة للحكمة وهل الفلسفة
الا صورة النفس وهل الديانة الا سيرة النفس وكنت قد حدثني عن شيخكم الحضرمي الصوفي انه قال القُضُب
كثيرة والعروس واحدة فقد ارتفع التناقض وسقط التنافي وانما قطعت هذا الامر في طلب الحياة الدائمة التي لا
شوب فيها من الموت ولا عارض من اذى ولا خوف من انقطاع

٤٠ **مقابسة اخرى** قال ابو بكر الصيمري لجماعة عنده
ونحن في طاق الحراني في الوراقين وقد ذهب بالقول في كل عروض وجنب به الى كل باب العلم حياة الحي في حياته
والجهل موت الحي في حياته فاذا كان الجاهل ميتا في حياته فما ظنك به بعد مماته واذا كان العلم حياة الحي في حياته
فلا شك انه يكون حياة له بعد وفاته ثم قال العلم الالهية في السر لانه بساط العمل الصالح والخلق المعتدل والخلق
الطاهر والطاعة الحسنة والراحة في العاقبة ومن عري من العلم ولزم العمل كان خابط عشواء ما يفوته اكثر مما يدركه وما
يفسده اكثر مما يصلحه ومن لزم العلم وخلا من العمل كان كلابس ثوبي زور والعلم فنون واشرفه معرفة الحق
الاول والعلم قوام المعقول والعمل قوام المحسوس ولولا الحس لاستغنى عن العمل لان العمل انما هو رياضة
النفسين اللتين تعانفان النفس الناطقة اعني الشهوية والغاضبية فاما العلم فهو كله فيقدس المعقول بالعقل والتشوق
اليه وطلب الاتصال به والترقي في تحري والوصول الى وحدته والعمل مقوم للقوى التي تربح كثيرا بالزيادة والنقصان وبالخروج
والهيجانات والعلم مبلغ الى الغاية التي لا مطلوب وراءها والعمل مهيئ لك نحو المسالك الى سعادتك والعلم مشرف بك
على سعادتك والعمل موصل والعلم موصول والعمل حق عليك لا بد من ادائه والعلم حق لك لا بد لك من اقتضائه
العلم كله نور والنور ما اضاء لك وسطع عليك واسفر بك وجلا عن حقيقتك وتجلى بحقيقتك وتخلى
حشوك عنك وابرزك منك وصقلك وزينك وبهجك ونورك واهلك لدرك حدك واحلك دار كرامتك
وقرارك وصار الصدق بك من شعارك ودثارك هناك تبقى ولا تبلى وتغنى ولا تضنى هنالك الواصل والموصول
والعالم والمعلوم والعاقل والمعقول في فضاء الوحدة ومعاني القدس وخطة الواحد ومراد الطمانينة والجذل
والثقة والسكينة وعرصة الغبطة لا تفرقة ولا تبيين ولا كثرة ولا اختلاط ولا تمازج ولا اختلاف حال تجل عن
امارات الحال وامر يلطف عن رسوم الامر على هذا سكنت العبرات وطالت الزفرات اتظن ان الترقي في سلالم المعرفة
والتناهي في غايات التوحيد هين سهل وقريب ممكن هيهات ان يكون ذلك كذلك ولكن لواحد بعد واحد
يصح الواحد في عالم بعد عالم وجد بعد جد ودور بعد دور وكان كلامه اطول من هذا واشفى وهذا حاصل منه والله
اسال نقله والوفاء به والقيام عليه

٤١ **مقابسة اخرى** قال ابو الحسن العامري ان المتمحض من ارباب الحكمة يدرك
بفكره ما لا يدركه الحاذق ببصره من غيرهم وذلك ان الحس محطوط عن سماء العقل والعقل مرفوع عن
ارض الحس فمجال الحس في كل ما ظهر بجسمه وعرضه ومجال العقل في كل ما بطن بذاته وجوهره والحس صديق الفضاء
قلق الجوهر سيال العين مستحيل الصورة متبدل الاسم متحول النعت والعقل فسيح الجو واسع الارجاء
هادئ الجوهر قار العين واحد الصورة ثابت الجسم متناسب الحلية صحيح الصفة والفكر من خصايص النفس

الناطقة والنطق في النفس يتصفح العقل بنور فائض والحس برايد النفس بالتوجع على خصايص وكما تقتنص ان الحس كثير الاغلاط
والاستحالة فكذلك قد وضح ان العقل ثابت على المرقى كل حالة والحس يفيدك ما يفيد في عرض الالة التي اصلها اللذة
والعقل يفيدك ما يفيد على هيئة محضة لانه نور يتيلا السنا نرى عاقلا يتحول من معقول الى معقول وينتقل من راي الى
راي ويصرف من معتقلي الى معتقلي فبطل هذا الاتى لان السيلان الذي تدعى في الحس تدور بليه وعلية فيه وما
هكذا ارى من اعتقد معتقدا بشهادة الحس فانه اثبت رايا وارسخ يقينا واظهر سكونا وعلى هذا الحس يفيد العلم الذي
تسكن معه النفس والعقل يفيد العلم الذي كانه مظنون فقال هذا كلام من لم يتقن بحكمة القدماء ولم يرتق عما عليه
العامة والضعفاء بالاحساس حفظك او من جهته وليس لها حكم على شيء من حواله الا من جهة النطق النفسي والذي
يوضح هذا ان البهائم كلها ذوات احساس قوية وليس لها قضايا منها ولا نتايج بها لانها خادمة للقوة القاضية
بالحق الدالة على الصحة القضية الى المقدمات المستخرجة للثمرات وانما وقع لك هذا القول لانك ظننت ان
كثيرا من الناس يظنون بانفسهم انهم خاصة من ناحية الحق بل ليس الامر كذلك لانهم يعتقدون اشياء ممزوجة
مشوبة مختلطة كثيرة فيها يحكمون احلام العقل وسماء دره وحائم باخذ ونها من اشباح الامور صفحات الاحوال
ظواهر الاشياء ولذلك ما يزولون عنها بسرعة ويستوحشون منها عند كل شبهة وليس كذلك الفلسفة فانها
علم العلوم وصناعة الصناعات لا تعطيك في موضع الشك اليقين ولا موضع الظن العلم وكلها تعطيك في كل
شيء ما هو خاصته وحقيقته ان شكا فشكا وان يقينا فيقينا وسنصل بهذه المقابسة في الكتاب ما يكون بيانا وشاهدا
بصحته ولو ان هذه الاوراق اشتملت على نكتة ما فيها فقط وكان ذلك لا يكون انه كاف في معناه موف على اقصاه لان
بحر هذا العلم عميق وقيمته غالية ولكنا وصلنا نكتة بنكتة ومقابسة بمقابسة تذكيرا للعالم وتفريحا للنفس واستدعاء
للنشاط ودلالة على مواضع السعة والغزارة ولا نصل منها الا وهو يوفي على كتاب ضخم اذا حويت على كل ما فيه وكل
ما يتعلق به ويصرف فيه وشبهه فاذا اعتبت على ابقاك الله في بعض تقصير فقارب واقصد علما من لك خلو
ما اقول عن بعض الشوائب وانما عزوت ذلك كله الى هؤلاء الاعلام الذين كانوا منكورين في الوقت من غير ان
استبددت بشيء عليهم الا بما لا بال به ليحسن ظنك ويقل تعجبك بها في تهجينهم والله يهبك بلطفه ويواصلك
بتوفيقه انه قريب مجيب

مقابسة اخرى

قيل لابي الخير حدثنا عن معرفة الله تقدس وعلا ضرورة هي ام
استدلال فان المتكلمين في هذا اختلفوا اختلافا شديدا وتباينوا تباينا بعيدا ونحب ان يحصل لنا
جواب فيفسر على هذا الاختصار مع البيان فقال هي ضرورة من ناحية العقل واستدلال من ناحية الحس ولما
كان كل مطلوب من العلم اما ان يطلب بالعقل في المعقول او بالحس في المحسوس قال وهذا هو الشاهد على
الغائب وساغ ان يظن مرة ان معرفة الله اكتساب واستدلال لان الحس يتصفح ويستقوي بموازرة العقل و
مظاهرته وتحصيله وان يظن تارة اخرى انها ضرورة ان العقل السليم من الافة البري من العاهة يبعث على
الاعتراف بالله تقدس سره ويحظر على صاحبه الجحد والانكار والتشكك فيه لكن ضرورة لاثقة بالعقل لان ضرورة العقل
ليست كضرورة الحس وذلك ان ضرورة الحس فيها يعذب واختيار وحمل واكراه فاما ضرورة العقل فهي لطيفة جدا
لانه يعظ ويلاطف وينصح ويحقق وكان بعض اصحابنا في الوراقين ببغداد يضرب في هذا مثلا زعم انه قال
في هذا كامرأة حسناء متبرجة ذات وقاحة وخلاعة قد جلست الى شاب طرير لم شطر جمالها وعليه مسحة من

حسنها تخلّى عن مجاليها وتراوده عن نفسه نفسها وتبدى له محاسنها وتطمعه في تمكينه منها وتستعجله في حاجتها و
تحثه على قضاء اللذة والوطر منها فاما مثال العقل فكانه شيخ هرم قاعد على جبل ليس به نهضة للزحوف اليه والحيلولة
بينه وبين ما نزل به من صاحبته الوقحة الفاضحة الا انه مع ذلك يصيح ويتأوه وينادي بصوت ويحرك راسه ويبسط
يده ويعظ ويلطف ويعد ويخوف ويضمن ويرفق ويشفق ويحنو فاين تاثير هذا الشيخ الهم المحطم من تاثير
هذه الخالبة الغالبة المحتالة المغتالة وهي اسمع لفظة اصغاء الشاب الى الشيخ وسيلانه مع هذا واراد بهذا المثل الفرق
بين العقل فيما يدعو اليه لتسعد والحس فيما تملك عليه لتشقى هذا الوجيه ما يراو لم ويلم به ويتوجه
نحوه فعلى هذا فان الله تعالى وتقدس معروف عند العقل بالاضطرار لا ريب عنده في وجوده ومستدل عليه عند
الحس لانه يستحيل كثيرا ولا يثبت اصلا فمن استدل ترقى من الجزئيات ومن ادعى الاضطرار انحدر من الكليات و
كلا الطرفين قد وضح بهذا الاعتبار وكفي مؤنة الخبط والاكثار وهكذا كل شيء يطلب صدره وفصله بالنظر الفلسفي
والبحث المنطقي والاقتراه الالهي فاما ما ينظر فيه في الجدل فلا يرث الاذهان منه الا الشك والريبة والحسبان والظنة
والاختلاف والفرقة والحمية والعصبية وهناك للهوى ولادة وحضانة وللباطل استيلاء وجولة وللحيرة
ركود واقامة اخذ الله بايدينا وكفانا الهوى الذي يونينا وصنع لنا بالذي هو اولى به منا والسلام

مقابسة اخرى ٤٣

قال العامري الطبيب اخو المنجم ونظيره وشبيه الحال به وذلك ان الطبيب قد يرسم بانه حفظ الصحة
بالتدبير المحمود وازالة العلة بالراي الصحيح وكان علم الطب اشرف من موضوعه وموضوع علم النجوم اشرف
من كالها والصناعة محتملة للحيلة والزرق كما انها راجعة الى الصحة والحذق وقد يتفق في زرق المزارق صواب
كبير كما يعرض في حذق الحاذق خطأ يسير والحيرة بين هذين الاتفاقين مجال وللمعترض عليها مقال وفصل
الحال بين الرجلين صعب والخطب مشكل وليس للمصيب بالزرق ان يجعل ذلك قاعدة واساسا ولا للمخطي
ان يقطع ضده ياسا قال وخصت هذه الصناعة بهذا الموقف وتدرجت هذا التدريج لان الله تقدس كما اراد بالعافية
والبرء والسلامة والنجاة انعاما وامتنانا كذلك اراد بالعلة والمرض والباس اختبارا وامتحانا ثم اشاع الله العلم
بالطب تعليلا للطبيب بسبب رزقه منه وتعليلا للمريض بسبب تخفيفه عنه فكلا الرجلين اعني المعافي والعليل
الى غاية مضروبة على اسباب محسوبة وغير محسوبة ولو عافى الله تبارك وتعالى بالطب ابدا لاتخذ الناس الطبيب
ربا ولو لم ينفع بالطب احدا لتحير الناس للطب مهجرا بل جعل علة مرة مع احصاء ايام العافية وسبب العافية
مرة مع التنبيه على موقع النعمة ولذع البلية قال وما هذا امره ومرجعه الى امر الله وما استمت عليه وذكر
اهلها به وصرف سكانها فيه فمن لم يفتح بصره لم يرما فوقه ولا ما تحته ولا ما عن يمينه ولا ما عن يساره كذلك للغيب
سبحا لم يطلع على سر هذا الشاهد ومكنون هذا الجلي وباطن هذا الظاهر ومعقول هذا الذي تم عليه الحس
وخفي هذا الذي وقع عليه الحدس قال والمرض والعافية في الابدان بمنزلة الغنا والفقر في الاحوال والغنا والفقر
في الاحوال بمنزلة العلم والجهل في القلوب والعلم والجهل في القلوب بمنزلة العمى والبصر في العيون والعمى والبصر
في العيون بمنزلة الشك واليقين في الصدور والشك واليقين في الصدور بمنزلة الغش والنصح في المعاملات و
الغش والنصح في المعاملات بمنزلة الطاعة والمعصية في الاعمال والطاعة والمعصية في الاعمال بمنزلة الحق والباطل
في المذاهب والحق والباطل في المذاهب بمنزلة الخير والشر في الافعال والخير والشر في الافعال بمنزلة الكراهة والمحبة

في الطباع والكراهة والمحبة في الطباع بمنزلة الهجر والوصل في العشرة والهجر والوصل في العشرة بمنزلة الرداءة والجودة في الاشياء والرداءة والجودة في الاشياء بمنزلة الصلاح والفساد في الامور والصلاح والفساد في الامور بمنزلة الضعة والرفعة في المراتب والضعة والرفعة في المراتب بمنزلة القبح والحسن في الصورة والقبح والحسن في الصورة بمنزلة العي والفصاحة في الالسنة والعي والفصاحة في الالسنة بمنزلة الاعوجاج والاستقامة في الاعضاء والاعوجاج والاستقامة في الاعضاء بمنزلة الحياة والموت في الاجساد والحياة والموت في الاجساد بمنزلة الشقاء والسعادة في العواقب فما احوج هذا الانسان بعد قيام هذه الامور اذا اعتبرها وتحلى وطوفها الى يقظة بها يكيس في معاشه ومنها يقتبس لمعاده ويقتني ما يجد ربحه وبعد واه ويجتنب ما يصير سببا للشقاء في عقباه فباب الخير مفتوح وداعي الرشاد ملح وخاطر الحزم معترض ووصايا الاولين والآخرين قائمة وتراجمهم موجودة والخوف عارض والامن مظنون والسلامة متمناة فماذا ينتظر المرء اللبيب بنفسه بعد هذه الآيات المتلوة والاعلام المنصوبة والحالات المتقلبة والنعم المتقلبة والاعمار القصيرة والآمال الكاذبة اما يتعظ اما يعلم انه من جنسه ومحمول على تدبيره وانه لا فكاك له مما لابد من حلوله بعض الخلل الى تركيبه واستحالة عنصره وانتقاله الى حال بسيطة ان خيرا فخير وان شرا فشر بلى يعلم ولكن علما مدخولا ويعقل ولكن عقلا كليلا ويحس ولكن حسا عليلا كما قال الاول شعرا اشكو الى الله جهلا قد منيت به بل ليس جهلا ولكن علم مفتون واعلم ان الغرض كله في هذا الكتاب وجميع ما ثبت عن هؤلاء الشيوخ انما هو في ايقاظ النفوس وتاييد العقل واصلاح السيرة واعتياد الحسنة ومجانبة السيئة فاستصحب الغرض بالنية الجميلة فلعلك تؤهل للفلاح والسعادة عند توزيع هذه **مقابسة اخرى** رايت فضلا من الفلاسفة وهم الذين قد فهمت باسمائهم مرارا يكثرون الخوض في معنى الامكان ويتداولون المسئلة والجواب فيه وقد اقتبست منهم ما رسمته في هذا الكتاب على طريقة قريبة والفاظ معهودة فاشركني في تقييد الفائدة ان كنت طالب فائدة ولا تسبق الاستحسان ولا الاستقباح والتخطئة والتصويب قبل التفهم والتصفح والتقليب والتنقير فانها مسئلة صعبة فمن ذلك قول القائل زعم ان لا طبيعة للممكن وانما هو موقوف على غرض الفارض ووهم المواهم ووضع الواضع وظن الظان وليس كالواجب الذي هو ثابت على وتيرة واحدة وجديلة ممدودة معلومة والحد ثم الطبيعة ولا كالممتنع الذي هو ابضا على هيئة واحدة لا يرتقي صعدا ولا يتماثل سفلا والبرهان على ذلك ان الواجب لا يستحيل ممتنعا البتة لا في زمان ولا في مكان وانه كذلك بذاته لا بشيء آخر وكذلك الممتنع لا يستحيل واجبا على مثل حكم الواجب لا في زمان ولا في مكان ولا ينحط الواجب الى الامكان ولا معقولا ولا موهوما ولا مفروضا ولا مظنونا وكذلك لا يسمو الممتنع الى الامكان في حال من حالاته على ما سلف لبيان عنه وقال آخرون هؤلاء الجلة مما يؤيد هذه المصادرة ويحققها ويوضح مشكلا ان كان عرض منها انك اذا قلت هذه الالفاظ الثلثة وفحصت عن عناصرها ورتبت معنى كل اسم منها من جهة وزنه ومرتبته وصنعته وخلقته وحليته وجوهرها المختلفة الدالة على معانيها المختلفة وذلك انك اذا قلت هذا واجب وهذا الوزن وزن فاعل من جهة اللفظ وانما قلت من جهة اللفظ لان الفاعل من جهة المعنى مقتض لمفعول والواجب مثبت لنفسه عما يكون هو به مفعولا وعما يكون هو له فاعلا والفاعل من المضاف وكذلك المفعول ليس الكلام فيهما واذا اعترض من ناحية وزن الاسم وتبرأ من كل صفة هو هو منه هذا التبري ولقيامه بنفسه واستغنائه بجوهره و

كالربذ أشرواعظم الرتبة الاولى والحد الاعلى والممتنع اذا تطلبه معنًا من ناحيته وزنه وجلبت فيه معنًى من معاني الانفعال
ونظايره فالبنية تشهد بذلك وهذا نظر بينه ذلك نظر النحوي وهو في عليه لا بل فوقه في الشرف وان كانت قوة النحو مقتصرة
وشهادته مستعارة لانه كما انه قد استضاف فعلا ما الى نفسه كما استعفا فيحتمل ومشتبه وملتبس ومقتصل وتقرير
هذا لطيف للتقريب وذلك ما طال وامتد وكما استوفى الواجب الصورة بالكمال استيفاء وجود انتفى الممتنع من
الصورة في كل حال انتفاء عدم فليس في الواجب من اجزاء العدم شيء ولا في الممتنع من اجزاء الوجود شيء وبالانفراد
لفظا بآخر الممتنع ثم ان الامكان بعد هذا كله استعار من الواجب شبها واقتطع منه ظلا واستعار ايضا من
الممتنع شبها واسترق منه ظلا وذلك هو عدم ما فصار من اجل الاستعارة والاسترقاق ينقسم الى مراتب
ثلاث الى الاكثر والاقل والاوسط فقال بعض من حضر هذه المقابسة العجب انه اخذ الشبه من اثنين وانقسم الى
ثلاثة فقال له قائل في الجواب انه اذا اخذ الشبه من الواجب في الاغلب لقوة الواجب في صحة نفسه وثبات
جوهره وصفاء مبنيه وفي الاقل اخذ من الممتنع وقوة الممتنع بازاء قوة الواجب وضعا وتمثيلا وقد تقابلت
القوتان الطرفين على تعاندهما الا ترى ان الكثرة من الموجود والقلة من العدم اعني ان صورة الوجود في الكثرة اظهر
منها في العدم والوجود باسره في الوجود والعدم في الامتناع ونفي ما هو بها اعني ما ائتلف من الشبه المأخوذ من
الواجب والشبه من الممتنع لانه اذا وفى ما قد استعار من الشبه من الطرفين وفي ايضا ما له بالتوسط و
اختلاف ابنيته هذه الكلمات دليل بين وحجة واضحة على تفاوت معانيها من الحقايق فان الامكان قد خلا من طبيعة
يستقل بها وعرى من صورة ينسب اليها وعاد وحكمه حكم المركبات في الحس والمفروضات بالوهم قال ومما يزيدها
يضيء من القول وضوحا ان الواجب لا يقف على ايجاب موجب في وجوبه والممتنع لا يقف على منع مانع في امتناعه
فان عرض في نفسك الواجب فاعلم انه قد اقتضى شيئا ولكنه الموجب واستوفاه ولم يفضل منه ما يقتضي شيئا
آخر ولا بقي ايضا منه ما يقتضيه شيء آخر وهكذا المانع في قياد ذلك قد اقتضى الممنوع واستوفاه ولم يفضل منه
ما يقتضي شيئا آخر ولا بقي منه ايضا ما يقتضيه شيء آخر وخرج حكم الممكن من الحكم الذي للواجب والحكم الذي
للممتنع لان الممكن كانه طالب لكانه والداعي لنفسه فيكون مكانا وهذا كله لقلقه في قضائه وقلة استقراره في بابه
لانه عادم لحده وطبيعته وانما يغلب عليه تارة ما يعيره الواجب من نفسه وصورته فيصير كالامكان القريب من الوجوب
وتارة يغلب عليه ما يستعيره من الممتنع فيصير كالامكان القريب في الوسط لا يظن به رفع الحجاب ولا انحراف المكان في
الواجب عن الحقيقة من الكثرة والقلة والانقسام والعلة وعن استعارة صورة عن ذي صورة فصار الممكن
المنقسم الى الكثرة والقلة والوسط لان الكثرة والقلة قد زالت وانما بطل ما يكون ذا قدر بطل القدر ومما
جرى بين هؤلاء الافاضل في هذا الفصل ما يدخل في حاشية هذا الكلام الذي تلا عجز بي عن اداته على وجهه بالقسطاس
المستقيم سوء التاتي فيما يحقق المراد ويحيط بتفصيل الكلام وقول اخر ان الواجب واجب ان يكون واجبا والممكن واجب
ان يكون ممكنا والممتنع واجب ان يكون ممتنعا فالوجوب صورة الجميع لانه نعت للعلة الاولى واما الامكان والامتناع
فانه يشار اليهما بعد الاعتراف بالوجوب الذي قد نفذ سلطانه فيهما وملكت سمته جملتهما واحتوت صفته عليهما
والواجب لطبيعته لم ينقسم لان الوحدة تامة فيه محيطة به موجودة له غالبة عليه ولو انقسم لانتقلت الوحدة الى
الكثرة وتشعبت عما هي عليه في الحقيقة وكذلك الممتنع لانه يكون في الطرف الآخر يعطي صورة الانتفاء من نفسه توفيرا

لدى الواجب ولا تعزّ ان يتصوّر بهذه الجملة مثالاً يكون كالوحي الى الحق لئلا يطول ما طال القول فيه ولتتابع البحث عنه واجب ان
يكون الفاعل قبل المفعول وممتنع ان يكون المفعول قبل الفاعل وممكن ان يكون فاعلان معًا في مكان او منفعلان
معًا في زمان وممكن ان يكون فاعلان معا ولا منفعلان بل يكون كل واحد منهما منفردا عن فاعل آخر وكل منفعل
منفصلا عن منفصل آخر فهذه كما ترى مثال آخر واجب ان يكون الفلك محيطا بالارض وممتنع ان يكون المركز محيطا
بالفلك وممكن ان يركب الامير غدا فلو كان الامكان حدا غير معترف مما قد تقدم القول فيه لكان لا يقف على الوضع
والفرض والرسم والوهم والظن والتخيل الا ترى انك لو نسبت هذه الامكانات الى الفلك لم يصح اعني انه يستحيل
ان يقال ممكن عند الفلك وعند الله ان يركب زيد غدا او في الاول جاز عندنا ذلك لانا قلناه تقديرا وتظنينا ووضعا
وتوهما ولا وهم عند الفلك ولا ظن ولا تقدير ولا توهم ايضا عند الله تقدست اسماؤه وتعالى جده وقال آخر
من جلة القوم ليس لشيء وجود ولا وجوب الا الباري الحق ولا حقيقة اذن لشيء الا له لانه هو الواجب كما
علمه فانما هو واجب به وممتنع وبه ممكن والوجود الحق له فكل وجود يوسم بالممكن والممتنع فانما هو بالاستعارة
والتقريب والتحلية والتشبيه فاذا لا تسلخ كلما عدى العلة الاولى من الوجوب ومن الوجود الا على قدر ما يبلغه
الفيض يصل اليه الجود ويخلص ما هو بالحقيقة وبالتحقيق هو غير هذا ابلغ حاصل من قول هؤلاء المشايخ ثم
الذين تشرفت بحديثهم وذكرت اسماءهم وذكرت على مقاماتهم مرارا في هذا الكتاب وجل النظر في هذه المسألة
على ما انفرشت من الفلسفة الداخلة اعني الالهية المحضة فلهذا اما تمادى من زيادة لعلها تحط قدر المعنى الذي
سلف القول فيه وسبقت لمعنى عليه والسلام **مقابسة اخرى** ذاكرت طبيبا شاهدته بجند نيسابور شيئا من
العلم فما اذكر تلك المذاكرة وتلك المسألة وتلك الفائدة لا سيما تخصص لي ذلك الشخص وكان يكنى ابا الطيب لعيني
وتمثل في وهمي حتى كاني اراه قريبا مني وحاضرا عندي وطال تعجبي من ذلك فرايت ابا سليمان في المنام فسألته
عن الحالة التي قد شغلتني بالتعجب منها والامر الذي توالى علي من اجله فقال لي في الجواب تم لا ميقظا ما النائم من جملة
في اليقظة ما انا راسمه وحاكيه في هذا الموضع قال اما تعلم ان المبدأ الاول والاصل والعلة مفتقر اليه بالطبع والضرورة
ومعترف به بالوجوب الذي ليس فيه مرية ولا شبهة قلت بلى قال فالثاني مشعر ابدا بالاول والا ولم يشعر بنفسه الثاني
مشعور به ايضا ولكن الاول والاول مع هذا هو الثاني والثاني هو الاول ولكن اختلفت الرسوم ولم تختلف
الحقائق الى ها هنا يخلص لي ما ابيته وهو ظاهر كما بدأ قال لما كان من صدر المذاكرة من جهته وقت بطا في لتم
وحصلت الفائدة بوساطته اشتاقت نفسي تلبست بصورته وجدت منها للمبدأ ونزاعا نحو الاول واستشعار
للسكون معلا لانها تعشق بالذات ابدا الاول ويعشق كل اول للشبه القائمة فيه والشبه الموجودة به من الاول الى الآخر
فكل مريد من كل ضرب طبيعي وارادي وفكري وخلقي وصناعي والهي يحبها ويؤنسها وينفي وحشتها ويعلقها
ويستحيل بذلك شوقها الى الاول الحق الذي هو اول بالاطلاق واستكمالها ذلك الشوق هو استدلال منها الى ثباتها
وثباتها على صورتها وطربها على ما حصل لها او الكلام في الاول والمبدأ في كل ما ضرب فيه لهم وانتهى اليه بوجه لا يمل ولا يمل
ولا يشبع منه ولولا ان بضاعتي في هذا الفن مزجاة وعبارتي عنه منقطعة لكان ما يعقل من ذلك ويستبان
ابين مرأى واحلى مسمعا وعلى كل حال فقد كتبت ما امكن التصرف فيه والشغل به والزيادة على ذلك
تقتضي تحرير القول على تقدير السؤال والجواب والتمثيل والايضاح فان نفّس الله الخناق قليلا وازاحها

٤٥

لحزن

الا انما وجهه شملا منقطعا اتيت على ذلك متوشحا واطمت عليه مثلا فيما ان شاء الله كما **مقابسة اخرى** قال
النوشجانى يوما في جملة كلام اقتضبه في اقسام الموجود اذ لكل صنف من اصناف الموجود في حكم العقل وفي حكم السياسة نقصه
وتهافته وفساد طبيعته وطموس ضيائه وقبح صورته وانمحاء بهجته وخمود شعاعه وثقل تمامه وتقطع نظامه
واستيلاء رذيلته وبطلان فضيلته فلا ينكر ان يكون في مقابلته صنف آخر من العقل وفي حكم الموجود بصحة بنيته
ونفاسة جوهره وكمال فضيلته وظاهر عفته ونجدته وبهاء همته وغلبته على لذته ونقاء سنخه وصفاء سوسه وطهارة
عينه وظاهر زينته ودوام نضرته وتناسب جملته وتفصيله وساير ما لا يحيط القول به قال والاشارة في هذين
الفصلين بينة مكشوفة ومتى لم تقف عليها من تلقاء نفسك بضياء عقلك وذكاء قريحتك فصل اليها مع صحبة
ارباب الحكمة واعلام الفلسفة فانك متى جربت هذه الاعراض وتخللت هذه المعارف وثبت على سمت العمل لكنت
الخيرات عاجلا والسعادات آجلا فتكون حينئذ موجودا وان عدمت وباقيا وان فنيت وحاصلا وان
فقدت وثابتا وان نفيت مغبوطا وان رحمت وحيا وان مت وظاهرا وان بطنت وجليلا وان خفيت وواضحا
وان اشكلت وشاهدا وان غبت وقادرا وان عجزت ومعروفا وان انكرت وعالما وان جهلت هناك تصل الى الغنى
بلا قنية وتنطق بلا عبارة وتفعل بلا آلة وتصيب بلا مشورة وتعقل بلا مقدمة وتبقى بلا آفة وتلتذ بلا
استحالة وتنال بلا كدح وتحيا بلا اذية وتسعد بلا شوم الطبيعة ونزهتها من البشرية وربوبية وصلت اليها
من العبودية وبملكة استوليت عليها بالانسية وحال جلت عن رقم قلم ورق حبر واستقصاء بيان وتخيل
وهم ثم قال وقد مر الكلام فيما تقدم عن حال الانسان في وجوده الثاني من السعادة التي حصلت له والحبور الذي
ظفر به قال وانما تلطف هذا القول عليك لانك تنظر الى هذا الانسان من قبل وهو في استار الحس وحلل الجسم
وقشور البدن وتخاذل التركيب وتصرف الطبيعة وسيلان الطين وذوبان العنصر هذا مع سوء الاختيار
وفساد العقيدة وقلة ايثار العفة والنجدة والاخذ بالرخصة بعد الرخصة في مسامحة الشهوة وتسلط الارادات
الردية المهلكة ومتى يكون لهذا مرجوع وثمرة وفائدة ولعمري لو قدس نفسه وباين هواه واختار الحق معتقدا
وآثر الخير مجتهدا ونال من حركات الطبيعة مقتصدا الا انتعشت روحه واستنار عقله وذكت بصيرته وصفت
قريحته وصدق ظنه ونجح حدسه واضاءت فراسته وكان التوفيق تاما له والسعادة غاشية والغبطة حليته والبقاء حليفه
والابد نعته وما اسهل هذا الوصف على ما اقول وعليك بالسماع وما اصعب علينا جميعا بالعقل وكيف لا يكون
ذلك صعبا والانسان منوط بالطبيعة من طرف ومضاف الى العقل من طرف فربما نزع الى ما هو فساده واهلاكه
والعقل يختار ما هو صلاحه وكماله لكن اختياره ضعيف فيه لانه مال في افق العقل الذي هو موجب لواجب يحسن
الحسن وارادته الطبيعية قوية فيه لانها ناشية منه وكامنة فيه ومتردية عليه والنقص على الجمهور في كل حال واصر وان
العجب كل العجب ممن يحل في دار النقص ويصبح في عرصة الحدثان ويسلم في خطة البلوى او يلذ المصاب والعلقم ويغفل
عن غايلتهما وسمهما وكان بعض الالهيين يقول الاحسان من الانسان زلة والجميل منه فلتة والعدل له منه غريب والعقل
فيه عرض ضعيف ومما يريك ثمرة ما يصرف من القول به نقص هذا الانسان الذي قد اكتنفه الفساد من كل جهة
وملكه الجهل بكل حال انا وجدنا في هذه الايام من نظر الى واحد اعنى بالطلاء قد استحاست الارض بخضرة
ونديه وحسنا لخف حين خالف عينه في الحوافر وبلغ به التعجب الى ان قال ليتني كنت بقرة فكنت آكل من هذا

الاكلاً ذريعاً وهكذا من أعلاه الى اسفله ومن اسفله الى اعلاه وكان يقول هذا وهو على شكل ظريف كاسيل المار الى تحتو
ادا اثر على وجهه وحقيقته واللسان ايضاً لا يأتي على خواصه ومعانيه وهو متحسر في قوله على هيئة المجنون لغلبة
الارادة الطبيعية وقوة الحركة الحيوانية وموت العقل الانساني وبطلان الشرف الجوهري فلما فتشنا عنه هذا الحديث
وكثر قال لم بعض فقهاء معنفاً ولائماً ومنبهاً له على خساسته يا هذا هل رأيت قط من تمنى وهو انسان ان يكون بقرة
بسبب مكان معشب وكلام كثير فقال له مجيباً وهو وادع النفس رخي البال حاضر الفكر ساكن الطباع ايها الشيخ لو رأيت
بعينك ما رأيته لتمنيت ان تكون كما تمنيت وهذا يدل على ان الذي آثار شهوته في ذلك المكان لم يكن جوعاً قد توالى
ولا نهمة قد غلبت بل كان لذاذة النفس ولؤم الطباع وسقوط الجوهر وغباوة الروح وقلة العقل فهل نظن حفظك
الله بعد هذا بين هذا حديثه وجملته وتفصيله ان ينتعش من صرعته او يستبصر في شأنه او يهتدي لسعادته
او يلتفت الى معاده وهل بين هذا وبين الحمار الذي هو حيوان نهاق فرق بل قد سمعت من قال ان الحمار خير من
هذا بكثير لان الحمار لازم لحدّه غير منحرف الى ما ليس في قوته وهذا اعتد بطل حدّه بارادته وحجج النقص كله النفس
تقحم شهوته وفساد امنيته على اني شاهدت قبل هذا انساناً متماسكاً وكان له حظ من التجربة بالسنن العالية و
السفر البعيد وكان متميزاً بمذهب الصوفية يقول يوماً وقد ابصر حماراً يمشي ليتني كنت هذا الحمار فعجبت منه
فضل عجب وانكشف لي انه انما تمنى ذلك ليكون ناجياً من تلائمه ومؤنته ما هو بعرضه وصدده عاجلاً وما هو
ماخوذ به ومخوف منه ومعد له آجلاً فكان عذره هذا عندي اخرج من كل الجهل وادخل في بعض الوهم وانما جسر
هذا في ضميره وجاش على لسانه واتضح بذكره والتشلّه فيه لانه كان جاهلاً بالجوهر الذي هو اشرف من الانسان
بجلاه الخالص من كل شوب فنزل من تلك الربوة العالية والذروة الشماء اعني الجواهر العلوية الابدية و تمنى
ان يكون حيواناً هو اخس من الانسان عند كل انسان الا انه يحتاج في تسليم هذا ومعرفته الى عقد متين ونتيجة
لما العلم براهين والتسليم له ضرورة لا ليثي الا ليتخلص من عوارض الدنيا وكلف الحيوة وضرورات الطبيعة
ومطالب الحواس ولوادر لتقوّم شيئاً ومعقله وحكم به لضعيف نحوه وطلب الانتساب اليه والاشراف عليه والنظام
فيه والتمام به والبقاء معه ولم يجد ماكصا على عقبيه متمسباً الا ان يكون على هيئة شيء هو لا ان بنفسه اشرف نفساً و
اكمل صورة واقوم فعلاً واجمل وزناً وابقى شخصاً واكرم جوهراً واولى هذا الفصل بحديث اخر وقعنا عليه
في هذه الايام لكون هذه المقالة مستوفاة ولعلك لا تخلو فيها ايضاً من فائدة تكون زند الماسبق وايقاظ النفس
في المستقبل ترى الانسان يبصر فيها بل هي عيونه التي يرى فيها بل هي مخوله التي يستثمرها ونواصعه التي اذا اقبل فيها
عرف كيف المعرس والمسرى وكيف الصبح اذا ابدا وانجلى ببصر بين يديه كماء ب ومدرج ونشأ شاهدنا في هذه الايام
شيخاً من اهل العلم ساءت حاله وضاق رزقه واشتد نفور الناس عنه ومقت معارفه له فلما توالى هذا
عليه دخل يوماً منزله ومد حبلاً الى سقف البيت واختنق به وكانت نفسه في ذلك فلما عرفنا حاله جزعنا جميعاً و تو
وتناقلنا حديثه وتصرفنا فقال بعض الحاضرين لله درّه لقد عمل عمل الرجال نعم ما اتاه واختاره هذا يدل
على عزازة النفس وكبر الهمة لقد خلص نفسه من شقاء كان طال به وحال كان ممقوتاً فيه ومهجوراً من اجله مع فاقة
شديدة واضافة متصلة ووجه كلما امّه اعرض عنه وباب كلما قصده دونه اغلق عليه وصديق اذا سأل اعتل
عليه فقيل لهذا العاذر انه كان قد تخلص من هذا الذي وصفت على انه لم يوقع نفسه في شقاء اخر اعظم مما

كان فيه واهول وادوم واعظم وابقى ولعمري ثم ما علّقه ابوه ما احسن ما اهتدى اليه وقوي عليه وينبغي لكل عاقل
ان يدفع الى ما دفع اليه ويقتدي به ويصير الى رايه واختياره وان كان قد سمع بلسان الشريعة اي شريعة شئت العذاب
والمديدة النهي عن هذا واشباهه فقد لقي بما عجّل الله به العقوبة وجرى عليه عذاب النار سبحان الله اما كان يسمع
من كل عاقل ولبيب وعالم واديب ومن كل من يرجع الى مسكة ويعرف ادنى فضيلة ويرجع من يرجع الى قول من ينهى
الى صوابه مرة ويتمادى في فنون سيرته وجماله النهي عن مثله والزجر عن ركوب ما هو دونه وكثير فكيف لم يتهم نفسه ولم
يتعقب رايه ولم يتأن ويرتضي الى ما هذا الامر بسبب حال لو انها كانت تنكشف عنه بما يتمنى بعد الخسارة لها الى كثير مما
يشين معه الناس وقد علم انه اذا في ما في هذا الفعل المكروه بالعقل الفاحش بالسماع المقشعر منه بالطبع ما يجب عليه من
التوقي بسبب ما قد انتشر بالشرائع واجمع عليه الاول والآخر من كل جيل وطرف في النهي عنه واستقاط ما اقدم
عليه لانه امر متى ركب بالظن والتوهم الذين لم يؤيدا ببصيرة من عقل ولا عرضا عليها قل ثم استبان له في الثاني نحو
ما اثره وعطاء ما عمل به فاته التلافي ولم يمكنه الاستدراك ولا الرجوع فلو لم يكن في هذا الا ما يوجب عليه الشغل
والاستبصار من اجل ما قاله العقل او ورد به الانباء بالعقل والوحي لوجب ان لا يلقي بيده الى التهلكة ولا يختار ما
يهجنه عليه اهل الروية والبديهة واصحاب الديانة والمروة ولا ينفصل لعادة القائمة ولا يخالف الآراء الحصيفة
ولا يستبد برأي الطبيعة فكيف وقد قضى العقل قضاء جزمًا واوجب النظر ايجابا حتمًا انه لا يجب ان يفرق الانسان
بين هذه الاجزاء الملتحمة والاعضاء الملتئمة وليس هو رابطها ولا هو على الحقيقة مالكها بل هو ساكن في هذا
الهيكل لمن اسكنه فيه وجعل عليه اجرة السكنى بعمارة المسكن وحفظه وتنقيته واصلاحه وتصريفه على ما يعينه على
طلب السعادة في العاجل والآجل ويكون سعيه مقصورًا على التزود الى مثوى صدق ولا بد له من المصير اليه
والمقام فيه على امر شامل وخير غامر وراحة متصلة وغبطة دائمة وحبور مستصحب حيث لا آفة ولا حاجة
ولا اذى ولا حسرة ولا اسف ولا كمد ولا فوت ولا تعذر وهذا مع السيرة المرضية وايثار الاخلاق السنية و
مع اعتقاد الحق وبث الصدق والاحسان الى جميع الخلق فاما اذا كانت الحال على خلاف هذا فالشقاء الذي
يتردد فيه وينعقد به ويرجع اليه يكون نفي وزن ذلك ومقابله نسأل الله الذي بيده ملكوت كل شيء ان يهدينا
للتي هي ارشد في العاجلة واسعد في العاقبة فانا ان خلونا من صنعه اللطيف وبره المألوف هلكنا وخسرنا
انفسنا وعدنا في الثاني شر معاد مع طول حسرة وشدة اسف اللهم فارحم ضعفنا واشملنا باحسانك وتوفيقك
حتى نتوجه اليك قاصدين ونفوض امورنا الى تدبيرك راضين ونتوكل عليك منيبين ونصير الى جوارك مشتاقين
مخلصين يا رب العالمين قد تضمنت هذه المقابسة فنونا من القول وما اظن اني اسلم فيها عليك لسداد
نظرك وتعليلك ومع ذلك فهي غير خالية من بعض الفائدة وانا اسألك ان تقبلها على تخيلها وتهب بعضها
لبعض لتكون اخذا بحكم المروة جاريا على هدي ذوي الفضل في حسن الاغضاء عن شيء لعله يحتمل منه بعض الاختلال
ولا ينال من الصواب كل المنال وانت تعرف ذلك ايجابا بالحق اخيك وفيها بامح احسن اخلاقك التي هي فيك

مقابسة اخرى

قيل لابي سليمان باي شيء تعرف ان في العقل مع شرفه وعلو مكانه انفعالا فقال باستحالة وانقلاب
لان هذين انفعالين ولكنهما انفعالان على طريق الاستحالة وكانه يبدو وهو على نفسه او يقتبس من الذي
هو اعلى منه ويثبت عماد ونه ويشنع عليه فهذا يوهم بالانفعال على جهة التقريب لان مرتبة هذا

الانفعال فوق مرتبة كل فعل مما هو دون الفعل ومما يزيدك استبانة لهذا المعنى واستقامة البيان ان هذا الانفعال
هو الانفعال الاول الذي ليس فوقه انفعال البتة كما الحق الاولية نسبة الى الفاعل الاول الذي لا فاعل فوقه البتة
وكلما هبط الانفعال في المنفعل بعد المنفعل حسن ونقل عن تلك الشرف الذي كان بالنسبة الاولى كالفعل
الذي كلما هبط ايضا في الفاعل بعد الفاعل يحسن ويبعد من شرف الفاعل الاول بالاطلاق الذي هو علة كل ما هو علة
له فانت اذا اعتبرت فاعلا بعد فاعل حتى تنتهي من عندك الى الدرجة القصوى مررت باقسام الفاعلين ومراتبهم
ايضا كذلك اذا اعتبرت ايضا منفعلا بعد منفعل حتى تنتهي من هناك الى ناحيتك الدنيا مررت باقسام المنفعلين
ومراتبهم وهذه امور يقينية اتم بيان وثابتة على اكمل بهجة وافضل رتبة لا يتخللها خلل بوجه ولا سبب لا ما يختيل
منها الحس الكذوب الذي لا يوثق بقضائه ولا يسكن الى حكمه فاما التصفح العقلي فقد اتى على هذه كلها بما اهدى
الى النفس السكون ونفى عن حقائقها الظنون والسلام **مقابسة اخرى** قلت لابي سليمان ما الفرق
بين طريقة المتكلمين وبين طريقة الفلاسفة فقال ما هو ظاهر لكل ذي تمييز وعقل وفهم طريقتهم مؤسسة
على مكايلة اللفظ باللفظ وموازنة الشيء بالشيء اما بشهادة من العقل مدخولة واما بغير شهادة منه البتة
والاعتماد على الجدل وعلى ما يسبق الى الحس ويحكم به العيان او على ما يسنح به الخاطر المركب من الحس والوهم
والتخيل مع الالف والعادة والمنشأ وسائر الاعراض التي يطول احصاؤها ويشق الاتيان عليها وكل ذلك
يتعلق بالمغالطة والتلاجّ واسكات الخصم بما اتفق واتمام القول الذي لا محصول فيه ولا مرجوع له مع نوادر
لا تليق بالعلم ومع سوء ادب كثير ومع قلة تأله وسوء ديانة وفساد دخلة ورفض الورع بجملته والفلسفة
ادام الله توفيقك محدودة بحدود ستة كلها تدل على انها بحث عن جميع ما في العالم مما ظهر للعين وبطن
للعقل ومركب بينهما وما يميل الى حد طرفيهما على ما هو عليه واستفادة اعتبار الحق من جملته وتفصيله ومسموعه
ومرئيه وموجوده ومعدومه من غير هوى يمال به على العقل ولا الف يفتقر معه الى جناية التقليد مع احكام العقل
الاختياري وترتيب العقل الطبيعي وتحصيل ما ند وانقلب من غير ان يكون اوايل ذلك موجودة حسا وعيانا
وكانت محققة عقلا وبيانا ومع اخلاق الهية واختيارات علوية وسياسات عقلية ومع اشياء كثيرة
ذكرها وتعدادها ولا يبلغ اقصى ما لها من حقها في شرفها ثم قال وكان شيخنا يحيى بن عدي يقول اني لاعجب
كثيرا من قول اصحابنا اذا ضمنا واياهم مجلس نحن المتكلمون ونحن ارباب الكلام والكلام لنا بنا كثر وانتشر
وصح وظهر كأن سائر الناس لا يتكلمون او ليسوا اهل الكلام لعلهم عند المتكلمين خرس وسكوت اما
يتكلم يا قوم الفقيه والنحوي والطبيب والمهندس والمنطقي والمنجم والطبيعي والالهي والحديثي
والصوفي قال وكان يلهج بهذا او كان يعلم ان القوم قد احدثوا لانفسهم اصولا وجعلوا ما يدعون لا يحوم
عليها ومساواة لا من عرضها وان كانت المغالطات تجري عليهم ومن جهتهم بقصد منهم مرة وبغير قصد منهم
اخرى قال وكان يصل هذا كثيرا بقوله والدليل على ان النحو والشعر واللغة ليس بعلم انك لو لقيت في البادية
شيخا بدويا قحا محرما لم يحضر يا فلاجا ولا رحيما ولم يفارق رعية الابل وانتثاث المناهل وهو في هيئته
التي لا يشق غباره فيها احد منا وان كلف فقلت له هل عندك علم لقال لا هذا وهو يسير المثل ويقرض
الشعر ويسجع السجع البديع ويأتي بما اذا سمعه واحد من الحاضرة وعاه واتخذه ادبا ورواه وجعله

٤٩

جمة وكان يقول هذه الاشياء والعلوم هي قشور الحكمة وما يكثر منها على قايت الزمان لان القياس المقصود في هذه المواضع
والدليل المدعى في هذه الابواب معها ظل يسير من البرهان المنطقي والرمز الالهي والاقناع الفلسفي وقد بين هذا
الباب ارسطوطاليس في الكتاب الخامس وهو الجدل كل ما في الامكان من التعليق به والاحتجاج منه مع التمويه
والمغالطة بل كثير من المتكلمين لا يصلون الى غايات ما كشفه ورسمه وحدده وابانه عنه وان انضوا مطيهم
وابلوا اجتهادهم سوى ما اتى عليه قبل هذا الكتاب وبعده مما هو شفاء الصدور وقرة الاعين وبصيرة الالباب و
الكلام في هذا طويل

٤٩ **مقابسة اخرى** قال يحيى بن عدي الحركة صورة واحدة لكنها توجد في مواد كثيرة
ومحال مختلفة وبحسب ذلك تولى اسماء مختلفة وقد يظن من اجلها انها في نفسها ليست واحدة وان لها
اخوات ونظاير والبحث الفلسفي قد اتى واحدة بواحدة على ما دل الاسم عليه في الاصل وذلك ان يقال الحركة
كون وفساد ونمو ونقصان واستحالة وامكان وانما تباينت هذه الاسماء لمعان تحققت في النفس بالاعتبار
الصحيح فالحركة في النار لهب وفي الهواء ريح وفي الماء موج وفي الارض زلزلة هذا باب كما ترى قد حصل
في الاستقصاء ولم يغادر منه شيء ثم ان الحركة بعد ذلك في العين طرف وفي الحاجب اختلاج وفي اللسان منطق
وفي النفس بحث وفي القلب فكر وفي الانسان استحالة وفي الروح تشوف وفي العقل اضاءة واستقصاء وفي
الطبيعة كون وفساد وفي العالم باسره شوق الى الذي به نظامه وبجوده قوامه واليه توجهه وبه تشبهه ونحوه
تولهه وتدلهه ثم قال وهذا ابين الحجة وكل شاد من الفلسفة شيئا يسلم لهذه الاشارة ويتوصل بها الى ما هو
من جنسها اقتداء بما يتراءى منها ويشيع عنها والكلام في الحركة في غاية الشرف لانه دال على كل ما قد اشتمل العالم عليه
من العلويات والسفليات ولا مانع من تقصيه الا العجز عن حده والكسل عن بعضه وبين هذين ذهاب
العلم وضلال الفهم وهكذا احكم من قلت دواعيه الى الشيء وكثرت صوارفه عنه الى الله نلتجي فيما دهمنا وفيما لي
بنا من غيرنا فما خسر من لاذ به في السراء ولا خاب من عاذ به في الضراء انه نعم الرب والكافي والمعين والكالي و
المرشد والناصر به يوجد كل مطلوب ويملك كل محبوب وينجي من كل آفة ويتعرى عن كل رذيلة لطيف التدبير
عجيب التقدير خبير بجميع الامور لا تتكرر ذاته ولا يدركه جل معبودا وعز موجودا مشهودا

٥٠ **مقابسة اخرى** سئل ابو سليمان عن الكهانة وما يلحق بها من امور الغيب وعن التنجيم وما يقال به على احكام المستقبل
وعن النبوة التي هي في محلها الاعلى ومكانها الاشرف فتصرف في الجواب احسن تصرف على سعة من اللفظ والمعنى
ولكن لو نقلت كثيرا منه لنسبوه الكفر وقلة العناية ومقدار الحاصل منه قد انبتر في هذا الموضع خوفا من ان
يذهب نسيا نا فان وافقني فيه معان فاحاصلة او حصلت لي بحالة محتملة وما علي الا الجهد وبذل الطاقة
واذا اعذرني المتكلم المنصف لم احفل بالمتعنت المسرف والله يعين اهل الحق بلطفه قال الكهانة قوة الهيئة
توجد في شخص بعد شخص بسهام سماوية واسباب فلكية واقسام علوية فانها ان توسطت صارت في صنف البشرية
والربوبية فحينئذ يكون ما يبدو بها مشيرا الى غيب امور الدنيا والى غيب امور الاخرة على حد يكون على سواء وغلب
مع ذلك لامور الدنيا لان الانسان بالطبيعة اكثر منه بغيرها في الاعم الاغلب والشايع الاشمل فان تحدرت
هذه القوة قليلا كانت الاشارة الى امور عالية شريفة ومحل النبوة بين ابناء هذه القوة بالترقي والتحدر وكلما
كان التباعد للنفس بالمزاج الموافق وكان النور المقتبس من هذه القوة اسطع واعلى فعل هذه قوة المنجم الا انا

الكواكب تتبعها ضعيفا لان الالة لا تساعده والصبر لا يوافيه وذلك انه يتلقا هذه الامور المنتشرة من تلقاء نفسه
ومن ناحية اختياره وقصده وبجهده وليست قوى الكاهن كذلك اعني ليست تتبع بل هي
كالالقاء والوحي والسانح والطاري فان اجتمعت القوتان اعني قوة التتبع بالصناعة وقوة الاقتباس بالكهانة
ظهر له كل امر عجيب وسمع كل قول غريب ثم قال وعلى ما تبين فان الكهانة اقوى اذا كان صاحبها لا يشوبها شيء
من الحس والقاها على صفائها ونقائها لان قوتها تكتسب من المحل الاعلى بنسبتها بالعلة الاولى تامة وقوة
صحيحة واضحة قلت له فهل يخطي الكاهن كما يخطي المنجم فقال نعم وليس الخطا محالا منه لان قوته لا تبلغ
الغاية في الخلاص بل بسبب تركيبه الذي هو سبب استحالته مايحا ورد بغسته قال له ابو العباس البخاري فهل
يخطي صاحب النبوة قال لا ولكن يسهو كما في حديث ذي اليدين بسهوه لا يقدح في الحال التي رشح لها وشرح
بها وجعل سفيرا الى الخلق من اجلها بل يحرس حراسة انه لم يف عند كل الظنة لم تعلقه كل غرفة قلت له فهذا الموضع
فهل يخطي بقوة النبوة من غير ان يستقرها ويعرض للخلق من اجلها فقال لا ولكن يعرض له خيال كما في حديث تلقيح
نخل الانصار ثم رجع عن رايه وقال لهم انتم اعلم بامور دنياكم ولا مانع من ذلك ولولا هذه القوة التي علي حملوها
بها وما اتيتها في اشباهها من العطاء والبرة ما كان يصح حد سر لا انصدق نفس لا يتحقق ظن ولا يتوضح وهم بل هذا امر في
غاية القلة والظهور حتى في كثير من انفس العوام ثم حكى هذا الفاضل ان رجلا كان له غلام وكان مكاريا صاحب حمير و
يخدم عليها غلمان ويثق بهم في عمل بحار كبار وانه في بعض طرقه واسفاره سبب الحمير وطرح الاثقال وقال لها خلي
من شاء ما شاء وعاد الى بيته على ولهٍ شديد لا ينطق بحرف ولا يتعلق بامر ولا يستوضح خبا به شيء فسا واحله ذلك فتعارفوا
فعاتبوه واطالوا عليه فلما كان في بعض الايام وقد احترسوه بكل قول وهوه عن كل قوس توجه نحو الحايط وقال
يا قوم مالكم رمالي ما هذا التعجب والاكثار اما رايتم من كان قاعدا على مزبلة فنبعث من بين يديه عين صافية
باردة كالزلال عذب حلو تشرب منها وتبجح بها وعاشت نفسه بحياة ورقتها وكانت سبب ريها الذي لا ظما بعده
وطهره الذي لا دنس معه هذا تمام الحكاية قال قائل عند هذا الفصل لابي سليمان احدثنا عن قلبه في هذا الموضع
فانه قلما جرى ما لا مزيد عليه ولا تفسير معرولا به من انها محل فرصة يحتملها اهل الباب فقال الكلام الذي ياتي به
صاحب هذه القوة يظهر محتملا للطعن ومحلا للتهمة وطريقا الى الغاية المستنكرة فقال هذا بالواجب ان صاحب هذه
القوة يرسل الكلام ارسالا بحالة فوتة مرة وبجود هامرة ويتوسطها اخرى ولها في نفسها شان بالاضافة الى مزاج
صاحبها بل بالاضافة الى كل حال عارضة والى كل سبب واقع والسنة عاملة عليها والبشرية جارية على خاصتها فيخرج
ذلك الكلام بين مراتب ثلاث في الغاية التي لا غاية وراءها وفي الوسط الذي يعتدل فيه وفي الطرف الادنى
وفيما بين ذلك كله بالارجح والانقص والاقل والاكثر والتاويل يركب منشورها والظن يسري في اطرافها والقائل
يجد سبيلا الى التشنيع عليها فلذلك واشباهه يكون ذلك على ان هذا اذا تامل بالنصفة مقيسا الى الطبائع
المختلفة والعادات المتباينة والاعراض المتشعبة كان في نصاب الحكمة ثابتا وعلى مدارجها جاريا والى اصولها
وفروعها نازعا ولولا ضيق اعطان الناظرين في هذه الغوامض عن التثبت والانصاف لكان يتجلى هذا كل
التجلي ويزول عنه الخلاف كل الزوال قلت لابي سليمان اليس لو صفت الحال هاهنا من عارض خطا و
سانح تاويل ومضروب مثل كانت ابلغ في المعنى وانفى للتهمة من القذى قال بلى ولكن ليس كل ما شهد به



العقل بصفائه وطهارته وبجلاه من الدنس والدرن في فقره وعالم يجوزون ان يوجد لكل ملك الى في عالم الحس الشوب الكدر والذي لا ثبات له ولا استقرار وكيف يجوز ان يوجد كل ما هو بالقوة في كل شيء بالفعل في حال واحدة كانك تريد ان تعري البشرية وهذا ما لا يكون ولا يجوز ان يكون بل يتفاوت مراتب اصحاب هذه القوة بحسب نصيبهم منها حيث انقسمت عليهم فحصلوا بها على مقادير مزاجهم وطباعهم ونهوضهم واحتمالهم وذلك التفاوت هو الذي يخلي الحال عن هذا ويحط شان هذا عن هذا الى ان يلحق الانسانية المحتملة لغاية هذه القوة العالية الشريفة ثم ان الاخلاق والالفاظ تابعة لها على ما يليق بها من ضعف العقل والقوة والبيان واللغو والتوسط ثم قال والبلاء الاعظم في امر الانبياء ان من الناس من يظن بهم انهم كذبة اصحاب حيل ومنهم من يظن انه لا يجوز ان يقع منهم شيء من القول والفعل يتعلق بما يوجب التهمة ويجلب الشك وكان وراء هذين الرايين من هذين الصنفين القول الحق الذي لا يكون بعده تلبيس ولا تاويل وذلك انه ينبغي ان يعلم ان الشخص المخصوص بهذه القوة على الدرجة التي بها يفيح المكان معها ما دام يخبر بها وعنها ولا يمزجها بغيرها فانه حينئذ ينبئ عن اعيان الامور وتقلب الاحوال وعواقب الايام فاما اذا عاد الينا مفارقا للاقتباس اخذا في عادة ذوي الاحساس فهو كواحد من ضربائه ولذا هو ان اصاب فبفطنته وان اخطا فبفطرته لانه في مسلك غيره من البشر ومسلوبهم من الطين الاول ذو طبائع اربع متعادية وعناصر متشابكة لا فرق بينه وبين غيره البتة ما دام الحال على ما وصفنا وحدثنا فاما اذا انبعثت القوة بسلطانها وانبجست النفس ببرهانها فان هذا الشخص ياتي بكل ما يهدي العقول ويصلح الاحوال ويقنع النفوس وينظم المصالح ويقوم الاخلاق ويهذب الطبائع ويكون نور العالمين ورحمة للخلق اجمعين ثم خرج من سياحته هذه للفرق بين الشريعة والفلسفة وحضر الجماعة المساء ولم يستوف ذلك على حقه ولعلي اعود على هذه المقابسة فاتي بما يكون محيطا اكثر قوله في موضع اخر عن غير قصد بطلب جدل بالكلام الذي يعقد اوله باخره ويسار تاليفه بجميع حواشيه وبان التقصير في نثره ونظمه لعلك ادام الله حياتك لو علمت على اي حال نقل هذا القلم وفي اي وقت قلب ومع اي شغل لاستكثرت قليله وحمدت الموافق له وما اكثر ما اخذت نفسي بتحويل ذلك كله الى نمط اخر يطول ان اقول ما هذا الطراز واحتال اشد من هذا الاحتراز اذا اذن الله بزوال ما ختم النفس والبال والخسار ما دهم الصغار والكبار بمنه الشائع وفضله المشهور

٥١ **مقابسة اخرى** قلت لابي سليمان لم قيل تقرير لسان الجاهل اشد من تعريف قلب الجاهل فقال لان تعريفك يوصل الى قلبه مرادك من غير ان يقدر على مجاجتك بالمنع والامتناع وذلك انه لا حجاب على قلبه ولا حاجز دون عقله وليس هكذا تقريرك للسانه لانه يشكر به ما يعرفه بقلبه ويميل الى البهت شرادا عن الحق وزهابا مع العنت واللسان يطاوعه على السكوت والقلب لا يطاوعه على الجحود قيل له قد يكون دون القلب ايضا من الجهالة وغطاء العبارة وضباب البلادة فلا يكون تعريفك موصلا اليه مرادك فقال متى كان الامر على هذا لا يكون عليه حجاب انما يكون بما يرد عليه جاهلا وانما استقام الكلام الاول على الذي عرف فعرف فكان التعريف اسهل على القلب من الاقرار على اللسان واستشهد فكذب فكانت ذات برهان واضح فمن المحال ان يقال بعد هذا قد يكون دون القلب مانع كما يكون دون اللسان مانع لانه ما حدثنا به المسئلة قد فصل الحال وبين المراد

٥٢ **مقابسة اخرى** سمعت غلام زحل ببغداد يقول السماء هي الجسم الذي فيما بين نهاية كرة فلك القمر التي تلينا الى نهاية العالم وجميع اكر السماء على ما صح عند الحكماء تسع اكر اقربها الينا كرة القمر وسمعت بعد هذا ابن بكير يقول انه

ظلك القمر ولكان حاسب الفلك الجزء يقطعان الفلك في كل يوم وليلة مرتين وكان هذا من اداثراتك تفرقها ولو احتال مثل ابو المعشر
على شيء منها وخاصة هذا الرأي ولانه ليس لنا في هذه الصناعة مدخل ولا منفذ لم نقصد الرد عليه ولكنا عجبنا من هذه الفئة الاوائل
الذين قد اقاموا البرهان على خلاف دعواه والصناعة برهانية فليت شعري اي برهان قام له على هذه الدعوى والبرهان معرفة
وهو القياس الذي يعطي صورة الحق غير مشوبة ولا مائلة ولم ابقا اشياء اخر انشأها من تلقاء نفسه وانتحلها وادعاها واعجب
بها اعجابا شديدا والطبيعيات والالهيات قد ذكرناها في رسالة الى بعض الناس ولهذه الاعاجيب في حكاياتها هنا
ومات هذا الرجل اعني ابا سعيد صاحب هذه الاقوال لسبع خلون من ذي القعدة سنة ٣٨٦ ست وثمانين وثلثمائة

٥٣ **مقابسة اخرى** قيل لابي بكر الصيمري لم لم يكن لكل مسئلة من العلم جواب واحد فقال من المسائل ما هو
كذب ومن المسائل مسائل لها وجهات وحواش فيختلف الجواب من المجيبين بحسب نظرهم من تلك الجهات في
تلك الحواشي وبحسب العبارات التي تجزل مرة وتضعف اخرى قال وبعد فالاشياء متشابهة متعاضدة اعني ان
بعضها يشهد لبعض وبعضها يعضد بعضا لان الفيض الاول والجود العام واصلان الى كل شيء بقدر ما يلائم
كل شيء فاذا وقع بحث عن شيء مجهول وتعاضدت الادلة فيه وتشاهدت المشابهة له وتقاطرت النظائر عليه
فصار الجواب من وجه مخالفا الجواب الآخر من وجه فهذا او امثاله كان ما سألت عنه وطالبت به وليس الحق مختلفا في نفسه
بل الناظرون اليه اقتسموا الجهات فقابل كل منهم من جهة ما قابله فابان عنه تارة بالاشارة اليه وتارة بالعبارة
عنه وظن الظان ان ذلك اختلاف صدر عن الحق وانما هو اختلاف ورد من ناحية الباحثين عن الحق

٥٤ **مقابسة اخرى** سمعت عيسى يقول لو ان الاولين اجتمعوا في صعيد واحد واعتبر كل واحد قوة الباقين ليحدوا
العقل طيبين مسهلين ووجدوا اشعاعه ونوره وشرفه وبهاءه ونبله وكماله وبهجته وجماله وزينته وفعاله لم
لما بلغوا منه حدا ولا استوعبوا من ذلك جزءا انظر الى من فقده ولم يوهب له شيء منه كيف يرفض ويخذل الى ان
ويسترذل ويهرب منه ويستوحش من قربه وكلامه وحتى الذي قد ولده وفصل منه ويجري مجراه قال فاما
الحياة فانها ينبوع للفرح والنعم واللذة والمعرفة والحس والحركة لا تمام للانسان الا بها ولا قوام الا معها ولذلك
اذا نظروا الى الميت استوحش منه وتبرم به وعوجل به الى القبر وابعد في الاقطار لان الحياة التي كانت مهالانس
ورباطا بين النفس والنفس فقدت قال ويجري العافية بعد هذين مجراهما وذلك ان العليل متى طالت علته
واشتدت آلامه عظمت تكلفته ملّه الناس وتبرم به وهرب منه احدب الناس عليه فالعقل والحياة والعافية اثافي الحكمة
الكبرى ودعائم العطية الاولى وكل ما عاد لهن فعود دونهن وكلما فارقهن يسقط عنهن والحياة وعاء والعقل
متاع والعافية استعمال ثم قال نسئل الله حياة طيبة وعقلا نافعا وعافية متصلة قيل له لم لم يذكر الفقر وهو
من قبيل الموت ولا الغنى وهو من حيز الحياة وعاء فقال كل هذه الاشياء بعد الحياة والعقل والعافية فروع فان
الانسان بعقله يصبر على الفقر وبعقله يجتلب الغنى وبعافيته يبلغ الغاية ويكتسب السعادة والعقل في جميع
احواله فيتصرف بثمرة الراحة مرة والصبر مرة ويريه الحكمة فيما افشاه ويؤديه الى السعادة في كل ما اقبل به
امره لان العقل متى حل شخصا اضاءه وانارة ومتى فارق شخصا كدره واباره والكلام في العقل مفصل
جدا خاصة اذا ترنم بتمجيده من وفر الله حظه منه وصبغ كله او بعضه به وغمس ظاهره وباطنه فيه وبسط
سلاه والحجة عليه ولا باس مع هذا الاعتراف بشرف ان اكتب لك في هذا الموضع ما يغذو ويحك كبد



الاريحية في نفسك ويشيد ما الأمن ذهنك وينزح ما غار من فهمك ويفتح تغميض بصرك ويطرد سنة قلبك ويؤلف
بينك وبين عقلك اعلم ان العامة وكثيرا من الخاصة لا يعرفون العقل ولا يحققون حده ولا يتصرفون في وصفه و
يكتفون في معرفته بأن يقولوا هو عرض او جسم او انه بها يتميز هذا التمييز ومن اجلها يتكلف هذا التكليف ويكلف
هذا التكليف وربما قال الحاذق منهم هو ماخوذ من العقال وسمعت البصري النبيذ جُمل يقول العقل هو مجموع علوم
هذه الغفلة والعبارة عن العقل اكرمك الله مقسومة على قدر ما يريك منه ويلحظ به ويؤكد السبيل اليه فاما ما يقال انه مرموق
ومكشوف فهو سعة الكلام واتساع القايل وتقريب العرف وسمعت في بعض ما يقال ايضا في وصفه انه مطبوع
ومصنوع هذا قريب من الذي تقدم والذي يقربك من الحق في هذا ويدنيك الى اليقين ويلبسك جلباب السكينة
ان تعلم ان العقل باسره لا يوجد في شخص انسي وانما يوجد منه قسط بالاكثر والاقل والاشد والاضعف والموجود
في العامة واشباه العامة انما هو قوة متصاعدة عن الطبيعة قليلا بعد التباسها بها قد قامت عليها بظل النفس الناطقة
على نصف دون نصف وتزايد فوق تزايد وبها باينوا الحيوان دونها مباينة تامة من وجه وضارعوا مع ذلك
الحيوان دونها مضارعة مختلفة من وجه فاما وجه المباينة فظاهر بالشكل والتخطيط وانتصاب القامة وساير الخواص
الدالة على ذلك الجزء الذي هو الجنس بالنظر المنطقي واما المضارعة المختلفة فمعترف بها بشهادة التصفح وثمرة
الاستقراء الا ترى ان الانسان يوجد له زهو كزهو الفرس وتيه كتيه الطاووس وحكاية كحكاية القرد ولقن كلقن
الببغا ومكر كمكر الثعلب وسرقة كسرقة العقعق وعيافة كعيافة الغراب وجرأة كجرأة الاسد وجبن كجبن الصفرد
والف كالف الكلب واشياء من هذا النحو تكثر وهي تجاه العيون واراء العقول فقد بان ووضح القدر الذي حصل
لهذه الطايفة وما هو وكم هو بهذا التعريف والتمثيل ثم ان هذه القوة قد ترقى ترقيا بعد ترقي حتى تلتبس بالنفس
الناطقة التباسا تاما الا انه يكون معها ظل من الطبيعة على قلة وكثرة وزيادة ونقص فيكون الصواب اغلب والعرفان
اقرب والوجدان اكثب والثقة اكثر والاستنامة بها اخص وهذه هي قدر ما حصل لجميع من فضل عن العامة في
حاله وعلمه ثم ان هذه القوة تصفو في تلك الخطط والمعاني التي هي العقل فيلحظ صاحبها الامور بحقايقها مستوعبة
بحدودها مخلصة من موادها على خاص ما لها من بسايطها وهاهنا يقال ان الولاية للخبر الالهي والمعنى الربوبي
وعند ذلك تكون القوتان الاخريان ضعيفتين اعني قوة الشهوة وقوة الغضب وبالجملة تكون الطبيعة معزولة
وحكمها الحكم بعض الرعية المسوسة بعزة السلطان الملك العادل وهذه حال من وصل اليها وحصل عليها فقد
اوفى على رياض القدس وجاز في حاير النفس ونقي من ادناس الانس وذكرت هاهنا كلمات تلتاط بما سلف
كنت سمعت ابا سليمان تناولها في عروض حديثه عند طيب نفسه قلت له لم نسمع من المجنون الحكمة بعد
الحكمة فقال اتسمع من الذي ليس بمجنون الحماقة بعد الحماقة فالبادر من هذا كالبادر من ذلك وقال
له البخاري فما هذه الاشياء وما الجزء فيها وما العلة الجالبة لها فقال المجنون من جنس العاقل فيحق هذه المشابهة
ما ينطق بالفايدة ويسبق الى الحكمة ويطلع على البديع وكذلك العاقل من جنس المجنون فيحق هذا الشبه ايضا
ما يهذي في وقت ويزل فاخرا وينطق بالخطأ او ينصر الباطل وهذا منسوب للذي فيه من حصة الهيولى بل
منه هذا النقص ولذلك القسط الذي فيه من صفة الصورة يبدر منه ذلك الفضل الا ان هذين البابين
في هذين الشخصين لا يرفعان الحالين الظاهرين على الشخصين اعني ان المجنون بقدر ما يبدر منه لا

عاقلا والعاقل يقدر ما يلزمه حتى لا يكون مجنونا ثم ايضا جميع العقلاء والمجانين مختصين على هذه المناهج ثم قال وهذا
الذي يقول به اهل الكلام في طرائقهم ليس بعقل وانما هو شبيه به او شيء مصرف للفكر او حكمة او خيال وانما هذا ما الطمهم الهوى
واستحوذ عليهم التعصب وحسن عندهم التقليد ودب في نظرهم ودخل لهم اللجاج والضجاج وانغلق باب الحيرة عليهم و
سد باب اليقين عنهم تعالى وهذا قد شاهدهم وتنزههم وصاروا كالغوغاء الاولة متجاهدين ومتسايرين على هذا ولا وجدنا
اعلامهم وكبراءهم ولولا ايثار التقيا لذكرت لك اعيانهم واسماءهم سمعت العبادي بالري سنة خمسين يقول طبع العقل على
ان يشهد للباطل كما يشهد للحق ولهذا اختلف العقلاء في جميع امر الدين والدنيا وهذا ابقاك
الله كلام خبيث وقد تكلمت عليه في كتاب النوادر مع جميع علله وغواشيه ولولا ذلك لكان
يجب ان لا يثبت هذا القول هاهنا على وجهه ولعمري ان عقله وعقل ضربائه كذلك ولا ان يدل على تهجينه بما يخرج
عن حد الادب المرضي وتزايل احكام الخلق الذكي وقد جرى هذا الكتاب في ترتيب العقل وتحقيق المعقول بلوامحها
الى ما يكون به العاقل عاقلا ومعقولا ما يشفي الغلة فانتبه واسعد به **مقابسة اخرى** سئل ابو سليمان فقيل

٥٥

لم يوجد فينا شيء لا يبرز الا بالروية والفكر والتصفح والقياس وشيء بالخاطر والبديهة ولا بالالهام والوحي والكلفة
حتى كأنه كان حاضرا بنفسه مرتصدا لبروزه فقال لأن البديهة تحكي الجزء الالهي بالانبجاس وتزيد على ما يطمع
عليه القياس وتسبق الطالب والتوقع والروية تحكي الجزء البشري وكذلك الفكر والتتبع والاستمداد والتوقع فمن
اجل انقسام الانسان بين شيء ينبعث به مشتاقا الى مطلوبه وبين شيء يجتره شائقا الى مطلوبه ما وجب ان يكون
له روية وهي به وبديهة هي له وكان يقول ولهذا لا تتوفر القوتان معا بالانسان الواحد اي لا يوجد الانسان
غاية في البديهة غاية في الروية لان احدى القوتين اذا اشتغلت قمعت الاخرى وحاجزتها عن بلوغ الغاية القصوى
قلت له فاي القوتين اشرف فقال كلتاهما على غاية الشرف الا ان البديهة ابعد من معاني الكون والفساد وعن
ضروب الاجتهاد والاستدلال والروية الصق بكمال الجوهر واشد تصفية للطينة من الكدر ثم قال الروية
والبديهة تجريان من الانسان مجرى مقامه ويقظته وحلمه وانتباهه وغيبته وشهوته وانبساطه وانقباضه
ولا بد من هاتين الحالتين ومن ضعف فيهما فاته الحظ المطلوب في الحياة والثمرة الحلوة من السعي فقال ليس
حكمها في اللسان اظهر من حكمها في القلب فان للقلب بديهة بالسانح وروية بالاستقرار احدهما في حيز الهيولى
في حيز الصورة ولما كان الانسان متقوما بهما كانت نسبته فيهما يفرغ اليه على حد حصته فيما تأهل عليه ثم قال
على الانسان حالات بحسب المواد الحاضرة والاسباب المؤثرة والقابلة تعتدل بديهته وروية فيها او يسبق احدهما
ثم يستمر ذلك الاستمرار ولا يدوم ذلك السبق وهما قوتان الهيتان الا ان احديهما متصلة والاخرى واصلة اليه
وليس كل متصل به ينفصل بسهولة ولا كل واصل اليه يسير عنه ثم قال له في هذا الموضع ابو زكريا الصيمري الكلام عزيز
قال لم اوتدري لم قال افدنا ابقاك الله على عادتك ولا تذممنا نقصنا بمطالبتك قال لان الكون والفساد واسطة
لهما فالمقوم بهما لا كمال له لان الكمال في الوسط لا في الطرف ولكن ليس الرقي كالهوي ولا الهبوط كالصعود
ولا ما يزان به مثل ما يشان به ولا ما يعذب به مثل ما يثاب عليه انك لعلى جد في لو كان لي منك مدد واندفع في هذا
وشبهه حتى فرق بينه وبيننا المساء فسقى الله تلك الساعات التي كانت تتضمن بهذه الراحات انظر الى بقاياها
الموسومة بالخط المدونة بالقلم المحكية باللفظ والله ان مقاربها في النفس والعقل والروح كانت تسمى كل



حال مشهودة وتسلى عن كل غاية محدودة ومطاخر ب الزمان بالاصد ادون هذه الرياض والانوار كالزنا رتو حاب
كل امل وخيبت كل حجرة وكل كل حدّ حتى لواحد نا النظر في هذا القدر المذكور دارسين لمرجتامنه عاريين وانقلبنا
من الخاسرين والى الله الشكوى فهو المعين **مقابسة اخرى** قلت لابي سليمان احب ان اسمع كلاماً في ٥٦
مراتب الاضافة التي هي مستولية في جل حالاتها مثل قولي هذا وهذا الى وهذا امنى وفي وعلي والي ولدي وعندي
وما ضارع ذلك فقال اما تعلم ان الاضافة في هذا الموضع كلها الى الجزء الالهي لان الانسان محدود بانه حي ناطق
مايت فالحي في احد الطرفين في السكون والمايت في الطرف الاخر بالدثور والحال المفروضة بين الطرفين تكون انسا
وهذا الاسم هو له بالحقيقة ما دام في الكليات اعني الطبايع والعناصر والشمايل وبه يكمل هذا النوع من الكمال
فاذا اضاف هذا الانسان شيئاً الى نفسه فانما يضيفه الى الاثر التي تستحق الاضافة كلها بالاطلاق ولان مراتب الاضافة
مختلفة من مزنبيس الحائط وماء النهر وسرج الدابة الى يد الانسان الى فضل زيد الى ما العمر والى كوكب الفلك
الى العلة الاولى فان كل هذا الى شيء واحد ولكن الصوادر عنه متباينة والقوابل منه مختلفة وكيف كان فقد
بان ووضح ان اضافة الانسان انما هي الى شيء مستحق للاضافة وليست على باب التعريف والاضافة ثم قال ان
مبدأ المضيف الى المضاف ليس للمضاف ومبدأ المضاف الى المضاف ليس هو مبدأ المضيف ومبدأ المضيف هو مبدأ
الاضافة لا تعجب ان الحال في هذا المعقول دايرة متى فرضت شيئاً منها كان مفروضاً على ذلك لانك تجد مطلوبك
من اي ناحية التمسته وتلقى محبوبك من اي جهة اتيته قال وهذا لان الكل هو وهو الكل والكم **مقابسة** ٥٧
اخرى قال ابو العباس البخاري لابي سليمان وقد جرى كلام في الحظوظ والارزاق لعل الذي منى لي في العالم
والادبة في الحكمة والتبيين والاستنباط هو الذي اليه هذا الامر دون غيره من الامور فلما قولاني بما هو اليه
بلغ بي فاما اعلا هذا من الحظ والرزق والكفاية فلعله الى غيره فلذلك ما تركت مهملاً في شيء وتوليت ما فنا في
اخر ولو عني في صاحب المال لبلغت غاية الكمال وكنت اغنى عن ملاحاة الرجال وعن اعادة القيل والقال
فقال له ليس لذلك بل المعنى فيهما واحد وانما تختلف هذه الحكمة ويشكل القضاء عليه في عالم الحس وعرض الزخرف
وارجا الماء والطين والدليل على ذلك ان الحايك لا يزرع القطن والخياط لا ينسج الثوب والخباز لا يذبح الشاة
والعطار لا يدبغ الجلد والزمان لا يضرب بالعود ولو امكن لفعل كل واحد جميع ذلك وكان الانسان يكمل بوفائه
بكل شيء وانما هو لكل شيء وبالواجب خالف حكم الحس حكم العقل في المعقول كل مختلف متفق والكثير واحد واحد هو
كل بعيد قريب وكل متعذر سهل وكل عصي سمح وكل مظنون متيقن وذلك لان الوحدة العقلية في الكثرة الحسية
مدمجة ولو استوى الطرفان لسقط البحث وزال المراء ولكان لا يشتاق الغريب الى وطنه
ولا يحن الى معدنه ثم انشد في هذا الموضع بيتاً ولم ادر من قائله وهو حنّ الغريب الى اوطانه طرباً ان الغريب
الى الاوطان حنّان قال فعلى هذا اموليك في العلم حتى منحك ما تراه هو موليك في الرزق حتى زوى عنك ما تمناه
لا ان ذلك قبول الكمال في الحاشيتين لا لانقطاع الجود عنك في الوجهين وهذا لا باس لك فيه ذنب وذلك
الفيض ليس بغير عجز ولكن هكذا هو وانا استحسن بيتاً انشدنيه على اصل الباب ولم اعرف قائله ولله دره وهو + فان
تصبرا فالصبر خير مغبة + وان تجزعا فالامر ما ترمان + ثم قال على انه وان كان قد ثبت ذلك عما منحك من الحكمة
فعد نظرك فيما قلل حظك منه وكفاك مؤنة سياسته ومؤنة الاسف عليه وخلصك فصر ابيع الساعة

ليا غبط الفقد وريثما تصطلي بانك مفضل فيه على كثير من بني جنسك ولذا اترا الناشين معك والضاربين بسهمك لا
تكون الاسى على شيء هو الظل الزايل والحلم الباطل وعليك في حياتك بما يكمّلك في الجملة ويحلّك من الادب ويفضلك في
البيان وينيلك من الخلق ودع ما سوى ذلك فانه خلل

٥٨ **مقابسة اخرى** سمعت ابا سليمان يقول نحن نساق
بالطبيعة الى الموت ونساق بالعقل الى الحياة لان الذي هو بالطبيعة فعاملت به الضرورة والذي بالعقل قد اطّابه الاختيار
ولهذا الفرق الذي يستبان وجب ان نستسلم لاحدهما ونجرم للآخرة ولا يصح الاستسلام الا بطيب النفس فيما
لا حيلة في دفعه ولا يتم التحرم الا بايثار الجد فيما لا ينال الا به والضروري لا يبحث له لانه واصل والاختياري لا يكسل عنه لانه
غير حاصل لديك فانظر اين تدع توكلك فيما ليس اليك ومن اين تطلب ثمرة اجتهادك فيما هو متعلق بك ثم قال
نحن نقضي ما علينا ونجتهد في الدنيا ويجري الدهر بما شئنا وابينا ثم قال ايضا في هذا الفصل على تقطع ملابق الحديث
وتماديه بعض الحاضرين الانسان مسحوبون بالضرورة والاختيار وعلى ذلك فمعاده والغاية التي هو متوجه اليها
من جهة اختياره ومتوجه بنحوها من جهة اضطراره وهذه كالحيرة ولا سبيل الى حجرها واستبانة كنهها يحق ما عرض
لان الصورة عنونت الاختيار والهيولى رسمت الاضطرار والذي يكون بهما يضرب على حد بهما وتيرتهما وانما
كان الاختيار منسوبا الى الصورة بحق الشرف وانما كان الاضطرار منسوبا الى الهيولى بحسب الخسة والانسان كالانا
لهما والتباسه بهما والتباسهما به ما عرض هذا الصراخ والعويل واحتيج فيه الى القال والقيل والله المستعان في كل
ما عز وهان فيكن هذا مقنعا ان لم يكن شافيا والسلام

٥٩ **مقابسة اخرى** سمعت عيسى بن علي بن عيسى
يقول لما كان الحس يحتذ بالنفس الغضبية حتى ترى صاحبه تعدى محسوسه بالحياة كرجل يتعرض للسيف والحرب
والمقام الصعب ليفشو ذكره ويطير صيته ويعلو شانه ويشار اليه بالاصابع ويتحدث بحديثه في المجامع لم
يكن للعقل ان يشرق بالحق ويستنير بالخير ويلتذ بالصدق ويتملى بالصواب وتستملي النفس منه حقايق
الموجودات ويشرف به على عواقب المطلوبات والمقصودات حتى يجيل صاحبه تعدى معقوله بهذه الحياة الموقتة
الباطلة لينال حياة تامة كاملة دائمة خالدة لا اثم فيها ولا تبعة ولا كدر ولا مشقة هي حلة الهيئة ونهاية عقلية وهيئة
وجدية وحال ليس عليها بيان موصوف بلفظ مستور وموصوف وتكلم بهذا عند حديث رواه في الوقت
بعض الحاضرين زعم انه راى رجلا قد ضربه السلطان بالسياط في الجناية وانه كان يطاف به وهو عريان على
جمل بين الاشهاد فبلغ مكانا وقف فيه الجمل لعارض فلنا منه صبي وشاوره بشيء فقام المضروب هذا على ظهر
الجمل قائما وبسط يده على حايط كان الى جانبه ثم سمرها بيده الاخرى بخنجر وبقي معلقا وعبر الجمل وهو كذلك فتعجب
الناس من نفسه وجراته ومن الامر الذي هجم به على ذلك وزينه في عينه فازددنا بعقب هذا الحديث هذه
الفايدة ومدارها على ان صاحب العقل الذي حظ بالرتبة الكبرى واشرف به على الغاية القصوى واستهان من اجله بالحياة
الدنيا اجدر ان يفزع عن خلايقه وتدابيره التي قد ارتبطته واورطته اذا اهلا بذلك وهو بالحق وعليه اقدر وفيه
اجدر وان الصواب موكل به وناصر له بقدر ما كان الخطأ موكلا بالاول واضعافه

٦٠ **مقابسة اخرى**
قال ابو سليمان وقد جرى كلام في النظم والنثر النظم ادل على الطبيعة لان النظم من حيز التركيب والنثر ادل على العقل
لان النثر من حيز البساطة وانما تقبلنا المنظوم باكثر مما تقبلنا المنثور لانا للطبيعة اكثر منا بالعقل والوزن معشوق
الطبيعة والحس ولذلك يفتقر له ما يعرض استكراه في اللفظ والعقل يطلب المعنى فلذلك لا حظ للفظ

عنك وان كان متشوقا معشوقا والدليل على ان المعنى مطلوب النفس دون اللفظ الموشح بالوزن المحمول على الضرورة ان المعنى متى صور بالسانح والخاطر وتوخى الحكم لم يبل بما يتقوم من اللفظ الذي هو كاللباس والعرض والاثاث والعرض لكن العقل مع هذا يتخير لفظا بعد لفظ ويعشق صورة دون صورة ويانس بوزن دون وزن ولهذا شقق الكلام بين ضروب النثر واصناف النظم وليس هذا للطبيعة بل الذي يستند اليها ما كان حلوا في السمع خفيفا على القلب بينه وبين الحق صلة وبين الصواب وبينه اصرة وحكمها مخلوط باملاء النفس كان قبول النفس راجع الى تصويب العقل ثم قال ومع هذا ففي النثر ظل النظم ولولا ذلك ما خف ولا حلا ولا طاب ولا تحلا وفي النظم ظل من النثر ولولا ذلك ما تميزت اشكاله ولا عذبت موارده ومصادره ولا بحوره وطرائقه ولا ائتلفت وصائله وعلائقه وكان الكلام اكثر من هذا وقد اخرته ان شاء الله لرسالة مسعودة في الكلام على الكلام ثمرة هذا بتمامه فيها مع سائر ما يكون لها بشرح تام وعناية بالغة ان ساق الله الينا ايامنا ورفع هذا الفساد الذي قد منع من كل ما تحتمه النفس به من الخير وصد عن كل ما يكون سبيل النجاة ولا ملجا الا الى الله في كشف هذه الضراء واماطة هذه اللاواء فهو ولي كل خير وميسر كل طالب وناصره ومقابسة

١٤

اخرى قال ابو سليمان وانا اقرأ عليه كتاب النفس للفيلسوف سنة احدى وسبعين وثلثمائة بمدينة السلام ان النفس قابلة للفضائل والرذائل والخيرات والشرور والاخلاق التي تحسن من وجه وتقبح بها وتياتى ذلك من وجه الخواطر عجيبة ولذلك ان الحيوانية منه للانسان اخلاقا وهي لا تستحيل ولا تتغير وللناطقة ايضا اخلاق تترقى بجهاد نية يحمل فما اخذ من الاخلاق في طريق الطهارة والصفاء فهو في قبيل القوى الناطقة وما صعب منها فهو قبيل الحيوانية وليس يجب على الناظر المتحرز والمجتهد المتعزز ان ييأس من صلاح ما يمكن اصلاحه لتعذر ما لا يمكن ذلك فيه وقد شفى الكلام في هذا الباب ابو زيد البلخي في كتابه الذي سماه باختيار السيرة ومن استوعب ذلك بفهم قرين ودربة يعلم الخفا من هذا الباب ابعد مرام وفاز منه باذكى السهام وعلى كل حال فالقصد موثر والاجتهاد مثمر والرأي منصتق والطريق جدد والشوق باعث والنزاع متصل والنداء عال والاستجابة ممكنة والتقريب اخذ الاهبة وتقديم العدة فلعلك ترتقي بطهارة اخلاقك وتهذيب سيرتك واصلاح حركاتك وتمييز نومك من يقظتك الى معادن عزك ومعدن فوزك حيث لا حاجة ولا ملة ولا كثرة ولا قلة حيث يكتنفك الفطنة والسرور ويعمك الروح والحبور حيث لا تحتاج الى ذكر لانه لا يعتريك نسيان ولا تفزع الى طبيب لانه لا يصيبك داء ولا تتمنى شيئا لانه لا يفوتك محبوب ذو الشكل لولا ما اندفع الخطيب المصقع والعاقل المبين دهرا ودهرا التصنيف بمجده وبنشره وثمرة كرامته ونعمته وسناه ولم يلم باده في حقايقه ولا باخف ما يتشبث الوهم به وان اعانوا جنسه وفتحوا عليه ابوابا فوق ابوابه وكيف لا تكون تلك الغاية نفيسة وتلك النهاية عزيزة وتلك العرصة مانوسة وتلك الحظوة مقدسة ولا شيء الا وهو مشوق اليها ولا عقل الا وهو يحث عليها ولا بال الا وهو منوط بها ولا لسان الا وهو اثر عليها ولا روح الا وهو نازع نحوها ولا مفاوضة الا وهي مستراحة من اجلها ولا امثال الا وهو متعلق بها طمعا فيها فكل ما دونها شراب شيء من دون تحصيلها باب وكل تجارة في غيرها لخاسرة وكل امنية دونها خائبة والله لو ان احدا ما حال وصلة بينه وبين احد يشرف بجلالته وعزة بالربه وراحة يتعجلها منه لكل عزم رحيل وكل كدم وجهه مع يقينه بزواله واضمحلاله اذا نال وادرك كان غير ملوم في سعيه ولا معنف على غدوه ورواحه ولا يلحي الراي في ملتمسه فكيف اذا قصر همه على طلب الزلفة في دار الخلود ونزع الى مواصلة من به وجد كل موجود والسلام

٧٢ **مقابسة أخرى** في ثمرة الفلسفة تاريخها قوله لابي سليمان المنطقي ما احسن كلمات لبطليموس في الثمرة فانه قال الشئ من
الثمرة والدر والثمينة ولا علاق النفيسة ولقد شرحها الافاضل فاد وافيها وافادوا منها وما احوجنا الى اخراجها من
في الفلسفة الالهية والطبيعية فانها توعى وتحفظ وتروى وتلفظ وتصير كالجواهر التي تصلح للذخر والاشجار التي تثمر
في كل اوان والموارد التي يخير فيها الانسان فقال خذ الان من ذلك ما يسمح به الوقت ويجود به واهب العقل فان فسح الزمان
كر عليه بالتتميم والاصلاح وما يكون له كالشرح والايضاح ثم قال الطبيعة عشق الكون والفساد والكون والفساد
ركبا البقاء الكاذب والبلى الصادق والنفس محل الفكر والوهم وهما بابا التمييز والذهن والفهم العقل نهاية
الشرف والكمال به يكون نيل السعادة الكبرى من العلة الاولى والطبيعة ذلول لا تقدم تلك الا باكراه النفس والنفس
صدوق لا تكذب الا باكراه الطبيعة والعقل رقيب يحفظ وشاهد يودي وثقة يومن فمن استشاره منتصحا او من
اضرب عنه مغيرا طامح وتزحزح عن اصابة الحق وظهر الفساد فيه فوق بقيته او يقيله متطرحا لنفسه ذلك
علما بما يكون وبفساد ذلك وجود واحد به يقوم ويسعد انما دخل الخلل للانسان من ناحية اعتدائه في
عالمه هذا حتى نسي بطبيعته ما كان يرود نفسه من عالمه ذاك اعرف حقايق الامور بالتشابه فان الحق واحد ولا
تستغرك الاسماء وان اختلف فمقولات غير نام وغني غير بلي وبطل غير ذهب وعدم غير تحول وفقد غير
غايب فان السرور هو الفرح والغم هو الهم والمعرفة هي العلم والقول هو الكلام والبيان هو الايضاح لكن بلد وحجة
وحجة وهيئة وهيئة ومكان ومكان وزمان وزمان ومعرض ومعرض شكول في هذا العالم واغشية متكاثفة
بين احوال مختلفة على طرق محفوفة فاشكل عليك بلدك الذي انت منه فانتسبت في الغربة لبلد لست من اهله
واخذت بعادة كنت غنيا عنها او عرفت مرمالك فيها فاذا انبهت فخذ في اصلاح ما يرحلك الى مقرك حتى تستريح
من هذا القلق الدايم ومن هذا الطول القايم . خذ عليك بذاتك ولا تبخل بما لا بد فيفوتك ما لا
بد لك منه اعرف تركيبك ثم اطلب بتبسيطك فان لكل مركب بسيطا اليه ينتهي ، است طينيا وانما انت طيني ما شغ
مما انت بمنقوص انتسب الى ما انت به موفور شغا ولك في انفعالك في الاول والثاني وان عجزت عن ارتجاع ضا فاتك
فلا تعجز عن حفظ ما معك ولا ينفعك لا ان جهدك فبذ لك تنصل الاجرام التي لا ينفعك الامكان وجد فان وجه
اليك وتوجه وراك فتوجها ما ملك وتغافل عما وراك فان الذي وراك في حكم ما ليس لك فمتى التفت اليه فاتك
متى رجعت الى الاخير به الناموس الحق يعترف باكثر مما يعرف به وانت مجموع معادن انا انسبكت حصلت وان تركت
نسلت الصورة غنية عن الانفعال والهيولى محتاجة الى الصورة فانفعالها على قدر حاجتها الصورة نوبتها والهيولى
بحسب العلة الاولى معادن النفس اذا انت خالصة والها اليه عزوة وهي اوثق من جميع الوثايق والاواصر حد
الانسان حي ناطق مايت فمن ابرز هذا الحد بالفعل كا حواه بالقوة لم يرتق عن ان يكون انسانا كيف تقلبت حاله
ومن تطاول الى احراز ما هو به ناطق على تهاون بما هو به حي مايت علا عما هو به انسان وصار جرما علويا و
جوهرا نقيا ولا امثال له عندنا كالمشتري وما هو في شكلة الهيولى في عالم الكون والفساد اقوى لانها في محل
عزها والصورة في عالم الحق لانها في معدنها ايها الفلسفة حب الحكمة ولا يصح حب الحكمة الا بالجمع بين العلم
بالحق والعمل بالحق لا قوابة بين الحكمة والطبيعة فيما يؤثره الانسان اذا اغلبت الصورة على الهيولى بطل حكمة الهيولى
العلم ثمرة العقل العقل سلم الى الله بلغ الخبر كذوره الانسان موزون بكفتي العقل والطبيعة والرجحان بعد هذا

بالسيرة

بالسيرة المقتناة وكذلك النقصان الطبيعة بالّتي باضطرار خادم العقل وبالوضع منشى لذلك العقل النفس عقل بعلك
الاستنارة والعقل نفس بعد الفكرة والطبيعة مميزة بالنظر في الاول محرفة بالنظر الثاني لا تبلى الهيولى ولا تبيد لكنها
ابدًا في الاستحالة والاستحالة والتاثير والقبول والمتقوم بها هو المكتفي بينهما لا فتور في النفس ولا كدر في العقل ولا
حقيقة في شيء من العلة الاولى لان كل شيء بما هو به مخلوط بحكمة الباري وبما هو مشتبه به مرفوع الى الباري لا منحصر
الاعتدال في عالم الكون والفساد لانه لا واسطة شرف الانسان في تركيب الهوا والهوا اشرف الانسان من تركيبه هو
انفعال الخسيس قبول الحق انفعال ايضًا ولكن في غاية الوجوب وفي ذروة الشرف وفي نظام ما ينبغي العلم شرح العقل بالتفصيل
والعمل شرح العلم بالتحصيل العمل عملان عمل القلب لا تمالك الا احد طرفيه وعمل المباشرة انت مالك له فمتى تحسن
ايثارك للحق صنع لك في الذي لا تملك لو فاتك بحق ما تملك الهيولى عاشقة للصورة مع المنافاة بينهما الا انها بها
تكمل والصورة قابلة للهيولى لانها بها تحسن الا ان يكون المقوم منها داخرا النصيب من الاول الخلل لان كل الخلل لان
في الحرص على سماء الحكمة مع مخالفتها الاصرار الشر مع تمني الاقلاع منه زيادة في الشر العكوف على الخير مع الشك
خسران العاجلة والاجلة تمني الخير في الظاهر مع ملابسة الشر والباطن معاندة تقبل الاهتمام بالخير مبدأ والاهتمام
بالشر غاية المعطي لا يتبع المعطي ولا العطا قيل له في هذا الفصل زدنا شرحًا قال محال ان تكون قوى الاجرام العلوية
في الانسان الجزئي تابعة في البيود والبطلان لا تستجيب شكل المادة لطابع العقل فلذلك يوجد الزيغ في كل معقول و
محسوس لحل محل نقيض باليبوس فلا تجر متى وجدت عالمًا او جدته خفيف المال ومتى وجدت موسرًا او
جدته خفيف البصيرة فان ندر شيء فذاك الشاذ الخارج عن القياس كالعلم بين الناس ليس الا الالهية والبشرية
فاذن لابد من سنن الالهية فتصيروا انسانا وسلاليم وعلايق بين البشرية والالهية يرقى منها العاجز ويحل بها
الناقص مما احوجت الى غيرك لنقصك وشوقت الى من هو اشرف منك بنفسك فاكتف وافن تبق واغضض
تبصر وانس تذكر واعرف تنج وخالط تحرس واعلم في الجملة انك داؤك ولكن فيك دواؤك فاذا استلط داؤك
على دوائك ذلك عاد دواؤك به ودائك انك واضح فلا تتشكل وتغير فلا نظام للصورة سرًا لا يفهم الا
بتأييد العقل والهيولى خلاقة لا يتخلص منها الا بتشمير النفس لعقل سرح النفس مرعاها فيه والنفس
قلب الطبيعة مستقاها منه والطبيعة صراط الانسان من لم يغيره حاكم الطبيعة الى النفس يحكم لك ويبلغ الى العقل
ما يفهم عن النفس يردك اعرف الشر لئلا تقع فيه جاهلا به الشر شران شر ناشئ منك فانت قادر على
قمعه بموازنة الخير المؤثر عليه وشر وارد عليك انت محتاج الى دفعه بمعاونة اهل الخير الكارهين له الشر
عدم فمتى لبسته عدمت والخير وجود فمتى لابسته ظفرت وبقيت ومن خلط الخير بالشر وقف بين العدم
والوجود وساء عيشه ومن ربح به الشر باد ومن فاز بالخير نال السعادة ليس الشر اكثر من عدم الخير وليس
الخير اكثر من معرفة الحق والعمل به قد تعرف الشيء منكورًا وينسى مذكورًا فاما عرفانه فمن ناحية ظهوره و
غلبته واما نكرته فمن ناحية حجبه وسائطه الموجود فيه فظل المعقول بدلالة الواجب له وهذا يلزم لان الموجود طبيعة
لغيره منه صح توحيدك بالمعرفة ووصف معرفتك بنفي ما ينافي سرك هو الاول والاخر والظاهر والباطن والشاهد
والغائب اول بلا مبدأ وآخر بلا نهاية وظاهر بلا تحصيل وباطن بلا فكرة وشاهد بلا ملابسة وغائب بلا فقد
واياك اودع سره وعليك اقام بره ومنك استعارك ولك اعار ما اعارك ليكون ارجا منك ذلك ان يكون

بل اذا جاء عليك بل لك من الحيف ان تجحده وهو نا غيك في ضميرك ويستولي عليك في ظاهرك ومن الجهل
ان تسمو بنقصك وتصفه بحلة نفسك وتخبر عنه كما تخبر عما تركب عنك وفصل منك فيك لعمري فمن الضعف
ان تكون ذا طبيعة ثم تروم ان تكون ذا معرفة ولكن ليس لك ذلك بحال الا انك متى محوت آثارها وجلوت
اصدائها ابصرت ما بين طرفك عنها وتستل الفك منها وترقيك الى المحل الاشرف لا سيما ان كن بطبيعتك
انسانا فاضلا وبنفسك جوهرا عاليا وبعقلك الها غنيا والطريق الى هذه الغاية ام ان حركت همتك وقويت شوقك
ونفيت الشك عن قلبك وصححت اليقين بعقلك وهجرت الحس الذي يكذبك وواصلت الناصح لك ولزمت فناءه
واستعنت واعنت وعرفت واعترفت من غمس نفسه في غمار الطبيعة هلك وطاح ومن اجتلى نفسه بنزهة
العقل طرب وارتاح ومن صمد الغاية بجده وجهده نشر وباح ومن تهاون بتحصيل ما اليه عليه خسر وناح لا يعرفك
ما يرجح لعيك عما يبهج لعقلك لا تتمنى الموت طلبا للراحة مما انت مخنوق به مصبوب عليه دون ان تثق بما تستريح
اليه فانك متى اهملت هذا النظر حقت عليك ان تكون استراحتك مما انت فيه بالموت طريقا الى شقوتك فيما بعد
الموت فمن اخش منك اذن لا عيب على من جهل النفس الفاضلة ان يخدم الطبيعة الجاهلة انما العيب كل
من لحظ العيب في معدنه وشعر بالخير من متوجهه ثم اعرض عنه ساهيا ورضي ان يرحل عن هذه الدنيا
حائرا بائرا افرق بين متحرك من كذا او كذا وبين متحرك من كذا الى كذا حتى يصفو عزمك في طلب ما لا بد
لك منه ثم لا تقف حتى يحط المتحرك على كذا او كذا فيه شرفك الاعلا واليه كان سعيك الادنى والاقصى الطبيعة
شايعة في الاجسام وحركة لها مبلد بقواها فيها فاما النفس فانها تتحرك في الارواح النقية والجواهر الصافية
وهناك يبرز عينها بالحدس والظن والعلم واليقين والحق والصواب ثم العقل بعد هذا له حركة اخرى في
البسائط العالية والغايات البعيدة وبهذا ينال السعادة ويستحق الخلود ويصار الى ما لا يحويه وصف ولا
يرسمه وصف هناك يقف الشوق عن الازعاج ويجاز الشرف كله بلا ممارسة ولا علاج حركة الطبيعة في الاجسام
نفس موموق وحركة النفس في الارواح الشريفة وشي معشوق وحركة العقل في الانفس الفاضلة معنى انيق العقل
خليفة النفس الناطقة عند الطبيعة المغضبة والعدالة كمال الجميع صحة جسدك بازاء عفة نفسك وشجاعة
نفسك بازاء قوة جسدك وتمام جسدك بازاء حكمة نفسك وعدالة نفسك بازاء حسن جسدك فلا تقطع
بين هذه القرائن فيها شرفك واليها توجهك انت من نفس وبدن تبيد بالبدن وتخلد بالنفس فاقصر
سعيك على ما يبقى ولا تلتفت الى ما تبيد معه انت صورة لنفسك وبدنك الا انك مستقيم من حقيقة وثنيها
من نفسك ومجاز داخل عليك من بدنك فوفر عنايتك على مستخلص حقيقتك من مجازك وتقضي به الى
شرف غايتك اخذ النفس من الكرم من اعطائها الطبيعة وتقبل البارى الكريم من فيض على النفس بروز العقل
بالطبيعة اشد من استجابتها للنفس وذو النفس والطبيعة في جهاد دائم وكدح متصل يقبل العقل بالفعل و
لكن في الامر الاعلى وشوق النفس انفعال ولكن في الرتبة الوسطى وبث الطبيعة انفعال ولكنه في السياح الاول من
ذي الطبيعة كذب روايتك الحس الا اذا شهد لدعواها العقل الرضي كنت بدرا في حكم العدم فظلمت بعيدا
من العيب مشهودا له بالعجب فلست الا الامر هو اعجب منه فان شبهت معادك بمبدئك بشهادة الحس اخطأت
وان حجته على ذلك فيوشك ان تكون مصيبا لك وجود بالطبيعة ووجود بالنفس ووجود بالعقل ومراتبها الوجود

فتا لفتة كالريشة ووجودك الثاني على هذا الشرح ووجودك الاول تكن الا يشبه وجودك الثالث هذا الذي انت عليه الطبيعة
يسوس قوابس البدن والنفس تسوس دواعي الطبيعة والعقل يسوس سكان النفس لنظام الحكمة ولكن المنتظم متينا
انت مسكن لغيرك فاجتهد ان لا يتحول عنك ساكنك كارها لك واعلم ان اصطفاك حولك معه الانسان الجاهل
والعالم المنها هل قليل والمؤثر للخير حي صحيح اذا كنت تجد حيا تحكم عليه بالموت بسبب تقتضي لك فلا تنكر ان
تجد ميتا تحكم له بالحياة بسبب يقتضي لك لا تحصل مراد الطبيعة مقبلا فانك ترجع عنه اهلا ما تكون فيه استر
ما تكون فيه فبدنك طبيعي فتهاون به ونفسك عقلية فتوفر عليها الحرص على ان تعلو جيلا الا على ان تقول جميلا وعلى
ان تهوى خيرا الا على ان تحب خيرا وعلى ان تعمل بما ينبغي الا على ان تدع بما ينبغي فيك درة الحق فلا تجد عنها ومعك
وائل الشرف فلا تضيعه والبر شدك فلا تفت نفسك ما لعقا الكرك ملكت ملا لا تستحق فاحسن سيا ستحق يستحقك
في التجارب برأي النفس فاستكثر منها فانها انجح في كل داء وابلغ من كل شفاء انا احتميت دامت لك الصحة واذا
شرهت حاقك السقم وافضى بك الى الندم ما احمد المتوانى عاقبة حاله ولا ذم الواصف فرصة غب امره ارحم نفسك
قبل ان تسترحم غيرك فانها افادتهما اكرمتك واذا استرحمت غيرك لم يرحمك فان رحمك اهانك وامتن عليك
فلا تنفك من غصة تحقون عليك الموت وتسوقك الى العدم كن ما قلا حتى لا تفتر وخبيرا حتى لا تغر وفي الجملة كاملا
حتى لا تنقص فان قلت انى لى بالكمال فاعلم ان كمالك في نفي نقصك بما تعرف لا بما يزيله لان نقصك من جهة التركيب
لا من جهة البساطة لا تنم بين الايقاظ ولا تغفل عن الرقباء ولا تدع عنها المكذبين ولا ترج مالك اليوم الى غد
فان غدا ليس لك فان كان لك فانر شافلك عن يومك ساء ما منتك نفسك ان تنال لذتك وتبلغ شهوتك ثم تدرك بعد
هذا سعادتك ليتك اذا دفنك التراب وغسلك الماء ولطفك الهواء واحرقك النار وتقلبت بك الاستقصات وما سفلك
علوا ومرنك نقاء وظاهرك باطنا وصرت مقبولا بكل شكل ومرقى الى كل غضل ومجلوا على كل عين ومذكورا بكل لسان
ومتمنى بكل قلب ومعهودا بكل اصبع ومقدسا بكل مجد وملتجى في كل زمان واويا الى كل مكان وموجودا في كل
اوان ومخبرا عنه بكل عيان كنت اهلا للبقاء والخلود والكرامة والغبطة ومشاكهة ما لا يزول ولا يحول ولا يبور
لا يجوز ولا يصل اليك شيء الا ممزوجا ولا تصل الى شيء الا مكدورا الا ان الواصل اليك من العلو يخرق حجابا يتشبث
ما يمر به ويتعلق هو ما يختار عليه واما الكف الذي يصحبك فلانك في مركز يتطاول الى المحيط وهذا حال خطر وغرم
الا ان يكون الجد صاحبك والتوفيق كافلك انت سماء فيك كواكب تزهر وارض فيك عيون تزجر وهواء فيك رياح
تهب وجبل وفيك عيون تنبع اقصد بكثرتك قلة وبقلتك توحدا وبتوجهك بقاء سرمدا لا راحة لخوف
دون الامن ولا دعة لراج دون المطلوب ولا سكون لمحتاج دون الغنى ولا غنى دون درك المنى ما اجهد الطبيعة
في عمر ليلا تنك ما الطف النفس في اهداء النصيحة اليك وما اشرف العقل فيما يجود به عليك افرج عن الطبيعة
يفرج عنك اي لا تسمح لها بالهوى فانها لا تعتدل الطبيعة تستهوي في اللب الوافر وتخل الحازم الموفور وتفل عرب
المدد المجسو لها في البدن صلاح وفساد فقط اذا اعتبرت افعال الله وجدت القدرة في وزن الحكمة والحكمة
في وزن القدرة وفي بعضها تجد القدرة والحكمة خافيتين وفي بعضها تجد هما ظاهرتين فلهذا واشباهه اشكلت
المطالب وثارت الشبه واختلفت الطرق والمظان وصار الباحث وان كان تحريرا نقابا يزل من شق الى شق ويميل من
جانب الى جانب ولو استتب البحث على جدده واستتب القول على صدده كان البرهان على قدر الوجدان والبيان على

فقد والعرفان بها اشكل المطلوب لانك اردت ان تجد بالحس ما لا يوجد الا بالعقل وتجد في العقل ما لا يوجد في
الحس ولو رتبت كل شيء موضعه ورعيته لم يسم المطلوب الا يكون يقينا ولم يسم اليقين ان يكون مظنونا الا
بعكس جدك في ترتيبه وحفظ نظامك منه فان تمامك بما حق الطبيعة غير بطي وتصفحك بالنفس غير ملول ونيل
بالعقل كل ما تريد بجهد التسعد ويرتد ريك بقاء لابد منه بالطبيعة قائما على النفس رفيقا بها لا تستشعر العقل
ملتفا باوساخ الطبيعة فانه يعافك ولا ينصحك ولكن توجه اليه ظاهرا امن كل دنس عاريا من كل فساد ثم
اسمع منه فانك لا ترى الا الرشد ولا تجتني الا الغبطة الاختيار مركب من قوى النفس والطبيعة ولذلك كان معنى
الانفعال فيه بالواجب اظهر من معنى الفعل منه والامكان لانه في انتسابه الى النفس ذو صورة وقيامه بالطبيعة
ذو هيولى وعلى هذا فنون الافعال كلها الا ما بان في وليته عنها وفي هذا الكلام لعله يقع في موضع آخر مقا[بسة]

أخرى

قلت لابي سليمان يوما لم لم يصف التوحيد في الشريعة من شوائب الظنون واشباه الالفاظ كاصفا ذلك في الفلسفة
وقد سمعناك تقول غير مرة ان الشريعة اذا كانت حقا لا تكون كذلك الا بقوة الاهية بعايد النمط الذي قد ورد به النشر
وصار عقد الديها ونحلة الجمهور حتى صار في غمار هؤلاء من يشبه التشبيه الفاحش ويشير اليه الاشارة الخفيفة
فقال في الجواب قد قلنا مرارا في المذاكرات التي سلفت والمعاني التي جضت وعرفت ان الكلام الذي يراد به استصلاح
العامة واستجماع الكافة لا بد ان يكون مرة مبسوطا ومرة موجزا ومرة مستقصى بالايضاح والافصاح ومرة مجملا
بالرمز والتعريض ومرة موكلا على الكناية والمثل ومرة مقيدا بالحجج والعلل وعلى فنون كثيرة لا وجه لاستيفائها اذا بان
المراد في غرضها واشباهها واذا استقر هذا مفهوما وتوضح بيانا فالواجب كان نجمع ما يحويه الشرع من هذا
الضرب ليجد الخاصي فيه اشارة تشفيه والعامي عبارة تكفيه فقال بعض العرب انا قد وجدنا للاوائل في التوحيد جليل
كلاما كثيرا استقام باولم يلب مقالهم ايضا ما كدر على غيرهم وهذا يدل على ان ما ينطق به الناموس قريبا مما ينسخ
في النفوس فقال انا لا اظن ان كل من كان في زمان الفلاسفة بلغ غاية افاضلهم وعرف حقيقة اقوال المتقدمين منهم
بل كان في القوم من راى راي العامة وحط الى ما حطت اليه ولم يبن منهم كثير شيء مع قدم الزمان ولقاء المحققين الثقات
وهذا الداخل لا يكون قادحا فيما نصصناه من القول في حقائق التوحيد الذي ظفر به خلصاء الحكمة وفرسان
الصناعة على ان الترجمة من لغة يونان الى العبرانية ومن العبرانية الى السريانية ومن السريانية الى العربية قد
اخلت بخواص المعاني في ابدان الحقايق اخلالا لا يخفى على احد ولو كانت معاني يونان تهجس في
انفس العرب مع بيانها الرايع وتصرفها الواسع وافتنانها المعجز وسعتها المشهورة لكانت الحكمة تصل
الينا صافية بلا شوب وكاملة بلا نقص ولو كنا نفقه عن الاوائل اغراضهم بلغتهم كان ذلك ايضا نافعا
للغليل وناهجا للسبيل ومبلغا الى الحد المطلوب ولكن لا بد في كل علم وعمل من بقايا لا يقدر الانسان
عليها وخفايا لا يهتدي احد من البشر اليها وذلك للعجز الموروث عن الهيولى والضعف الثابت
في الطينة الاولى وهذا لكي يكون الله تعالى ملاذ الخلق ومعاذ العالم وهذا الذي سرى بين الجميع
في الانقياد والطاعة حتى حصل هذا مستجيبا لما هو وصامت لم يطاع وهذا اصابر الى ما هو مدعو اليه
فانه وكنه هذه العيوب معترف به في الجملة ومسلم اليه في التفصيل فقال له البخاري فعلى هذا افلا كلاما
في التوحيد فقال اما من اعترف بالوحدانية ثم شبه فقد رجع ما قال ونقض ما اعتقد واما من ذكر

اكثر من واحد فقد ضل عن الحق كل الضلال ؛ واما من اشار الى الذات فقط بعقله البرئ السليم من غير توهم باسم او حلية رسم مخلصا معتقدا انه فقد وفى حق التوحيد بقدر طاقته البشرية لانه اثبت الانية ونفى الايْنية والكيفية وعلاه عن كل فكر ورَوية ثم قال لقد احسن من قال ان حاولت فات خوتا بعيدا او ان ازمعت جحوده بان غيك موجودا مشهودا وكان تذييل الكلام اطول من هذا اثمرته خوفا من جناية اللسان فى الحكاية ونبوة القلم فى الكتابة وايثارا للمحافظة فيما يجب على الانسان اذا نشر حديثا وروى خبرا وآثار رفيقا واوضح مكنونا خاصة اذا كان ذلك فى شئ غامض ومعنى عويص ولفظ مشترك وغرض متنوع ينبو عنه كل قول فان ويتجافى عنه كل نازع وان اغرق

مقابسة اخرى

٤٤

سمعت ابا سليمان يقول قال افلاطن ان الحق لم يصبه الناس فى كل وجوهه ولا اخطاؤه فى كل وجوهه بل اصاب منه كل انسان جهة قال ومثال ذلك عميان انطلقوا الى فيل واخذ كل واحد منهم جارحة منه فجسها بيده ومثلها فى نفسه فاخبر الذى مس الرجل ان خلقة الفيل طويلة مدورة شبيهة باصل الشجرة والنخلة واخبر الذى مس الظهر ان خلقته شبيهة بالهضبة والرابية المرتفعة واخبر الذى مس اذنه انه منبسط رقيق يطويه وينشره فكل واحد منهم قد ادى بعض ما ادرك وكل ما يكذب صاحبه ويدعى عليه الخطا والغلط والجهل فيما يصفه من خلق الفيل فانظر الى الصدق كيف جمعهم وانظر الى الكذب والخطا كيف دخل عليهم حتى فرقهم وكان يقول اعنى ابا سليمان هذا مثل يشتمل على نكت حسنة مفهومة لا خفاء بها عند من سمعها بتحصيله يؤيدها بيان قال ولهذا لا تجد عاقلا فى مذهب يقول شيئا الا وهناك ما قد اقتضاه ذلك بحسب نظره السابق الى قلبه والملايم لطبعه والموافق لهواه ولكن البارع المتسع المحصل له المزية فى السبق والفلج بالتدبير

مقابسة اخرى

٤٥

هذه مقابسة يذكر فيها نوادر سمعناها فى الفلسفة العالية من ابى سليمان مفيدة واذا وهب الله نشاطا وتمكينا عدنا الى نظايرهن فرويناهن فانها كثيرة نافعة غريبة سمعته يقول نزلت الحكمة على رؤس الروم والسن العرب وقلوب الفرس وايدى الصين وقال ايضا انما يخرج الزبد من اللبن بالمخض وانما تظهر النار من الحجر بالقدح وانما تستبان النجابة من الانسان بالتعليم والمعدن لا يعطيك ما فيه الا بالكدح والغاية لا تبلغها الا بالقصد ومن نشا بالراحة الحسية فاتته الراحة العقلية والعاجلة تتصرم والآجلة تدوم وقال الحرف الذى يدعى فى العربية وينسب الى الادب موروث من العرب وذلك ان ارضها ذات جدب والخصب فيها عارض وهم من اجل ذلك اصحاب فقر وضر وربما دفعوا الى وصال وطى وكل من تشبه بهم فى كلامهم وطريقتهم وعادتهم ارتضع ما هو غالب عليهم من الحرب والاحفاق للذين عليهما الفهم الا ترى ان الشبع غريب عندهم والرعب مداوم منهم وهذه هى الحال التى عرفت من الحاضرة والبادية وقد زادتهم حرفتهم شرا لكنهم عوضوا الفطنة العجيبة والبيان الرايع والتصرف المفيد والاقتدار الظاهر لان اجسامهم نقيت من الفضول ووصلوا بحدة الذهن الى كل معنى معقول وصار المنطق الذى بان به غيرهم بالاستخراج مركوزا فى انفسهم من غير دلالة عليه باسماء موضوعة وصفات متميزة بل غشاكالالقاء والوحى لسرعة الذهن وجودة القريحة قلت له قد صنف ابو اسحق الصابى رسالة فى تفضيل النثر والنظم فقال قد كان منذ ايام سالنى عنهما فقلت له النثر اشرف جوهرا والنظم اشرف عرضا قال وكيف قلت لان الوحدة فى النثر اكثر والنثر الى الوحدة اقرب فمرتبة النظم دون مرتبة النثر لان الواحد اول والتابع له ثان فقلت له فلم لا يطرب النثر كما يطرب النظم فقال لانا منطوون

فهلا ايضا اطربنا وصورة الواجد فينا ضعيفة ونسبتنا اليه بعيدة فلذلك اذا انشدنا تراجعنا هذا في اغلب الامر وفي اعم الاحوال
او في اكثر الناس وقد نجد مع ذلك ايضا في انفسنا مثل هذا الطرب والاريحية والنشوة والترنح عند فصل منثور وفيما
يجده بهذا الذي نصرناه والمعنى الذي اجتبيناه وان الكتب السماوية وردت بالفاظ منثورة وهذا الطب مشهور حتى
ان من اصطفي بالرسالة في آخر الامر غلبت عليه تلك الوحدة فلم ينظم من تلقاء نفسه ولم يستطعه ولا التقى الى الناس عن
القوة الالهية شيئا على ذلك المنهج المعروف بل ترفع عن ذلك وخص فخرضه ما كانوا يعتادونه وبالقوة باسلوب
حير كل سامع وبرد غلة كل مصيخ وارشد كل غاو وقوم كل معاند وافاد كل لبيب واوجل كل طالب وخسا كل معرض وهدى
كل ضال ورفع كل لبس واوضح كل مشكل ونشر كل علم واقاد كل شارد وقمع كل ردي وهذا لا يكون ولا يجب ان يكون
الا في الشخص المخصوص الذي يوهل لنظم الكلمة المنتشرة باظهار الدعوة العزيزة في ايام السعادة المنتظرة بين خير
اسوان ثم يكون لهذا كل زمان مجلس ويدين تنتهي اليه على السياج الاول مع العوارض التي تختلف من عجائب الزمان وافانين
الدهر ما دام كذلك كرعلى سالف [illegible] شان تنبيه بالدرس الى ان تعود نضرته المعهودة فتزول خلوقته العارضة

مقابسة اخرى

نعود في مقابسة اخرى الى اشياء لابي سليمان فناتي بها على وجهها ونذكر فيه حكما سمعناها
من الحراني ابي الحسن وغيره فقد كانت لمجالسه لا تنصرم الا من فوائد كثيرة فلسفية وغير فلسفية قال الحراني قال بعض السلف
من الحكماء الصلاة والصلاة العلم ما تم فضيلته بالعمل به على ان العالم وان لم يعمل بعلمه تتوق نفسه الى حال من الاحوال الى محاسن ما علم وحفظه
الجاهل منقطع السبب والعالم ينتفع وان لم يعمل وليس ذلك للجاهل والعالم كالسبع والجاهل والجاهل كاسب للعالم قال ابن زرعة قال بعض القدماء
العقل والي على الفضيلة فمن اباها استحق لعصيه ملك الترفة الى رذيلة ومن اثرها استحق اسم الجهل فما كان مميزا لتركه العقل بدلا لشر
وقال الصابي قال الاولون الشكر الاعتراف بالنعمة للمعود وجزاؤها بالحسنى في الضمير والقول والفعل فاما اجزاء الضمير
فالستر والمحبة والطاعة واما اجزاء القول فالثناء والدعاء والنشر واما اجزاء الفعل فالصبر والسعي فيما يرضي المنعم قال والشكر
ثلاث طبقات لمن فوقك بالطاعة والنصيحة ولاكفائك بالمكافاة ولمن دونك بالتفضل عليه والشاكر ان قصر عن ثلث لم
يشكر ويحتاج الى معرفة وطباع وعمل فبالمعرفة يعرف كنه النعم وقدر ما يجب عليه من الشكر وبالعمل يبلغ كنه ما هو عليه وبالطباع
يكون الدوام على ما وجب عليه والشكر مراتب فشاكر قصر عن قدر النعمة ولا عذر له الا ان يكون ذلك منتهى طاقته وشاكر
اقتصر على التسوية فما كافاء ما اولي اليه وليس بمحسن ان اطاق الزيادة وشاكر زاد متفضلا وكرما فهذه اعلى مراتب الشكر
قال القومسي السلطان في تدبير الرعية كالشمس في تفصيل الازمان والجند كالرياح في التلقيح والعلماء من الجميع كالنبت
والجبوات والعوام في نقل الامور كالارض في حمل الانام وما يكون منه منافع الانسان وقال علي بن عيسى ليس يرى مجد الحكمة
الا من كان بصر عقله في ذاته لا بصر قلبه في عينيه وما احسن ما افتق لسان البدوي بهذا المعنى في نظمه السائر ما الفضل فيما
ربك عين بل هو ما يرى القلوب وقال علي ابن عيسى قال افلاطون من اتصلت الحكمة بطباعه فتحتها واخرجت منها انواع النبات
المخالف لها في الشكل والقوة والصورة وقال غيره قال سقراط كل مضطر ليس بمحمود ما امكن منه الاختيار قال ابو سليمن وقد
سمع هذه الحكاية ما احسن ما قال بطليموس في كلماته في الثمرة حين قال انا اطلب المختار المختار لا افضل فليس بينه وبين
المطبوع فرق وقد شرح هذه الكلمة في اخواتها من الثمرة كاتب نطولوس واربي على كل فائدة ملك لابي سليمان اذا كان في
الاختيار انفعال لا محالة فلولا يكون المطبوع افضل منه وان سميته مضطرا فقال قد وضح لك قديما ان الانفعال على ثلثة
الحال منحو بخط ما المنفعل عن خاصيته جوهره باستحالة صورته واختلال كينونته وضرب يتحرك به المنفعل على نفسه اما

نفعه

تنقصًا لما اجتمع او استهلاكًا بما انحل عنه وضرب يتطاول به المنفعل الى ما هو فوقه مقتبسًا بالقوة شوقًا الى
القدرة جارٍ على الشرك الواحد فهو بالقوة الالهية افضل من المختار ولكن شرف المختار عليه من جهة القدرة
الموهوبة له يتخير بها وفي هذا اعني التهليل وشرف المطبوع من جهة القدرة الموجودة فيه بل ومر عليها
وفي هذا المعنى العيش وقال آخر وهو عيسى بن علي قيل لبعض القدماء كيف يكون المحرك ساكنا فقال في الجواب
كالمغناطيس الذي يحرك الحديد وكذلك الشهوة للبدن فان الجو والشهوة ساكنان وكذلك المعشوق والعاشق
فقال القومسي وغيره ايضا من الحكماء البينة قول الاول انما يدرك الشيء من جهة علته المحيطة به فاذا لم يكن للشيء
علة فلا محالة انه غير مدرك وقال عيسى بن علي الملك بحق من ملك رقاب الاحرار بالمحبة وقال الصابي قال ثابت
بن قرة الخرافات توجد من اربعة اشياء وهي عجايب البحر وحديث السحر وحديث العشق وحديث الجن

مقابسة اخرى ٤٧

قال ابو سليمان قال بعض الطبيعيين البياض ينشر البصر لانه من جنس النار والسواد يجمع للبصر لانه
من جنس الماء قال وقال آخر الفصل بين الجوهر والعرض ان الجوهر لا يقبل الزيادة ولا النقصان والعرض يقبلهما وقال
كل خير حسن وليس كل حسن خير وقال كلما فضلة النفس بالادب فضلة الطبيعة بالعادة وفعلة العقل بالتقبل و
فعلة الباري بالجود وقال الغضب يتحرك من داخل الى الخارج والحزن يتحرك من خارج الى داخل وقال بعض الاوائل
معرفة الدواب اولادها بالرايحة ومعرفة الطير افراخها بالالوان ومعرفة الناس بالصورة وقال متى كانت
الحركة بشوق طبيعي لم تسكن البتة ومتى كانت باختيار جاز ان تتحرك مرة وتسكن اخرى وقال سقراط ان لم تكن
للناس استطاعة فاني محرك غير محرك ثم قال ابو سليمان هو محرك اذا كان محركا لانه محرك لا محرك فقيل لم قد نظن
بالباري اذا كان محركا ان يكون محركا لانه يحرك فقال لا يجب هذا الامرين لحلهما ان في القسمة قد تبين ان ههنا
محركا لا في مقابلته محرك غير محرك والثاني ان معقولنا من قولنا الباري محرك الاشياء لانها نحوه وتصمد اليه وتتشوق
وتفعل به وتنفعل له لانه تقدس وعلا يوسم ما يوسم به اصناف ما تحرك او تحرك وقال بعض الاوائل العلم والعمل حدا
الفلسفة وكل واحد منهما بين ضدين فالعلم بين الصدق والكذب والعمل بين الخير والشر ثم قال هذه الرذايل
كلها اعلام هذا لفظه من الفها واستعملها وانقاد لها وغلب عليها فقد اعدم نفسه وعدمها وعدم معها وتحصل
فيها والعدم حال سيئة مكروهة واحشة لا ياتي عليها نعت وان كان بليغا ولا يحيط بها قول وان كان شافيا فاما
الفضائل فعلى خلاف هذه كلها هي موجودة ولها الوجود المستفاد من الوجود الاول فمن اقتناها واستعملها
وراض نفسه بها اليها واجرى عادته عليها والان عريكته لها انقطاعا عن ما عداها وانقطع اليها وكلما قصته
الازدياد منها بقي موجودا بوجودها وجودا لا بقاء له على قدر اشتماله عليها وتصريفه لها وامعانه فيها فما
املك بحال توضح لك الفصل بين الموجود والمعدوم وترشحك لنيل ملك عظيم وتمليك للظفر بشان جسيم
وتوقفك على صراط الله المستقيم ثم قال وليس في التحلي بالحكمة تعب كثير فقد والله شاهدنا قوما جهلوا الاماثل
وركبوا اهوالا عظيمة لسبب اغراض هايلة واعراض زايلة ولسبب هوى سوّل لهم وقرين اغواهم واعتقاد
ردي غلب عليهم وشيء حقير تعجلوه بشهواتهم وطلب السعادة باصلاح السريرة واتحاد الصواب اهون من
ذلك اجمع فلا يصدنك عن سلوك هذه المحجة البيضاء امر مبهم ولا حال مستعجمة فان فيما تدركه وتشرف عليه
نيل الروح برخلها كثيرا وغاية عظيمة فلا تكل نفسك الى اختيار السوء والى قرناء السوء فانك ان فعلت ذلك

خسرانا مبينا وضللت ضلالا بعيدا او تحرقت اسفا وتقطعت ندما وان نعشت نفسك واخذت بيدك
واستمررت في امرك واستويت بدايك ورفضت كل كل عنك وعرفت المراد منك فزت فوزا عظيما ونلت ملكا ونعيما
وبقيت بقاء بلا انقطاع وسعدت سعادة بلا شقاء وصفوت وعلوت وعرفت وانفت وقدرت وظهرت بجلي
وشرفت ولحظتك عين الجود غامرة واكتنفتك الخيرات ظاهرة وباطنة واحدا لا ينقسم وناظرا لا يغمض وموجودا
لا يعدم وبينا لا يخفى وشاهدا لا يغيب وحاضرا لا يفقد وعلانية لا تنكتم ومتصلا لا ينقطع وحبيبا لا يقلى
ومعشوقا لا يجفى وموصولا لا يبعد وصاحبا لا يمل ومجموعا لا يفترق وامنا لا يخاف وساكنا لا يقلق وناطقا لا يعيى و
صحيحا لا يسقم امر يجل عن نعت الناعتين وحال تعلو قول الواصفين وشان تدق على خبر المخبرين فاجمع اكرمك الله
بالقبول اطرافك وشمر الى الغاية ذيلك وكن رقيبا على نفسك فلا مشفق عليك سواك ولا ناظر في امرك غيرك وعلى الله
التلطف وعليك الاجتهاد والسعي فما بعد نصح الداعي وقبول السامع الا نيل الاماني وبلوغ الامال **مقابسة**

٤٨

اخرى قال ابو سليمان قال بعض الطبيعيين الوسط فيه الطرفان فان الماء الفاتر توجد فيه الحرارة والبرودة
ثم قال وهذا بيان قول الاوايل الانسان لب العالم وهو في الوسط لانتسابه الى ما علا عليه بالمماثلة والى ما سفل عنه
بالمشاكلة ففيه الطرفان اعني فيه شرف الاجرام الناطقة بالمعرفة والاستبصار والبحث والاعتبار وفيه صفة الاجسام
الميتة الجامدة التي ليس لها شعور بشيء من الخير ولا فيها انقياد له فما احرى من هذه حاله وشانه ومقره ومكانه ان ينبعث
الى ما يعز به ولا يذل به ويوجد به ولا يفقد وينال به ولا يحقق وما اشقى من هذا حده بشرع التمكين والاستطاعة
والقدرة والقوة والتذكرة والتبصرة ان تردى من ربوته ويذهب في هوته ويبقى بها سيا حسيرا ومقيدا اسيرا بلا
فكاك ولا اطلاق ولا رحمة ولا اشفاق قال ايضا قال افلاطن من ملك منطقه سمي حليما ومن ملك غضبه سمي شجاعا
ومن ملك شهوته سمي عفيفا قال وقيل لافلاطن اي الامرين اعلى درجة ان يقول ما يعلم او يعلم ما يقول فقال ان
يقول ما يعلم لان مرتبة العلم فوق مرتبة القول قال وهذا كما قال ما تعلم فالقول تابع للعلم وهذا هو الحق ليكون العلم
اولا فاصلا واذا علم ما يقول فكان العلم مقصورا على قوله من غير ان يكون قايما بنفسه ثابتا في معدنه جاريا من
ينبوعه بهذا الحرما فهمناه عنه في هذا الفصل ولعل المطالبة بزيادة شرح ممكنة فان المغزى فيه لطيف في البيان
عنه عزيز وقال بعضهم والمثل الانسان الذي لا يعمل بعلمه كالشجرة المورقة لا ثمر لها وقال اخر البخيل الغني كالبغل القوي
وقال اخر من الصورة والهيولى يكون الحد ومن الصورة والعلة يكون الايضاح ثم قال وهذا صحيح لانه لا وجود لشيء لا بصورته وهيولاه
فاما الهيولى بذاتها فغير موجودة وكذلك الصورة فكل ما يقوم فانما يتقوم بهما ثم يصير كذلك المتقوم صورة لاخرى محفوظة الظاهر
والباطن الى الاولين الذين هما الهيولى والصورة ثم على حسب ما عليه الصورة في هذا المتقوم يكون شرف جوهره لانه يستفيد البساطة من
الصورة والتركيب من الهيولى وذلك على حسب ما عليه هيولاه فيكون مرة جوهرة وسيلان عنصره فكل حيوان غير ناطق عادم لشرف الصورة وكل حيوان
ناطق واجد لشرف الصورة الا ان الناطق ناطقان ناطق في الذروة وناطق في الوسط فالذروة للاجرام الناطقة
الحية النيرة العلوية والذي في الوسط الانسان الذي قد حوى بحده معنى النطق ويظهر منه هذا المعنى في الطرفين
بالفطرة التي له فانه يحس ويعقل والاخر بالرياضة المحمودة والالف الحسن والاختيار الجيد والقبول الدايم
ولما علت الاجرام الناطقة عن هذه المهابط التي يتصف فيها الانسان استغنت عن الرياضة والطلب والفحل بل و
والاجتهاد والاختبار ولما سفلت الاجسام الاخر التي هي في اخر الاطراف لم يطمع لها في ثمرة النظر وعاقبة الرياضة

وما يفيد الاختيار ويتوقع بالقبول وكما حصل للانسان دون الجواهر الناطقة كذلك حصل لساير الحيوان الذي هو
دونه دون الانسان لان خساسته ما تباعد عن الانسان من اصناف الحيوان اشد وابين لانها خساسة طينية لا طمع
في رفعها ولا رجاء في نفعها فاما ما جازه الانسان في مكانه الذي هو كالمنتصف من النواطق العالية النيرة الشريفة
الدائمة الابدية وبين ما سفل عنه من ساير الحيوان فهو على شرف الطبع في صلاحه واستجابته وانقياده حتى يجود اختياره
ويذكو ذهنه ويطهر عقله ويصير ما هو في قوته كامن باديا وما هو معجون في طينته ظاهرا وحينئذ اذا بلغ هذا
المبلغ علم انه ناجح من ناحية الطبيعة وانه متى نزع يده من يد الغاش ووضعها في يد الناصح ثبت نسبه الى الشرف حتى
استقرت قدمه على الصراط وابصرت عينه كلما غاب وثقت نفسه بالكرامة وارتاحت الى ما بين يديها من الغبطة
ولنسيت ان هذا الانسان في هذه المنزلة الصعبة والمنزلة المخوفة مما قد لا ينجع فيه الدواء ولا يسري اليه الشفا فيعطب
الذي من اجله صرنا نتنادى بشاهد التنادي ونتحارس في هذا العالم هذا التحارس ونتواصى هذا التواصي لئلا يختطف
نجاة الى مهوى البلاء ومعدن الشقاء قد والله لجأ الينا بالنجاة وصرح لنا بالحق ونصب امامنا العلم وتلا علينا بيان
الرشد والغي ليكون جاشنا على يقظة وبيان وتحولنا الى مقام دار امن وسلام ونحن كما ترى ساهون لاهون الى الله المشتكى
والسلام وقال ايضا ابو سليمان قال بعض الطبايعيين منزلة الكواكب من الشمس منزلة الحديد من حجر المغناطيس اما
تراها اذا بعدت تجذبهن اليها قال وهذا القول فيه نظر فقال ابو سليمان كل من لا يعرف ما يجب عليه فلا يعرف فقال
ليس هذا من كيسي وقال اخر للدين حجة لا يحتج عليها وللشبهة سبيل لا يعرض لها **مقابسة اخرى** سمعت

٩٤

القومسي وابو بكر يقول قال بعض الاوائل الرقى باطلة فقيل له بل هي حق الا ترى الوعيد يقطع العرق وانما هي كلمات
تدخلها النفس على الطبيعة فتشغلها بتلك الكلمات عن عملها قال وهكذا تفعل الرقى اذا كررت على الانسان وقال ايضا
قال بعض الاولين في السياسة والاخلاق من ملك حقيق ان يحصن عقله من العجب ووقاره من الكبر وعفوه من
تعطيل الحدود وقال بقراط الحمية ان تدع الشهوة نقية فقال بعض الاوائل استضاءة الجسد من النفس كاستضاءة
القمر من الشمس واستضاءة النفس من العقل كما يصلح النفس للنفس واستضاءة الروح من الطبيعة كاستضاءة
المركز من المحيط واستضاءة العقل من العقل الاول كاستضاءة العاشق من المعشوق وقد قال بعض الاوائل ليقال
هذا حق ولكن يقال هذا عدل بحق لان الحق والعدل وقد قيل لافلاطون فلان لا يعرف شيئا من الشر قال فليس اذن
يعرف شيئا من الخير قال فهذا مكشوف لانه يريد ان تكون الامور متميزة عند الانسان الفاضل فانه بعد تمييزها يختار
منها وفيها ما يجب ان يجتنب وفيها ما ينبغي ان يكتسب واذا استقرت عليه ولم يوضحها التمييز بطل اختياره منها و
اذا بطل اختياره منها خيف عليه الهلاك فيها قال بعض الطبيعيين الدليل على ان الفعل غير الفاعل وغير المفعول الصوت
من اصطكاك الجرمين والنغم من اليد والوتر وقال قال بعض الاوائل الطبيعة والعقل مكان النفس والباري محيط
بكل ذلك وهو بكل مكان لا يخلو منه شيء وهو العالم بكل شيء لانه علة كل شيء ثم قال وهذا على السعة المعروفة والمجاز
المعتاد والا فقولك علم ويعلم وعالم خبر عن ضرب من ضروب الانفعال والباري لا انفعال له بوجه البتة وقال قال بعض
الاوائل حد الشيء الصناعي خارج منه وحد الشيء الطبيعي موجود فيه قال وانما كان هذا لان الصناعي يصدر عن ذي
هيولى باداة جسمية والة علية والطبيعي يبرز عالم الصورة نفسية باداة روحية والة لطيفة فالطبيعة من الالهية
لانها تستملي عما فوقها وتملي على ما يتصل بها وقال ايضا قال سقراطيس لو قبل الماء السكون لكان ارضا ولو قبلت

الارض للحركة لكانت مماسة ولو كان الهواء حاد الزاوية لكان نارا ولو كانت النار منفرجة الزاوية لكانت هواء وسمعت ابا الحسن
الحراني يقول قرأت في كتبنا يعني كتب الصابئين اذا اردت ان تكثر النحل في مكان فضع تماثيل من ذهب واجعلها في سقف
بيت النحل فان النحل يزيد ولا ينقص ولا يهرب قيل للقومسي لم تقبل النادرة ولا ترد فقال لان المعنى في هذا القول ان النادرة
ليست مملولة لانها غير معهودة ولا مردودة فهي لا تستحق الرد الا ترى انها تتهلل اذا اقتدرت ولهذا حلت ان تقدمتها

٧٠ ولها حرمة الغريبة وذمام الزائرة البعيدة فهي لذلك ليست كاخرى تداعت وملت وقليت **مقابسة اخرى**
سمعت ابا سليمان يقول من التمس الرخصة من الاخوان عند المشورة ومن الفقهاء عند الشبهة ومن الاطباء عند المرض اخطأ
الراي وحمل الوزر وازداد سقما وسمعته ايضا يقول لا يجوز ان يصدر فعلان متضادان من جوهر واحد ولا يجوز فعل واحد
بالذات من جوهرين مختلفين بالذات وسمعته يقول من اراد ان يجود على الناس كلهم فليتولهم كلهم خيرا وسالته عن الفرق بين المعرفة
والعلم فقال المعرفة اخص بالمحسوسات والمعاني الجزئية والعلم اخص بالمعقولات والمعاني الكلية قال غيره ولهذا يقال في الباري يعلم
ولا يقال يعرف ولا عارف وسئل عن الرطوبة واليبوسة فقال الرطوبة كيفية سهلة التشكل بالاشكال الغريبة واليبوسة كيفية عسرة
التشكل بالاشكال الغريبة وكل قابل لكيفية من الكيفيات فانما يقبلها اذا كان عادما لها وتكلم عشية يوم في التوحيد بكلام طال
ودق فقلت له هذا مشكل فقال اشكاله يدلك على وضوحه فلما خرجنا من بين يديه قال لي النوشجاني اراد ان اشكاله على
شواهد الحس تدل على وضوحه عند شواهد العقل لانه تجتمع ايضاح العقل والحس في معاني الاله وذلك ان الحس
يدرك ذوات الاشكال فيكون الشكل مدركا له بوساطة ذي الشكل والعقل قد يجرد الاشكال عن حواملها وموادها
فيلحظها ولكن يلحظها متميزة فاذا علا اللحظ عن الاشكال كما علا عن ذوي الاشكال حينئذ يصير العقل والمعقول و
شيئا واحدا وينتفي كل شكل لاستيلاء الوحدة فيتغاض كل بيان لاستيلاء الحيرة فعلى هذا معنى قوله اشكاله
يدله على وضوحه في نفسه بحسب حقه الذي يخفى بنا وصفيت هذا المقدار بعد استفهام كثير ومراجعة شديدة لان الاشارة
غامضة والايماء خفي على سعة المواد وتوضح المقصد وقرب الماخذ وانكشاف الغطاء واستنارة المسلك واذا اراد
الله تيسير عسير وتقريب بعيد فعل انه ماجد وهاب وقال ايضا النفس تدبيرا اولى الالباب والطبيعة اولى الغفلة
والفكر في مرآة النفس يريها خيرها وشرها وظن العاقل كهانة وحكم الملوك حزن ارواحهم واشفاق الانسان يجب ان
يكون على قدر الزمان ومن احب ان يبقى في عالم الحس سليما من آفات الدهر فليغن عن عقله فقد مات ومن احب ان لا
تجري عليه احكام الفلك فليجد سقفا غير هذا السقف **مقابسة اخرى** سالت ابا سليمان عن الضحك ما

٧١ هو فاملى فقال الضحك قوة ناشئة بين قوتي النطق والحيوانية وذلك انه حال للنفس باستطراق وارتياح
فيها وهذا المعنى متعلق بالنطق من جهته وذلك ان الاستطراق انما هو تعجب والتعجب هو طلب السبب والعلة
للامر الوارد ومن جهته تتبع القوة الحيوانية عند ما تنبعث من النفس فانها اما ان تتحرك الى داخل واما الى خارج فاما
ان يكون دفعة فيحدث منها الغضب واما اولا فاولا باعتدال فيحدث السرور والفرح فاما ان تتحرك من خارج
الى داخل دفعة فيحدث منها الخوف واما اولا فاولا فيحدث منها الاستنزال واما ان تتجاذب مرة الى داخل ومرة الى
خارج فيحدث منها احوال احدثها الضحك عند تجاذب القوتين في طلب السبب فيحكم مرة انه كذا ومرة انه ليس
كذا ويسري في ذلك الروح حتى ينتهي الى الغضب فتحرك الحركتين المتضادتين وتعرض منه القهقهة في الوجه لكثرة

٧٢ الحواس ويعلو الغضب واحد واحد منها **مقابسة اخرى** قال ابو زكريا الصيمري يوما لابي سليمان ذو حدث

النفس ما يحلب عليها ويصير ديدنًا لها لا يفارقها ولا يزول عنها انتها الشيخ انى اجد فى نفسى اشياء هى اركان فكرى ودعائم همتى واُسُسُ وساوسى احدها حديث الوالدة فانى لا اكاد انساها ولا اذهل عن شانها وشانى معها هذا على بعد عهدى بها وامتداد الزمان بينى وبينها الا انها صارت الى جوار الله وانا غلام والثانى حديث صاحب الشريعة فانى اسبح فيه ايضًا متعجبا مما اختص به وافرد منه مع ما عاناه من اقاربه واباعده ومع الذى خطى به من اعمال الحالى وتدبير اصحابه ونظم جل امره ودقه ما كان يلقى وهى الحال التى توجد بها من بين اهل عصره فى نشر العجب الداعى الى الرشد حتى صارت الحجة عند من انكره وقاهرًا لمن عاند وبركة وعند على من عرفه ونصره وساير ما كان به مشهورًا من امره الغالب وشانه المعجز ومع الاحوال التى اختلفت وائتلفت ووضحت على الذين عاينوه وخبروه وجاوروه واستنبطوه مما يطول ذكره وهو بارز لكل احد وموضوع على كل مرصد والثالث الموت وفى ذلك انى ممنوع من كل استمتاع ولذة التخيل تخيلا غالبا موحشا وربما غشى فوادى من ذكره وباشره صدرى من كربه ما يبلغ بى الى انتماه لا استريح منه والرابع البارى عز وجل وانه فى اعلا ارجاء الفكر وفى الحد الاقصى من حديث النفس لا يخلو من ذكره بالى وقلبى ولا ينصرف عن مناغاته سرى وجهرى على انه لا صورة له عندى ولا عيار ولا تخيل ولكن ابت علينا آثار الاشعور آبه ووجدانه واعرابا عنه وايماء نحوه فقال ابو سليمان هذا الخبر عن محل رفيع فى الاستنارة وشان عجيب فى حصول الطهارة واتصال الصفارة وقد يظن من لا شرب له من هذه العين ان هذا وسواس غلب من جهة المزاج اذا انحرف والاعتدال اذا انفقد وليس كذلك بل يوشك ان يكون مصطفى الغاية المتمناة والنهاية المتوخاة لان الوالدة يلحظ منها المبدأ الحسى فيعشق لذلك ومن سجايا النفس الفاضلة ومن عادة الفطرة النقية والطينة الحرة ان يكون المبدأ ملحوظا فيها وعندها وهذا كله للشعور بالمبدأ الذي هو الاول بالاطلاق مع احوال تتناصر وتتشابه فى خلال هذه الفكرة تتعلل بها النفس تعللا مونسا مطربا ودافعا للوقت عجبا قيل له فلم لم تكن المنزلة دون الام فقال الام شانها فى الحس اعظم وتدبيرها فى المباشرة اظهر وشفقتها بحسب ضعف قوتها اكثر والاب هو الفاعل الحسى ايضا ولكن لا مباشرة له منصلة ولا ولاية له متمادية وانما هو اول فقط والام حاملة واضعة وفاطمة ومرضعة وحاضنة ومربية فالكلفة عليها اغلظ وحبسها للولد الف وهو بها اشغف ثم قال واما تخيل الموت فلان النفس تلحظ المعاد وتنزع اليه وتنقلب نحوه لان المعاد هو المحيط الذى منه بدا واليه يجب ان يكون المنتهى والاستعجام الحال فى الثانى ما فتئ تليه فى الفكر فيه فيعتريه التمهل الشديد والفكرة الغالبة نفورا من المشقة وتحسرا على ما يكاد يقرب من الخير ولا سبيل للنفس الى هذه العاقبة الا بتحلية البدن الذى هو السور المانع بينه وبين الخلاص من امر هذا العالم وتدبيره هذه الاستقصا وهذه التخلية هى التى تسمى موتا وانما هى تحول من مكان الى مكان فالغرق مصحوب والمخوف قائم والظن متوج والامل بين رياح عواصف فكلما كان استعجام الحال اشد كان الامل اضعف وكلما كان الامر ابين كان الشوق اليه اعظم فاما ما يتعلق بحديث الناموس الالهى الشادد لطرق الخيرات القائدة الى غاية السعادات فانه ايضا انما يشتد ذلك ويكثر ويتضاعف لان للنفس الفاضلة مباحث كثيرة فى شان من هذا نعته وكيفيته وتلك المباحث هى مسالك الخير المامول ومراقى السر المعلوم والمجهول فالشغف والفكر والنظر انما يتضاعف فى شان هذا الشخص ليقبس من نوره ويهتدى بامره ونهيه ويظفر بتغيير النفس من جهته بقوله وفعله ودينه وبركته فاما ما يرتقى عن هذه الحدود الى الغاية الاولى والغاية القصوى

فذلك يطلب النفس وسكونها الا قلق بعده وطمأنينة لا يخطر بعدها فيحق كانت هذه الخواطر سانحة وهذه المشاعر فاغرة و
هذه الاواخر مشهورة وهذه الاوائل موجودة وبقدر توالبها وتعاقبها وتواتيها وتقاربها تكون نقطة الانسان في اكتساب
الاخلاق الحسنة والعيشة الناقية والاخلاق الالهية من العلم والحكمة والجود والتمام والعفاف والهمة العالية والشجاعة البينة و
الخير والعدالة والتقديس والنزاهة فلا علاج للنفس الحكيمة والطبيعة الزكية الا هذه الفضائل التي هي ينابيع الخيرات
ومصابيح الغايات وثمرات هذه الحياة ثم قال والله نسئل توفيقا ندوم به على هذه المحجة البيضاء واللقم الافيح ثم نزداد
بصيرة الى التمسك ما عادت بجد واه علينا عاجلا واجلا ببذل الغاية وتقديم الحرص ورفض الدنيا ومجانبة قرناء
البطالة وابناء الهوى والشهوة فانه مجيب من دعاه وكاف من استكفاه واقول ما اخرجنا جميعا الى ان نذهب نفسنا
هذا المجد وتشييد هذا البناء واقتناء هذا الذخر فوالله الذي لا اله الا هو لو ترتيبا بهذه المقابسة وحدها من هذا
الشيخ كانت زينة لنا الى اخر الابد فكيف ولها اخوات تعضدها وامهات تشهد بصحتها **مقابسة اخرى** ٧٣
املى علينا ابو سليمان فقال الدهر هو اشارة الى امتداد وجود ذات من الذوات وهو ينقسم قسمين احدهما مطلق
والاخر بسيط من قبل ان الذوات اما ان تكون موجودة وجود اطلاق او بالحقيقة من غير ان تقترن بمبدأ نهاية واما ان
تكون متناهية اذا فهم منه وجود ذات لا ابتداء لها ولا انتهاء فهو الدهر المطلق واذا فهم منه امتداد وجود ذات ذي
نهاية فيكون الدهر الذي بالاضافة والشرط مثال ذلك انا نقول ان فلانا دهره يفعل كذا او كسا فعل الدهر كذا واما
المثال على الاول بالاطلاق فهو الذي يرجع منه الى الذات التي هي اقدم الذوات واتمها وامدها الى غير غاية ومن غير بدء و
الزمان هو عدد حركة الفلك المشرقي بالتقدم والتاخير قال ومن الناس من قال انه مدة تعدها الحركة وهذا الحد توهم ان
الحركات كالمكيال للمعنى المفهوم من اسم الدهر وليس هذا معنى الزمان على الحقيقة وجوده انما هو في علاج الحركة معدودة
ليس هو الدهر وانما هو الحركة فالاشياء الحادثة على ضربين منها ما هو جار مع الدهر ويتعلق في وجوده بالذات الاولى
وتلك لا يلزمها التناهي وغير المتناهي والقبل والبعد الذي من قبل الزمان بل التي من قبل المعنى الذي يتعلق بالتصور لا اضافة
الى وجود الذات الاولى والضرب الثاني الحادث في الزمان وهو محصور بين طرفين قبل وبعد فاذا حقق النظر فيه رجع
الى فعل وانفعال وبالجملة الى حركات من الحركات اما كون واما فساد واما نقلة واما استحالة واما نمو واما اضمحلال من غير
ان يتعلق بوجود ذات من الذوات **مقابسة اخرى** واملى علي ايضا الفرق بين الوحدة والنقطة ان الوحدة ٧٤
هي نقطة ما لا وضع لها والنقطة هي وحدة ما لها وضع فالوحدة هي مبدأ الواحدية وهي الكم المنفصل بمنزلة العدد المؤتلف
من الوحدات التي تجتمع من غير اتصال احداها بالاخرى والنقطة هي مبدأ الكم المتصل بمنزلة الخط الذي يتصل اجزاؤه
بعضها ببعض بحد مشترك هي النقطة فالنقطة اذن هي وحدة ما لها وضع والواحد هي نقطة ما لا وضع لها ولذلك ما
كان وجود الوحدة موضوعها النفس في التوهم ووجود النقطة موضوعها الجوهر الطبيعي ومتعلقا بالحس وان كان
متعلقها بتوسط الحس **مقابسة اخرى** سالت ابا سليمان عن الفرق بين الفعل والعمل فقال الفعل يقال على ٧٥
ما ينقضي والعمل يقال على الاثار التي تثبت في الذوات بعد انقضاء الحركة قال والفعل ايضا يعم كل معنى صادر عن ذات وحدة
الفعل انه كيفية صادرة عن ذات والانفعال كيفية واردة على ذات فالفعل يقال على التحقيق على هذا المعنى وهو الذي يقال
انه مقولة من المقولات العشر ويقال على العموم اي على اي معنى صدر عن ذات **مقابسة اخرى** قيل لابي سليمان ٧٦
النفس ليست تاثير بذاتها الا بالاتحاد لا بنفسها في الجسم المركب فقال هذا لا يكون الا من العلة وهذا الفن تدبيرها للشيء من ناحية اعتبارها و[illegible]

من ناحية بلاتوة الناظر فيه اذا قلنا ان النفس ما ثمة بلا تهدها فانا نريد بهذا انها لا علاقة لها مع الجسم لا بمماسة ولا وصل ولا انفصال ولا تحرب
ولا تقربه بل ان قلنا ان النفس في الجسم فانا نريد انها تحوطه وتقوم بتدبيره وتأثير فيه وان قلنا ان النفس قائمة في الجسم فذلك لانها
بذاتها منها لا بذاته كما لا يستر الشمس الماء وما الا في على الانفس في البدن عن تصفية العقول منه الا على تسليط الحس عليه ونقل التخيل
والتشبيه اليه لا يفطر انه الشيء في الشيء على فنون كالشيء في الشيء والشيء في الشيء وكالماء في الجب وكالجب في البيت وكالبيت في الفضا فقد
بعد الجوهر في الجوهر على خلاف ما يلحظ في الجوهر ويلحظ البسيط في المركب على شكل غير شكل المركب في البسيط ثم بين الذي تسلط من
البسيط على قدر الآخر فرق بالضعف والقوة وهكذا الحال في المركب والتركيب وبهذا الغرض الموهوم حصل بين الشيئين فرق معا
لا يقف عليه الا من توغل وتغلغل وحصل بين المتباينين شبه خاف لا يسبق اليه الا من تخلل وتوصل ولهذا ما رجل النظر والبحث
الغالب لغامر ما هو في ايضاح الفرق بين متماثلين لشدة تماثلهما وايضاح الشبه بين متباينين لشدة تباينهما فليكن هذا من علم
العلم عندك حتى يخف عليك طلب ما اشكل واستيضاح ما غمض وقد سلف في حديث النفس ما فيه شفا الانفس من [illegible] فيما يقع
الكتاب ايضا ما يكون نافيا الكثير من الشبه ودافعا الكثير من الاعتراض في هذا النهج في حديث النفس انما هو لنعتبر منه البقا الدائم في
الحيا الصافية من الكدر وكيف ما [illegible] النفس انما [illegible] فانها بائنة الشكل والحال والظاهر والباطن والفعل والانفعال [illegible]
والمضا [illegible] عليه البدن اعني ان قلنا ان النفس في البدن على سعة عرض في مواضعه او قلنا مصورة الجسم على سعة من القصر في اقصى
او قلنا الجسم منفعل لها وبها على سعة عرض لانفعالاته واختلاف مثالها وبها تقوم جميع هذه الوجوه قد وضح ان شأنها غريب وان
سرها غريب والنظر في امرها واجب والبحث عما يستفاد من حديثها كثير وانى لا اعجب ممن يظن انها تابعة للمزاج وهلا نامت عند نوم
الانسان فان المزاج قد جبل على النوم بحسب الضرورة التي دخلت على الجسم من اليقظة الكادة والحركة الجادة بل الامر كان بخلاف ذلك
فانها عند النوم عطفت على ما هو اخص بها واعشق لها فتصرفت فيه واملت وانبأت عنه وانذرت فكيف يكون هذا الشائع شرعه و
بلا [illegible] وشدة التعجب [illegible] القلب محمول على الحسن الوجوه هذا ما لا يسمح به عقل لم [illegible] الصور بسبب صحيح او لعاجدي في
مواصلة الحق ورغبة تامة وكان ابو سليمان في هذا الموضع [illegible] ما جا في الجواب وهو حسرتا الطبيب المهندس والمنجم والموسيقار

٧٧

والمنطقي والكلامي وجميع اصحاب النظر والقياس **مقابسة اخرى** قرئ على ابي سليمان من كلام ارسطوطاليس اذا استولت المحبة
على الاجسام التي منها تركيب العالم كان منها العالم الكري واذا استولت الغلبة كان منها الاستقصات والعالم الكائن الفاسد فقال
مفسرا انما اراد باستيلاء المحبة على العالم استيلاء القوة العقلية فانها هي التي تحيط بجميع الموجودات احاطة كلية وتولف بينها
تاليفا نظاميا موفقا بين جميع اجزائها وهذا الفعل منها شبيه بتاليف الاكر بعضها مع بعض واحاطة بعضها ببعض حتى لا
يتخللها شيء آخر ومعنى قوله اذا استولت الغلبة حدث منها الاستقصات المتباينة الاقطار والمتميزة بعضها من بعض المباين
كل واحد منها غيرها وهذا تشبيه بالقوى الحسية المنشدة المفارق بعضها بعضا فيما يخصها من الادراكات مع ما يقع فيها
من الخطا والغلط والزيادة والنقصان وهذه صفة الاشياء المتغالبة والمتفاوتة هذا الفن تفسيره وليس به غنى عن تفهم
بها ينكشف فضل الكشف ويعترف من اجلها اكثر من هذا الاعتراف ولكني قد بلغت هذا الموضع من الكتاب وما في طرف
ولا معي ذهن لاحوال ان شرحتها اثرت الشماتة من العدو واعانت العدو على الحب وحركت ساكن الخصم الالد واساءت
الصديق بعض المساءة وان كان لا صديق والى الله اشكو غربتي وكربتي ومعاناتي [illegible] لا يسمع ولا يبالي فبيده تفريج ما

٧٨

القى وتسويغ ما اشقى وهو المولى والمعين **مقابسة اخرى** املى علي ابو سليمان فيما املى في السلب هو نفي شيء من
شيء والايجاب هو اثبات شيء لشيء والحد ليس فيه حكم ولا اثبات شيء لشيء ونفي شيء عن شيء لكنه قول دال على امر بدلالة

منفصلة بان الاسم دال عليه لانه بجملته مثال ذلك النقطة فانه سواء قلت شيء ما لا جزء له او قلت نقطة من قبل ان قولي نقطة ليس فيه حكم كذلك قولي شيء ما لا جزء له لا حكم فيه سواء ان جعلت احدهما موضوعا والآخر محمولا حتى تقول النقطة هي شيء ما لا جزء له ولا يصير حينئذ الحد محمولا على النقطة ويختلف دلالته عما كان عليه

٧٩ **مقابسة اخرى** قال ابو سليمان ايضا انما الطبيعة اسم مشترك يدل على معان احدها ذات كل شيء عرضا كان او جوهرا بسيطا او مركبا كما يقال طبيعة الانسان وطبيعة الفلك وطبيعة البياض والحرارة بمعنى ذاته ويقال لما لا عرض له منها ويقال على المزاج الاول اللاحق لكل مركب من الاسطقسات ويقال على المزاج العام بنوع الانسان الذي هو موضوع للنظر فيه وقد يستعمله الطبيب على المزاج العام ويقال على المزاج الخاص بنوع الانسان الذي موضوع للنظر فيه وقد يستعمله الطبيب على المزاج الخاص بشخص شخص من نوع الانسان واما بحسب النظر الطبيعي العام الذي يتعاطاه الفيلسوف الطبيعي فهو المعنى الذي حده ارسطوطاليس بانه مبدأ الحركة والسكون للشيء الذي هو فيه اولا بالذات لا بطريق العرض وهذا المعنى يعم مبدئي المركب اعني المادة والصورة فان المادة مبدأ للتحرك والسكون والصورة مبدأ التحريك والتسكين والاولى بهذا الاسم عند ارسطوطاليس الصورة دون المادة عند قوم من القدماء مثل المادة دون الصورة بحسب النظر الفلسفي وهذه الطبيعة هو المعنى الذي يقال انها حياة نفذت في الاجسام فتعطيها التخلق والتصور بالصورة الخاصية بواحد واحد منها وكانها القوة السارية من المبدأ الاول الى جميع الاشياء المنفعلة به او القابلة لها الرابطة بينه وبينها وهي بوجه ما الصورة التي تتضمن جزئي المركب التي هي غير كل واحد منهما على الانفراد فبحسب موضوع اللغة هي خليقة من الطبع ولذلك صار اشبه بالصورة من المادة وان كان المطبوع هو المادة لان الصورة هي المطابقة وهي المعطية ذاتها لها وحاصلة فيها

٨٠ **مقابسة اخرى** قال ابو سليمان ايضا الموجود هو الذي من شانه ان يفعل وينفعل فكل ذات موجودة فاما ان تكون فاعلة فقط او منفعلة فقط او فاعلة ومنفعلة فالمنفعل فقط هي المادة الموضوعة لقبول الصورة والفاعل فقط هو المعطي صورة كل ذي صورة والفاعل المنفعل هو المركب من مادة وصورة يفعل بصورته وينفعل بمادته وقال ايضا كل موجود اما ان يكون بالقوة واما ان يكون بالفعل فقط واما ان يكون بالفعل من جهة وبالقوة من جهة فالمنفعل الذي بالقوة دائما هو الهيولى المستحيل المتبدل الاحوال بالصورة التي يعطيها الوجود بالفعل والموجود بالفعل دائما من غير ان يشوبه شيء مما بالقوة هو الذات الابدية الوجود الذي هو سبب كل موجود بالقوة والفعل والموجود بالقوة تارة وبالفعل اخرى هي المركبات من المادة والصورة فان لها القوة من جهة الهيولى والفعل من جهة الصورة

٨١ **مقابسة اخرى** وسمعته ايضا يقول الخير في الحقيقة هو المراد لذاته والخير بالاستعارة هو المراد لغيره والمراد منه ما يراد لذاته فقط ومنه ما يراد لذاته ولغيره والذي يراد لغيره بمنزلة الدواء والذي يراد لذاته فقط بمنزلة السعادة والذي يراد لذاته ولغيره بمنزلة الصحة

٨٢ **مقابسة اخرى** واملى ابو سليمان على جماعة كنت احدهم سنة احدى وتسعين وثلثمائة وقد سئل عن الواحد فقال الواحد اسم مشترك يدل على معان كثيرة احدها وهو احقها بهذا الاسم فهو واحد بالعدد وهو اما ان يوجد من حيث هو مطلق وموضوعها النفس من غير ان يوجد معه امر من الموجودات وهو بهذا الوجه يعني المعاد وعلى هذا سواء اخذ واحدا او اخذت وحدة ويكون مبدأ العدد الذي هو جمع الوحدات كما يقال فرس واحد وانسان واحد وهذا الوجه يعني العدد وقد يقال ايضا الواحد على ما هو واحد في الجنس كما يقال ان الانسان والفرس واحد في الحيوانية ويقال ايضا واحد بالنوع كما يقال زيد وعمرو واحد في الانسانية ويقال ايضا بمعنى انه غير متجزىء بمنزلة النقطة والآن وعلى هذا الوجه ايضا يقال في الشخص انه واحد وانه غير متجزىء من قبل انه جزء مثله ويقال ايضا واحد في الموضوع وهذا الضرب يقال

الشيء المتصل الذي هو واحد بالفعل وكثير بالقوة ومنه ما هو واحد في الذات وكثير في الحد كما يقال ان زيدا لكاتب
اذا كان طبيبا او منجما او ذا صناعات كثيرة انه الطبيب والكاتب والمنجم واحد في الموضوع من قبل ان الذي هو كاتب هو
هو بعينه فاسد وكثير في الحد لان حد الفاسد خلاف حد الكائن ويقال ايضا على ما هو واحد في المناسبة كما يقال ان النقطة اول
وقلب الحيوان وعين النهر واحد بالمناسبة معناه ان نسبة كل واحد منها الى ما هو مثل نسبة واحدة ويقال ايضا على ما هو واحد
في الحد وكثير في الاسم كما يقال ان الثوب والرداء والانسان والبشر واحد في الحد وكثير في الاسم وكذلك الخمر والخندريس وساير
الاسماء المترادفة على معنى واحد ويقال ايضا على ما هو واحد في الاسم كثير في الحد بمنزلة الكلب والعين فان الكلب يقال
على النابح والكوكب وحديدة الكلاب وكذلك العين على العضو الذي يبصر به وعلى عين الذهب وعين الماء وعين الركبة
واليق هذه المعاني ان يوصف به الموجود الاول ما كان واحدا بالموضوع وكثيرا بالحد والصفة اذ لا يجوز ان يكون واحدا بالاعداد
من حيث هو عاد ولا من حيث هو معدود اذ الواحد على انه واحد من هذا الوجه كانت الكمية لاحقة به والذات الاولى متعالية
عن ان يلحقها او يحيط بها صفة يلحق غيره من الموجودات المفعولة له وذلك ان القوة التي تلحظ شيئا من الاشياء ومعانيها
معلولة مفعولة ولحظها لها انما هو على سبيل ما يعقوه من الفيض وافادة الوجود من تلك الذات فثبتت عنده ماهية ذلك
نقطا من غير ان يمكنها نقل شيء من احكامها واحكام ما يحيط ما هو وبها اليها والواحد بمعنى وحده ذات ما له معنى الوحدة وهذا
يوجب لكثرة ما يليق للاشياء التي يجوز ان يشار بها اليها من جميع معاني الوحدة والاحاد التي ذكرناها هو الوحدة المجردة التي لا توجد الا
من حيث هي في النفس فتكون حاكمة عليها بها لا التي موضوعها اثر من الامور الموجودة ليكون بها هو واحد وعلى هذا الترتيب يصير
الواحد الذي هو اول موجود يستحق ان يوصف بما هو القوة الاولى التي ذكرناها اول معقول للذات الاولى فيكون واحدا
بتلك الانية التي يلزمها الوحدة التي وصفناها وهي الفعل فيكون الترتيب الجاري على النظام اللازم في مراتب الموجودات
انها الوحدة المحضة وتاليها في الوجود المحض الذي هو المفعول الثاني وثالثها الانيات المحضات التي هي للنفس من
قبل ان تحصل لها من الذات الاولى الوجود ومن الذات الثانية الصورة التي صارت بها كمالا لكل موجود هو
دونه ولما كان الانسان الذي هو الموجود الذي ينتهي اليه جميع القوى من الموجود الاول والثاني والثالث من الاجسام
السماوية والاستقصات الكائنة الفاسدة والغاية التي اليها تبلغ القوى وتنحصر فيه صار الواحد المتكثر المقابل للواحد
المحض تقوى بما معه من جميع ما فوقه الى مواصلة كل واحد منها بحسب الرباط الذي بينه وبينها الى ان ينتهي الى
المبدا الاول والذات الاولى فيفصح عنه بما تحقق في ذاته عبارة جسمانية بالمنطق الخارج ويشير اليه اشارة روحانية
مطابقة لعقله المعقول الاول حتى يصير هو هو ويلحظ اثر الفيض الواصل الى تلك الذات فقط ومشاركته اياه
وينفي عنه جميع الصفات التي نفاها عنه المفعول الاول ويقال لهذا الفعل منه توحيد اي تجريد تلك الذات عن
جميع الكثرات التي تتعلق على الذوات وتحيط بها من الصفات

٨٣ **مقابسة اخرى**

قال ابو سليمان اسم العقل
يدل على معان وتنقسم تلك المعاني الى اقسام بحسب ما ينقسم كل ذي عقل وذلك له ابتداء وانتهاء وواسطة فالاول
بمعنى الابتداء بالطبع هو العقل الفعال وهو الشبيه بالفاعل والثاني بحسب الانتهاء وهو العقل الانساني ويسمى هيولانيا
وهو في نسبة المعقول والثالث بحسب معنى الوسط وهو العقل المستفاد وهو في نسبة عقل والعقل الانساني
الذي بمنزلة المفعول هو في حيز القوة التي يحتاج ان يخرج الى الفعل وحده انه الشيء الذي من شأن الجزء منه
ان يصير كلا ما ومعناه ان في قوة كل واحد من هذه العقول الجزئية ان يدرك جميع المعقولات التي من شأنها

الاتلك وما كان الذى بالقوة يحتاج الى شئ موجود بالفعل يخرجه الى الفعل كان ذلك الشئ هو العقل الفعال اذا

عم ٨٤

بفعل فى شبيهه والمستفاد بمنزلة الفعل الملابس للقوة والفعل جميعا **مقابسة اخرى** املى علىّ ابو سليمان

ايضا فقال الخلاء يدل عند الاوائل على مكان عادم جسما طبيعيا واختلفوا فى وجوده فمنهم من قال انه لا وجود

لشئ ما هذا سبيله منهم ارسطوطاليس واصحابه ومنهم من قال بوجوده ومنهم من قال هذا المعنى مبثوث فى جميع

العالم به يكون الانقباض والانبساط للاجسام والتخلخل والتكاثف والثقل والخفة واللطافة والغلظ ومن اجله

يمكن حركة الاجسام اذ لا يجوز ان يكون حركة فى الملأ لما يلزم من مداخلة الاجسام بعضها بعضا ومنهم من قال انه

وجوده خارج العالم ولا نهاية له و سبقية الاجسام التى فى هذا العالم فيعرض لها هذه المعانى التى ذكرناها فاما

بطلان وجوده عند من راى ذلك المعنى بعد المعنى له طول وعرض وعمق يحصره ابعاد الجسم من قبل ان ينطبق

على طوله وعرضه على عرضه وعمقه على عمقه والجسم انما يشغل هذا المكان بهذه الابعاد فقط لا بانه بارد او حار او

او اسود او ثقيل او خفيف اذا كان ابعاد الجسم يحتاج الى ابعاد المكان بما هى ابعاد فابعاد الخلاء انما هى ابعاد

٨٥

يحتاج ايضا ابعاده ثم الكلام فيه الى ما لا نهاية **مقابسة اخرى** سمعت ابا سليمان يقول الفرق بين الكلى

والكل ان الكل متاخر عن اجزائه والكلى متقدم على جزئياته والفرق بين الاجزاء ان طبيعة الكلى بمنزلة الحيوان

موجودة فى كل واحد من اجزائه بمنزلة الانسان والفرس واما الكل بمنزلة العشرة فطبيعته غير موجودة فى كل

واحد من اجزائه بمنزلة الثلاثة والتسعة والفرق الثالث انه ان رفع من الكل واحد من اجزائه بطلت صورة

الكل واما الكلى فانه ان رفع جزئياته تبقى طبيعة الكلى محفوظة بمنزلة الحيوان فانه ان رفع الانسان او اى واحد من

عم ٨٦

الحيوان لم يبطل طبيعة الحيوان **مقابسة اخرى** قال املى علىّ ابو سليمان الجوهر اسم مشترك يدل على سبيل العموم

على الذات اى ذات كان جوهرا كان او عرضا كما يقال جوهر الحرارة وجوهر البياض بمعنى ذات البياض وذات الحرارة و

قد يقال على الخصوص لا على الذات التى وجودها ليس فى موضوع ومعناه انه ليس يحتاج فى وجوده الى شئ يوجد

به او فيه فينبغى ان يفهم هذا المعنى من الاسم الذى وصف به وهو القابل الجوهر هو الذى ليس فى موضوع وهذا

الصنف ينقسم اقساما بحسب معانى احوالها فى الموجود فيقال منه بسيط ومنه مركب وهذه القسمة بحسب الوجود

الطبيعى ويقال منه هيولى ومنه صورة وهذا بحسب حالها فى ذاتها واضافة بعضها الى بعض ويقال منه كاين و

فاسد ومنه غير كاين ولا فاسد وهذه القسمة بحسب حالها فيما يقبل من التاثير ولا يقبل ويقال منه سرمدى

ومنه حادث وهذا بحسب مثال موجودها فى الزمان ويقال منه محسوس ومنه معقول وهذا بحسب لها

عند الادراك ومنه اول وهو الشخص ومنه ثان وهو الاجناس والانواع وهذه القسمة بحسب اعتيادنا فى باب

العموم والخصوص هذا الصنف هو الذى الواحد منه بالعدد قابل للمتضادات بتغيره فى ذاته على ان فى هذا

الصنف شكا وهو هل الاشخاص العلوية اعنى الافلاك والكواكب هل يصدق عليها الرسم ام لا فان من الناس من راى

ان هذا الرسم مشتمل على جميع الجواهر الشخصية ومنهم من قال انه يخص الجواهر الشخصية المركبة من المادة والصورة التى تحت

الكون والفساد **مقابسة اخرى** سمعت ابا سليمان يقول رايت فيما يرى النايم كانى انا ظر ابن العميد احبا

الفضل فى مسائل من السماع الطبيعى وبقينا نقسم الموجودات فقلت الموجود ايضا ينقسم بنوع اخر ان يكون

اما خفى الذات خفى الفعل او ظاهر الذات ظاهر الفعل او خفى الذات ظاهر الفعل او ظاهر الذات خفى الفعل ثم قلت

الاول

الاول هو البارى جل وعز والثانى الحرارة والبرودة وما اشبههما والثالث الطبيعة والرابع الكواكب هذا آخر هذه المقابسة
على الشيخ البحتري فقال هذا والله الحكمة وفصل الخطاب قسمة مستوفاة وحقيقة ذات برهان وكلمة ما عليها من

٨٨ **مقابسة اخرى** سألت ابا سليمان عن البلاغة ما هي وقلت احببت ان اعرف قولاً على نهج هذه المطابقة
لانه لم كتاب والخطابة فرعهم كتاب الفيلسوف وقد بحثوا عن مراتب اللفظ واللفظ طبايع الكلمة والكلمة موصلة
مفصلة وخواتيم احقها اعتدل فقال هي الصدق في المعاني مع ايتلاف الاسماء والافعال والحروف واصابة اللغة و
تحري الملاحة المشاكلة برفض الاستكراه ومجانبة التعسف فقال له ابو زكريا الصيمري قد يكذب البليغ ولا يكون
بكذبه خارجاً عن بلاغته فقال ذلك الكذب قد لبس لباس الصدق واعير عليه حلة الحق فالصدق حاكم وان ما حج
معناه الى الكذب الذي هو مخالف لصورته العقل الناظر بحقايق المعاني بالاعراض المقرب البعيد المحضر للقريب فقلت لا في
سليمان فهل بلاغة احسن من بلاغة العرب فقال هذا لا يبين لنا الا باحكام جميع اللغات عليها وحذق ثم نضع القسطاس على واحد
واحدة منها حتى نأتي على اخرها واقصاها ثم نحكم حكماً بريئاً من الهوى والتقليد والعصبية والمين وهذا ما لا يطمع فيه لانه وما
ولكن قد سمعنا لغات كثيرة من اهلها اعني من فضلائهم وبلغائهم فعلمنا انظرها وخيل الينا لم نجد لغة كالعربية وذلك لانها
اوسع مناهج والطف مخارج واعلى مدارج وحروفها اتم واسماؤها اعظم ومعانيها اوغل ومعاريضها اشمل ولها هذا
النحو الذي حصته منها حصة المنطق من العقل وهذه خاصة ما حازتها لغة على ما قرع آذاننا وبحسب ما هدانا من كلام اجناس الناس
وعلى ما ترجم لنا ايضاً من ذلك ولولا ان النقص من سوس هذا العالم ونوسه لكان علم المنطق بهيئة الطبيعة بالغريزية
وكانت تسوق العربية الى طبايع اليونانية فكانت المعاني طباقاً للالفاظ والالفاظ طباقاً للمعاني وحينئذ كان الكمال يحط اليه
من كتب الجمال ويصادف بلا رعب ولا رهبة قال لنا ايضاً اصلحك الله وزهد الله عليك الكريم فنسيان هذا الذي
شهدناه وهم يكونون بعد ما فات العالم مشتاق الى الكمال ومشتاق الى الجمال فعند هذا يكون الغاية واليها تقف النهاية وقال
ومما يوضح هذا الشكل وبين هذا الجدل صورة العالم في كل وقت وساعة على حال لم يكن عليها قبل ذلك بما يفيض عليه
ويسري اليه من الحق الاول والوسايط الاول بالجود الاعظم والاشمل وانما كان للعالم ولكل ما فيه صورة محدودة و
شكل فاضل يسير في كل وقت ولحظة الى حيثية لم تكن عليها من قبل فهل ذلك الا لان العالم متوجه نحو الكمال والجمال
بنالها حالاً فحالاً ثم يكون لوجود الحق الاول مبتدأ به يتجدد ويسوقه ويمده عليه نقلته من غير انفعال بتوسط
ولا حوامر يعرضه وهذا المبدأ مفروض حالاً فحالاً متصلة اتصال الواحد بالواحد من حيث يلحظ ما هو واحد
واتصال الوحدة بالوحدة من حيث يلحظ ما هو وحدة وقال ايضاً وهو الذي اشرنا اليه العالم انما هو من ناحية قبوله
وانفعاله وما هو بسبيله والا فالجود الاول هو الجود الثاني والثاني هو الاول والى ما لا غاية معلومة ولا نهاية موهومة
الا ان هذا الابق بالاله الذي له ينبغي وبه يليق واما العالم فبتجدده وحسنه وكماله وتمامه فمضاف اليه وملحوظ
فيه ولما دق كلامه واعتاص لفظه وتسلسل ايماؤه وسقط عن اتفاق جل ما كتبت حويته ورايت الخط لي ولمن يرى
راعياً ان لا اخل بما امكن من ذلك فاثبته على ما تجده من الفتق والرتق والرقع والخرق وانت ابقاك الله اولى
من تلافى خلله وستر خلله وارجوا ان لا تخرج من حسن الظن بي ولا تغلط القراءة عليك ولا تدخل في غمار من لا

٨٩ يساوي عيانه خبره ولا يلحق طرحه ضنك كان الله لك ومعك وهو حافظنا لك ودافعنا عنك وموفقنا بك

مقابسة اخرى نذكر في هذه المقابسة اشياء سمعناها من ابي سليمان في مجالس كلا ابتدا لم يكن في

صلة بالفلسفة فانها لا تخرج من جملتها ولها غاية تتمها التي تحتاج اليها ولا يستغنى ولا تغلب عن الوقوف عليها قلت له
يوما ايها صحبت قال مالك الظاهر بملوك لا اقصد عدوا ولا وليا الا اعنو ان حزنت حزنت طباعا وان فرحت فرحت
طوعا ان خالطت ذممت الناس وان اعتزلت اجتلبت الوسواس ان بحثت دهشت وان قلدت استوحشت فعلت
مسالك صباحي وعلى غد تكدر رواحي باشوقا الى بلوغ ذلك البساط واكربا من عقلة هذا الرباط يا لها سعادة لو وجدت
والتشمير وزهد من اجلها في التكثير والتطير وهو لنا كاترى وحدثنا يوما قال اجتزت بالزبير متوجها الى بستان ابن
السنين وكان بها ابو جعفر الخازن فوجدته كاتبا لتقويمه ولما انصرفت اتبعني برقعة فيها ما يجري في الرقعة بسم الله
الرحمن الرحيم من استعمر في قضاء حقوق الاخوان ما يلتبس باجل الاستطاعة فقد عرضها للتقصير ولا مناقشة لان الايام
تسعف بكل المراد ولا تزول عن عادتها في الفساد وجرى يوما بحضرة ابي سليمان حديث احكام النجوم فقال من طريف
ما ظهر لنا منها انه ولد في جيرتنا ابن بالتمر فقال لي انا اخذت الطالع فاخذت وعرضته على علي بن يحيى فعمل و
قوم فقال لنا فيما قال هذا المولود يكون اكذب الناس فتعجبنا منه فدارت الايام حتى ترعرع الغلام وبلغ وخرج
شاعرا كاترى معدودا في عصره ثم انشد له مستحسنا   وتاخذ من جوانبنا الليالي * كما اخذ المساء من الصباح *
اما في اهلها رجل لبيب * يحس فيشتكي الم الجراح * ارى التشمير فيها كالتواني * وحرمان العطية كالنجاح * ومن لفظه
التراب كمن علاه * وتقبيلك على الماء للرباح * وكيف يلذ محتجر حريص * يرى الارزاق فوق ضرب القداح * ثم انشد
ابن نباتة فاقربها وقلت لابي سليمان يوما انشدنا ابو زكريا الصيمري عن سمكة القمي عن ابن عمار الفيلسوف
لنفسه صدفت عن الدنيا على حبي لها ولابد من دنيا لمن كان في الدنيا وادفعها عني بكفي ملالة واجذبها جذب المعانق
بالاخرى فقال هذا كلام رقيق الحاشية حسن الطالع مقبول الصورة يدل على ذهن صاف وقريحة شريفة واختيار حر
وذهن ناصع ورأي بارع ثم انظر الى قول شيخنا ابي زكريا يحيى بن عدي فانه انشد يوما لخالد الكاتب   لست ادري
اطال ليلي ام لا * كيف يدري بذاك من يتقلى * لو تفرغت لاستطالة ليلي * ولرعي النجوم كنت مخلا * فقال لنا يحيى بعد ما
قد عارضت خالد الكاتب في قوله ثم انشد   انا يكن لا ادري كل الخلا * لست تدري ان كنت تدري ام لا * او تكن داريا
بذاك فعلا * كنت تدري اطال ليلك ام لا * قال وانقلب اصحابنا عند ما بالضحك والتعجب انظر كيف يسلب الفاضل توفيقه
في وقت مع البصيرة الثاقبة بالعلم ولم ينشدنا ابو سليمان هذا ليحيى بن عدي حتى لححنا عليه وكذلك انه قال قد له
شعر على ركاكة في هذا الفن والستر عليه احسن بنا وكان ابو سليمان يستحسن للبديهي قوله   لا تحسدنه على تظاهر
نعمة * شخصا تبيت له المنون بمرصد * او ليس بعد بلوغه امالته * يفضي الى عدم كان لم يوجد * لو كنت احسد ما
تجاوز خاطري * حسد النجوم على بقاء سرمد * فقال ما افلح البديهي قط الا في هذه الابيات وصدق كان عسيل
الشعر سريع القول فاما ابو سليمان فانه كان يقرض البيت والبيتين وينشدنا ذلك وينهى عن نشره عنه ويقول من
العقل لضعفه قوة غيره تحية وجسارة تقدا ستجر الى نفسه فضيحة وخسارة فمن قوله واني عزوف النفس عن مريني
* ومعطي قيادي للحبيب الموالف * اشاطره روحي ومالي واتقي * حذارا عليه من رياح عواصف * فان خان عهدي
لم اخنه وان اكن * على ما اروي من عذره بمواقف * واترك عقباه لعقبى فعاله * فجي عقب الايام كالناصح ومن
قوله ايضا بكيت على مفارقة الشباب * وايام البطالة والتصابي * وايام التغازل والدلال * وايام التجني والعتاب *
مضت فكانها ما كنت فيها * معقبة نفوسا بالعقاب * لتبكي كل ملبوس حليلة * وترزح كل معسول الرضاب * بياض الشيب

اعلام

اعلام المنايا • فشرق تدابير ذلك بالمذاهب هو الكلف الذي يبلى وشيكا الورق بعد الكف القريب ثم قال لا قال الا من هذا العاطي
يا فلسنا من اهل هذا الفن وهمة التقصير لا يحتج علينا ودالة على نقصنا وان نحن في ذلك نظرنا الان لانا ما اشوق نفس
وليس بحق اخذنا على تقصيره ثم قال لي الشقنا اما سمعنا منك لبعض الاطبين فانشد تره للتهاوي حشي وفات متى
لسوء ولولا انا تقربها • دليل ابناء جنسي فلم يكن ذلك التحليل • ولا جود باشئ رجعت نحو بشرط • يغيب على حشي • فلاح تحت
ضلوعي ما قد من قرن شمسي • فقلت هذا طريق من غير شك وليس وغصت حتى تجلى واشرقت منه نفسي • فقال ابو سليمان
ما الحسن لا فيه الحكمة اذا كان هذا من ثمرها وسمعت ابا سليمان يقول للجرجاني الكاتب وكان يحدث نفسه بالنوى
ايها الرجل ان الدنيا ان ارفدت منحا فلو سلوت عن صلاتها الشحاذها لكان اجدى واسلم فقال افلا اصبر على منحها
لا انتفع بضيائها واستمتع بصلاتها فقال ما احسن هذه المعارضة لو كنت في الاستمتاع بضيائها على ثقة ومن الانتفاع
بصلاتها على يقين وكنت اذا ادركت ذلك دام عليك وصفا لك فاما والعادة جارية بخلاف قولك وبمثل اقتراحك وتوهمك
فلا فقال الجرجاني الله الموفق وهو حسبي فقال ابو سليمان حكم الكتاب واصحاب الخطابة مخايل تصدق قليلا وتكذب
كثيرا ليس لها رسوخ في القلب ولا ثبات في العقل فلما قتل الجرجاني قال ابو سليمان مسكين ذلك الرجل صبر على منحها
ان خنق وتعرض لصلاتها حتى احترق ثم قال اللهم لا تكلنا الا اليك ولا ترغبنا الا فيما لديك ولا تعرضنا الا لطلب ما عندك
انا العجزة عن قدرة نطلبها بنا وضعفة على قوة ندعها فينا ارنا الحق حقا ثم هيئنا لاتباعه وارنا الباطل باطلا ثم وفقنا
للاعراض عنه يا من بيده ملك العيان والخبر وبيده ينابيع العجائب والعبر قد قوي رأيي ادام الله توفيقك ان لا تكون هذه المقابسة
في هذا الموضع لانها ناكبة عن اخواتها المواصي لكونها على حال قد اخذت بنصيبها من الحسن ولعلها تفيد بعض الفائدة قيل
لابي سليمان لم قيل اذا جاء السؤال جاء المنع فقال لان الحال يلتبس بشيء كالاغراء والاكراه والاحراج فيقع للمسؤول انه قد ظلم
وان السائل قد اعتدى فاذا استقر هذا في نفسه وتردد على باله لم يجد في عقابه شيئا اقرب ولا اخصر من منعه ليكون
ما اتاه من جنس ما اتاه السائل من جنايته وهذا احفظك الله وان لم يكن من سراة الفلسفة ومن بحبوحة
الحكمة ومن فاخر الفوائد كان يجري مع اخواته في مجالس هؤلاء الاعلام لسبب من الحفظ ولم يعرض للفائدة فكرهت ان
لا يكون لها رسم في عرض ما رويناه وهذا الاعتذار مني قد تكرر ولولا سوء ظني بالزمان واهله لما رايت ان عادته تنفع

٩٠

وتكريره يفيد والسلام **مقابسة اخرى** هذه مقابسة تشتمل على كلمات شريفة من كلام ابي الحسن محمد بن يوسف
العامري علقت وسمعت اكثرها منه وهي التي مرت في شرحه لكتابه الموسوم بالنسك العقلي ويصلح ان ياتي عليها صاحب
الكتاب فاتيت بها على وجهها قصدا للتكثير للفائدة واخذا بالجماع الحزم قال اعزز لا بالنفس بل بعيان النفس واشبه لا
بذبال الجمال واطلبه لا للاتحاد لكن لاستنجاز الاتحاد وقال ايضا لن يوثق بالصديق بل بميزان الصدق ولن تنجيا التبعة
بالطلب التبعية ولن يحجر الكذب بل آفات الكذب وقال انظر من جعلك مريدا فاجعله مرادك وجرد الانتساب الى من هو
اولك واخرك وقال وزن النفس بالنفس هو العبارة بالنفس وربح النفس بالنفس هو العلاج للنفس وعون النفس
بالنفس هو التدبير للنفس والتسابك للنفس بالنفس هو الترفه للنفس وعشق النفس هو المرض وقال سل واهب العقل
اضاعة العقل ولاحظ المتقاين بنور الحق وقال ابدا بالاول فاذا تاركا الاولى داعيا الاولى بايثار الاولى وقال مبلك وماكلا
بجر ان لا اقبح ومنشور الراي لا اقوم وجد ان لا اصلح وقال المختار للاول عاشق للاحسن والمقدم للاول مريد للاتقن في
هذا من المؤنة اشرف للقنيان واخلاص العمل اشرف للاعمال وعدا وقهر الشيطان اشرف من المجاهدات والتهوي لاجا

الداعي الى شرف الافضال وتميز ببقاء ما القنا اشرف من الاقل وقال دوام الصحة للفضلاء من التمام وتعوض الطبع على الجميل من العادة واحالة الفكر في نظام الخليقة يجلي النفس الى الفضيلة وقال ليس اللطف في ترتيب الشيء بل اللطف في تأتي الترتيب وليست المعنة تادية الصناعة بل المعنة سهولة التادية وليس الكمال المطلق اقتناء الفضيلة الانسية بل ما يتبع اقتناءها من الجود الذي فيها اجل النعم هو الاستقبال بشكر الانعم وقال الواجب هو الفوز بالخلوص اوجب الواجبات من لم يؤيد من نفسه باحكام الحكمة يستقل العقل فقد صير صاحبه عليه لا له القايل بالاشراف اماله يوجد مستولى على المشروف واما انه يوجد مستغنيا عنه فهو متسلط على المشروف فيستقل بالاستيلاء على الاشراف او يستعين بالاله عند الوضيع اشد حالا من الخسيس فان الوضيع مذموم ... والخسيس ... وعلى كل حال اشرف العبيد اخلصهم للمولى واشرف خصال العبيد ارضاها عند المولى واشرف ... هو ان يصغو له المولى واشرف همم العبيد ان يتحلى بالمولى من خصائص اللذة سلوك النفس الى التقصير بعد الفوز بالتمام ومن خصائص التشبيه بالضعاف مع وفور الطاقة الحكمة مقتضية لوجود العقل والمعاني الثلاثة في الاقل شيء واحد وهو هو دائم الحق فاما فيمن سواه فمتفرقة في حدوده وان اتحدت في وجودها النفس العزيزة هي التي لا تؤثر فيها النكبا والنفس الكريمة هي التي لا تثقل عليها المؤونات مقابل العزيز هو الذليل في التلون في احوالها لسرعة علمه ومقابل الكريم اللئيم والدني من افعاله بالخلل عامة مراتب العبودية بحسب القوة العملية اربع اولها مرتبة التقيين وهي من علائق الخوف والثانية مرتبة المحسنين وهي من علائق الرجاء والثالثة مرتبة الاولياء وهي من علائق المحبة والرابعة مرتبة الصالحين وهي من علائق الاستقامة صورة الكل واحدة ... القادورات مندرجة في الخيرات والتمسك بالخيرات محصنة عن العفوات والا من العفو امر قعة للمقاما ومعالي المقاما مجمعة للسرور واللذات متى لم يجلب الموانع فقد يتشرف الجوهر الجسماني بحق الاكال لاخص العلم الصحيح ابلغ من صلاح العمل السالب من الاعتبار بالعكس فان الرياسة والملك بين اليدين فاتحة السعي في طلب المولى الا ان الجميع منه ودون المولى تمام السعي في طلب المولى الاستغناء عن جميع من هو دون المولى متى جاوز البعض البعض فقد استغنى الجميع عن الجميع ومتى اتكل البعض على البعض فقد اضطر الجميع الى الجميع بدو التعاون افتقار وتمامه استغناء وبدو التواصل استغناء وتمامه افتقار متى استتبت الحرمة على هذا العرض الحقيقي فقد سلم المحترف بها عن وصمة التقليد فيما فراق العبد للمولى يكون على صور اربع وهي القطع والطرد والحسر والحجب نبعاث الخاطر النفساني وان عرض منه التادي الى الحرص فلن يجوز ان يعلم حذو لا فان لكل واحد منهما مقصود اخر عظيم الجدوى ... وبه الحال المكافية ما ينبعث في النفس لا ان المتدين يفتح تدينه من درجة التقليد ثم يترقى منها رويدا رويدا الى معلوم التحقيق ومهما اقتصر من تدينه على الرتبة كان مذموما وان لم يحصل المبادئة مختصا بالكنه الحال في اللذة والكرامة والثروة والرياسة المعونة والحرمة قد تقع بحسب القرب وقد تقع وبحسب تقريب مراتب المتقرب بحسب العمل يفتقر الى الات وهي الاتصال والتفويض والتوبة ومراتب التقريب بحسب العمل تنقسم الى ثلاث مراتب وهي الخدمة والطاعة والعبادة وقال العاقل لا يجب ان تكون حال الشيء في الوقت لا يجب ان يكون قريبا من احوال الصبا والطبيعة لا يجب ان تكون ناشطة فالا او ذات الخلال والشيب الا ... لا يجب ان يكون اما الثروة واما اللذة واما الرياسة واما الحماقة بل يجب ان يكون اما شرف الفضيلة او تحصيل السعادة والبقاء لا يجب ان تكون مسبعين او نصيبين وقال النعمة الموضوعة في غير موضعها قد تحسن بعض



الجمادات ثلاث وهي الحبت والغيرة والمدرجة اقفال القلوب اربعة اولها الزيغ ثم الريب ثم الغشاوة ثم الختم وعلاجها
الايمان والنداء واليقين بالاخرة والتصديق بالرسالة اغلال الانفس يكون على اربعة اوجه اولها الكسل ثم الغباوة
ثم الحمق ثم الانهماك وعلاجه استشعار التقوى والمحافظة على العبادة والانفاق في سبيل الانفس لعل النفس حصنا هو
لا يطرح بشيء من السخط كفرحه بصحته مالك الملوك وهو الحال الفصل الطبيعية الانسانية اختصاصا بكل موجود بفعل
له على حالة يحقق ان وجلاله ليس بعيب والغسل لعقل عن ان يتوهم لذلك الفعل موجودا آخر اصلح لم يتحقق له
انه ليس بناقص لذات اذ قد تعرف كل من الموجودات بفعل له على حالة فمن اين تعرف وبالذي يصله عن مجموعها من الفعل
المختص به من وجه مجموعا ان ينتفع بسياق الشيء الى الكمال الذي يحفظ عليه ولن ينتفع بحفظ عليه الرئيس ذاته بنفسه
مستحفظا لطباعه على اخص كالرئيس اصلا في سريره من طغيان الآنية الغيرية الاعتلاء ولن ينتفع كالامن عليه الا الرئيس
الامن ابدا بالاطلاق ان شرف الانسان هو الفوز بالسعادة العظمى ونيل المنزلة عند ربه ومن الواجب ان يكون في
الصناعة المعينة بشأن الانسان بما هو انسان اعني المسلك والوصل هو تحصيل السعادة العظمى والمنزلة عند الله تعالى
وكان الشخص الواحد من اشخاص الناس غير صالح لاستبانة صور الموجودات كلها في ذاته فيصير بذلك عالما على حده
حسب ما في اشخاص الحيوانات الاخر لما امتنع ان يفنى فناء ابديا ويخلفه الآخر مكانه لازدحام الصور المتقابلة في الجوهر النفساني
بل ممتنع وازدحام الصور الكثيرة الى ما لا نهاية هو ليس بموجود بعد الملاشي فليس اذن ليس بواجب وحصرها اذا انحلت بالآلة
الكلية بطباعها الخاصية غير بعيد ان يكون الكمال المطلق هو ان يصير جوهره بحسب السعي الاختياري حكيما قادرا لاجوافا وهو
يصير الصدر ربانيا بالحقيقة لما جعل الشخص الحيواني توليد المثل ببقاء نوعه فقد احكم بالطبع المتمم لغايته وبالعكس لما حرم الكمال
لا شرف بنفس حيلة تقصر لها من التصور لهذا سافلو ضاهاه الانسان في هذا الكمال لشاكل في القصور عن التصور اذا سعد
العبد بوصال مولاه على الحقيقة فقد صارت دنياه آخرته وموته حياته وفقره غناه ومرضه صحته ونومه يقظته وضعفه
قوته ومحنته فرحه واذا شقي بالحجب عن مولاه فقد انقلب الامر بالضد مراتب العبودية في المعيشة الدنيوية على الحقيقة
اربع اولها الاهتمام للسعادة ثم التشوق اليها ثم الحصول عليها ثم الاستمساك بها وفي المعيشة الاخروية ثنتان وهما الاغتباط
بنيلها والاغتباط بالامن من زوالها كالممتنع عليها بارضاء المحقق فقد صار وجوده على ما هو عليه مضاهيا للعدم وتلك
هي حساسة ذاته صلاح الواحد ينزل منزلة الملك وصلاح الجميع ينزل منزلة الملك وحيث وجد الملك وجد الملك
لا ينعكس فاذن الانسان لن يشرف بان يصير مالكا بل يشرف اذا صار ملكا وفعل المالك حفظ القنية على صورتها وحفظ
الملك حفظ مراقب القنيا على سوجاتها متى علم ان الشيء ما يجب ان يعلم وانه ليس بعلم فقد صار المعقول عنه محرز وما عليه
ذلك هو مفتتح الشيء وهو في الحقيقة الكثير مصف جملته كانه ليس يسكن العقل الصحيح الى معرفة المبدأ القريب من الشيء
دون ان يعرف المبدأ الاول على الاطلاق وما بين المبدأين من الوسائط كذا ليس لا تهدأ النفس القوية على معرفة الغرض
القريب للشيء دون ان يعرف الغرض الاخير على الاطلاق وما بين الغرضين من الوسائط ان كان الاول المحض والآخر المحض بالذات
شيئا احدا وان اختلف الوصفان عليه بالاضافة فبالحري ان يكون المبدأ والغرض المحض غير مختلفين وبالذات وان اختلفا
بالاضافة التعرف لذات بحسب المنتهى وبعده وهو ان تعرف لماذا هو وكيف السبيل اليه وما الذي يحتاج اليه في التوجه
نحوه وما الذي يعوق عن بلوغه مراتب التعرف للذات بحسب المبدأ اربعة وهو ان تعرف ما هو ومن جاد به ومن داعيه
وكيف كان جيدة ومن اجل ان المستجد قد يضطر الحال الى استصلاحها واستحفاظها فيصير فعله فيهما عند ذلك شبيها

يفسد القادم بها في الظاهر فليس بعجيب ان يعرض منه الغلط او يبلى من جهته بالاختلاج من سوس لعقل الصحيح التمييز بين
الحسن والقبيح ومن سوس ايضا السكون على الحسن والالتفات عن القبيح لان الشيء متى كان مطرا فالحسن فانه يبقى العقل
الجري في تقابح منه الى التدريج اليه والقرين عليه بخصوصية هذه الصناعة واستمرار الانفس الناطقة على تاديتها الافعال البشرية
مستصلحة لاكتساب الزلفى عند خالق البرية ان يكون تكون الغاية محمودة وتلقى نفسها موجودة بذاتها بل يجب مع ذلك ان تكون
عند القاصد لها على ما هي عليه وان تكون ايضا مشوقة محبوبة فهذا يجب ان تعرف من درك الغاية اهو من جملة النعم ام ليس هو
من جملة النعم وان كان من جملة النعم اهو مما ينال بحسب الاتفاق ام بحسب التعويض ام بحسب المثوبة هذا آخر التعليق منه نضر
الله وجهه وقد كان قادرا على هذا الجنس من الكلام لطول ارتياضه وكثرة فكره فيه مع سيرة جميلة ولقد ورد بغداد سنة اربع
ستين وثلثمائة في صحبة ذي الكفايتين خلق من اصحابنا البغداديين عنتا شديدا ومناكدة وذلك ان طباع اصحابنا معروفة
بالحدة والتوقد على قاصد يرد من غير بلدهم وذلك كله جالب للتنافس مانع من التناصف وهو خلق تابع لهواهم وقد ام
تلاحقا جوا من اجل ذلك الى علاج شديد ومقاساة طويلة وقل من يتخلص الى غاية هذا الباب لغلبة الطباع وسوء العادة
وشرارة النفس والحكمة على السنتهم الظاهرة منها على افعالهم وطالبتهم بالواجب لهم اكثر من بذلهم الواجب عليهم وهذا
باب وان كان فاشيا في جميع الناس فكانه في اصحابنا افشى وهو من جهتهم املا وهو على ذلك لا يعثر واحد منهم اذا بر
في تقصيره عشرة من غيرهم واذا كان الكامل عزيزا في النوع كيف لا يكون عزيزا في الواحد نسئل الله خلقا طاهرا وعملا صالحا
وعلما نافعا

مقابسة اخرى

قد مرت في هذه المقابسات التي تقدمت فنون من الحكمة وانواع من القول لم يشذ منهما
الا حظ النفس لرواية من هؤلاء الشيوخ وان كنت قد استفرغت الطاقة في تنقيتها وتوخي الحق فيها بزيادات يسيرة لا
نصيب بها او نقص خفي لا يبالي به وانا اسئلك ان تاخذ منها ما وافقك وتدع على ما بار عليك ولاجل ما سلف من القول
في المسائل ما احببت ان احكي لك حديثه لحصلناها على مر الزمان بعضها اخذ من افواه العلماء وبعضها التقط من بطون الكتب
بعد ان تعرض للجميع من يوثق بصناعته ويرجع الى نقده واختياره فاشركني في فوايدها وهب لي من بعض ما استحسانك لها
وتغمدني بكرمك وفضلك الذين لا يستغني مثلي عنهما واستغفر اني نقلت هذا الكتاب والدنيا في عيني مسودة وابواب
الخير دوني منسدة بثقل المؤنة وقلة المعونة وفقد المونس وبعد الموطن وعثار القدم بعد القدم وانتشار الحال بعد
الحال هذا مع ضعف الركن واشتعال الشيب وخمود النار وافول شمس الحياة وسقوط نجم العمر وقلة حصول الزاد
وقرب الرحيل والى الله التوجه وعليه التوكل وبه المستعان ولا موفق غيره ولا معين سواه وفي الجملة اسالك بالعلم
الذي يتقاسم به الفتيان ظرفا ان تعذرني في تقصير تعثر عليه فوالله ما شرعت في تحبير هذا الكلام وايراد هذه الوجوه
الا شغفا بالعلم لا ثقة ببلوغ الغاية وانت اولى من عذر وكان احق منا عتذر وهذا كله يجري في مجالس مختلفة بين
مشايخ الوقت بمدينة السلام ورأيت ان اخلالي بتحصيله على اي وجه كان اشد من اخلالي بتقصير يرى في جملة ذلك
فتعرفت له على علم مني بقلة السلامة على ان من الخاعلي بحلاه وكثر لي عن نابه وجعل صوابي خطاء وخطائي فيه عارا
احتملت وصبرت وتغافلت وعذرت واذا كنت في جميع ذلك راويا عن اعلام عصري وسادة زماني فانا افدي اعراضهم
بعرضي واقي انفسهم بنفسي وانا اضل دونهم بلساني وقلمي ونظمي ونثري وارجو ان لا احرج عن هذا التصميم وضيق
العطن عند الخصام الى مفارقة الادب والى ما يقبح بالاحد وثمرا فاقول قولا يورث الندامة وابرز بروزا يجلب الملامة ولست
انا فسل حالا على هذا الحديث لابعد ان يرسم بقلمه في هذا الفن عشر اوراق يسلم فيها كل السلامة ويتبرا فيما من

كما قال

كل ذلك وهذا مما لا يتطاول له كل احد ولا يعثر به كل انسان والطعن بالقول سهل من جهة والعنف خفيف على لسان كل
غايب والتعقب ميسر في كل وقت ولكن الستر اجمل والابقاء احمد ولان يطلب التاويل في سهو ويعرض لحسن من الفتيا
الخلل فيما العلة يتسبب على ان الحسنى لا تتقدم فذا اما كان المحسنة لا تعدم ملاما والسلام والمقابسة التي من قول العامري كل
جعلناها مقصورة على حدود حصلناها ونحن نثرها فوائد جمة ولو كان الوقت يتسع لوصلنا جميع ذلك بما يكون شرحا له وشافيا
مغنيا وقناعا كالانغماد من المكروه والعالم في النفس والحال في الاخوان فلا بد من الرضى بالممكن والنزول عند التسهل والقناعة
تحت ما يحد. الكلام الجواب انه مولف من صوت وحرف ومعاني يقال كيف يحصل الجواب بجذب الانسان الهوا بالحركة الطبيعية
وحصره في قصبة الرية ودفعه ومصاكته بالحركة الارادية للهوا الخارج بحروف يجد بها الة الاصوات وهذه مركبة الة
بحروف اتفاق والتساق على معاني فكر النفس بالمنطقية بقدر الهواجس الطارية والخواطر السانحة والصواب المؤيد من العقل
والاثر الحاصل في القلب يقال ما الشعر الجواب كلام مركب من حروف ساكنة ومتحركة بقوافي متواترة ومعاني معادة ومقاطع موزونة
ومتون معروفة يقال ما الغناء الجواب شعر ملحن داخل في الايقاع والنغم الوترية منعطفة على طبيعة واحدة ترجع مشاكلة
اليها يقال ما الايقاع الجواب فعل يكيل زمان الصوت بفواصل متناسبة متشابهة متعادلة يقال ما اللحن الجواب صوت يتبرجح
خارج من غلظ الى حدة ومن حدة الى غلظ بفصول بينة للسمع واضحة للطبع يقال ما النغم الوترية الجواب استحالة الصوت
من نسبة شريفة الى نسبة غير شريفة المقاطع ومواضع استراحات الانفاس مع تمام دور من ادوار الايقاع الطبيعي يقال ما
الجواب هو رجوع اهوائه من جرم المقروع المجوف من دون ذلك الجرم العميق الاملس اذا قرع شيء بناء عنه ثم عاد اليه كالكرة
اذا ضرب بها الارض وكذلك الصدا من المتكلم يقال ما الجدل الجواب مباحث مقصورة بها ايجاب الحجة على الخصم من
حيث انه يقوى ومن حيث لا يقدر ان يدفع يقال ما المحال الجواب الجمع بين المتباينين في شيء ما في زمان واحد وجهة
واحدة واضافة واحدة وسمعت ابا سليمان يقول المحال لا صورة له في النفس فتقبله الباري فهذا اما يقول فيه
المحال هو فقال لا لان عليه شهادة من العقل فشهادته ثبتت انيته وبارتفاع صورته انتفت كيفيته وهذا غير التوحيد
وقد مر كلام في التوحيد عن هذا الشيخ وعن غيره على سعة اطرافه وضيق عباراته فلا وجه للاطالة في هذا الموضع
ولولا ان هذا القدر كالبيضاء ما اقترن به واشتمل عليه لكان تركه اولى وعلى كل حال ففيه تحليل لهذا الباب وبعث على ما
تنزع النفس اليه من هذه الحقايق وليس من فصل في هذه الرسالة الا وهو محتمل لضروب من البيان واصناف من القول ولكن
الاقتصار اليق بالطالب واحسم لمادة الشغب والجدال فقال ما الكون الجواب خروج الشيء من القوة الى الفعل يقال ما الفساد
الجواب خروج الشيء من الفعل الى القوة يقال ما الجمع الجواب انضمام المادة الى نفسها وتلاقي اجزائها يقال ما الانفراد
الجواب انفصال المادة باقسام لطيفة صغيرة القدر يقال ما الباطل هو ما يباين الموجود هو ما هو يقال ما الخير بالحقيقة
الجواب هو ما يراد ويوثر لاجل ما يراد بالاستعارة لذاته يقال ما الشر الجواب هو ما يهرب منه لاجل ذاته وايضا الشر
هو ما يهرب منه لاجل انه يؤدي الى الاستعارة الى ما يهرب منه لاجل ذاته يقال ما الذكر الجواب احضار الذهن ما تقدم وجوده
في النفس يقال ما الذهن الجواب جودة التمييز بين الاشياء يقال ما الذكاء الجواب سرعة الانقداح نحو المعارف يقال ما
التواني الجواب هو نهاية الفكر يقال ما الشك الجواب هو تردد النفس بين الاثبات والنفي يقال ما الارتياب الجواب تجارب
يقال ما اليقين الجواب مطابقة العقل معقوله يقال ما العلم الجواب وجدان النفس المنطقية الاشيا بحقايقها يقال ما
الحكمة الجواب هي حقيقة العلم بالاشياء القائمة ووضع كل شيء في موضعه الذي يجب ان يكون فيه الموضع فقط يقال ما

الجواب هو جميع القضايا واستخراج النتايج ويقال ما العزم الجواب الراي على العقل يقال ما اليقين الجواب سكون الفهم
مع ثبوت القضية ببرهان وايضا هو وضوح حقيقة الشيء في النفس يقال ما المعرفة الجواب راي غير زائل والراي هو
الظن مع ثبات القضية عند الناظر نحو اذن سكون الظن يقال ما الجزم الجواب هو قوة يحل لها قوة الثقة بانه الامر
مع سكون الظن ثم اثباتها يقال ما الوهم الجواب هو الوقوف بين الطرفين لا تدري في ايهما القضية الصادقة يقال ما التوهم
الجواب هو انفتاق الظن العقل من غير اثبات حكم يقال ما التصور الجواب هو حصول صورة الموجودات العقلية في النفس
يقال ما الذكر الجواب هو سلوك النفس الناطقة الى تحصيل المعاني ومعرفة ماهياتها يقال ما الحفظ الجواب ثبات صور
المعقولات والمحسوسات في النفس يقال ما الحس الجواب وهو قبول صور المحسوسات من حواملها يقال ما التخيل الجواب
هو حصول صور المحسوسات بعد مفارقتها وزوالها عن الحس يقال ما الادراك الجواب هو تصور نفس المدرك بصورة
المدرك يقال ما المعرفة الجواب هو ادراك صور الموجودات ما يتميز من غيرها وهي المحسوسات التي لانها تحصل بالوسم و
الوسوم ماخوذة من الاعراض والخواص والعلم المعقولات التي لا تحصل بالحدود والمعاني الثابتة للشيء يقال ما
الاستقصى الجواب هو ما يكون في الشيء ويرجع اليه مخلا منه الكائن بالقوة يقال ما الصورة الجواب هي التي بها الشيء هو ما
هو يقال ما المكان الجواب هو حيث التقى الافقان المحيط والمحاط به وايضا هو ما بين سطح الجسم الحاوي والسطح
الجسم المحوي يقال ما الزمان الجواب مدة تعدها الحركة ثابتة الاجزاء يقال ما الجرم الجواب ما له ثلثة ابعاد طول وعرض وعمق
يقال ما الكثرة الجواب هو انفصال الهيولى باقسام كثيرة عظيمة القدر يقال ما الملازمة الجواب امساك نهاية الجسمين
بجسم ثالث بينهما يقال ما الاجتماع الجواب حال تقارب الاجسام بعضها من بعض والافتراق تباعدها يقال ما الحال الجواب
كيفية سريعة الزوال يقال ما الاتصال الجواب هو اتحاد النهايات والانفصال تباين المتصلات يقال ما الرطوبة الجواب علة
سهولة انحصار الشيء بذات غيره وعسر انحصاره بذاته وايضا هو الكيفية التي لا يحيط بشكل الجسم الذي هي فيه على شكل
محدود ولا يمنعه من التشكل بشكل ما يحيط به بسهولة يقال ما اليبس الجواب علة انحصار الشيء بذاته وعسر انحصاره بغيره
وايضا هو الكيفية التي تحفظ شكل الجسم الذي هي فيه وحتى لا يتشكل بشكل ما يحيط به بسهولة يقال ما البرودة الجواب جمع
الاشياء التي من جواهر مختلفة والتفريق بين التي هي من جواهر واحدة يقال ما الحرارة الجواب علة جمع الاشياء التي هي من جوهر
واحد وتفريق الاشياء التي هي من جواهر مختلفة يقال ما المؤلف الجواب المركب من اشياء متفقة بالحد مختلفة بالعدد
يقال ما الروية الجواب هي التمثيل بين خواطر النفس يقال ما الفعل الجواب تاثير في مؤثرات التاثير وايضا هو الحركة التي
تكون من نفس المحرك والقابل عنه يقال ما الاختيار الجواب هو ارادة تقدمتها روية مع تمييز يقال ما التقليد الجواب جمع
ذوات مختلفة الى ذات واحدة يقال ما النفع الجواب الشيء المشوق من الكل يقال ما الفصل الجواب هو لفظ محل ما تم
الكتاب يقال ما المدخل الجواب هو قول يحصل المعاني ما تحتاج اليه في معرفة ما هو مدخل اليه يقال ما المنطق الجواب
يقال هو صناعة وبه تميز بها بين الصادقة والكاذب في الاقوال والحق والباطل في الاعتقادات والخير والشر في الاحوال
يقال ما الصناعة الجواب بالاطلاق هي قوة للنفس فاعلة بامعان مع تفكر وروية في موضوع من الموضوعات نحو غرض
من الاغراض يقال ما الصدق الجواب قوة مركبة من الحق يقصد بها العدل والحق يقال ما اليقظة الجواب هي استعمال النفس
الناطقة لاستعمال الات البدن من غير مرض عارض وللانسان على طباعه يقال ما الحياة الجواب هي رباط الحركة وحس
وعقل ونماء وتربية والموت ضد ذلك يقال ما الشجاعة الجواب هي قوة مركبة من العزم والغضب تدعوا الى شهوة تقابل

البدن ضده يقال ما الفرح الجواب هو انبساط النفس من داخل الى خارج على المجرى الطبيعي ما الخوف ضد ذلك يقال
ما التهور الجواب الذي لا يقنع ما يتخيل في وهمه تخيلا ضعيفا من غير نظر ولا فحص والغيظ هو ابتداء الغضب يقال
ما الركين الجواب هو الذي يكون العزيمة منه مع تمييز وتفكر يقال ما الحسود الجواب هو الذي لا يحب لاحد خيرا ويحب ما
في الاضرار بهم وينفس كي يلحقهم بذلك مكروه يقال ما الضغن الجواب هو حقد يقع معه رصد الفرصة والانتقام يقال
ما الحقد الجواب هو غضب يبقى في النفس على وجه الدهر يقال ما الغضب الجواب هو غليان دم القلب لشهوة الانتقام وهو الحركة
لقهر ما اضر بالبدن يقال ما التعجب الجواب هو ظن الانسان بنفسه انه على الحال التي يجب ان تكون عليها من غير ان تكون عليها يقال
ما الرضى الجواب هو قناعة النفس بما كانت غير قانعة يقال ما الحياء الجواب هو خوف الانسان من تقصير يقع منه عند افضل منه
في شيء ما او في كل شيء يقال ما الاستطاعة الجواب هو التهيؤ لتنفيذ الفعل بارادة الاختيار من غير مانع ولا عايق يقال ما النمو
الجواب هو التشوق على طريق الانفعال الى استرداد ما نقص مما في البدن والى نقص ما زاد فيه يقال ذبيل بالانفعال الذي يحرك
على انه ما يجري بالامر الذي هو بالتمييز والفكر يقال ما المحبوب الجواب هو مطلوب النفس وهو تمام القوة التي هي علة
الجماد مما من شانه ان يفعل يقال ما الوقت الجواب هو نهاية الزمان المفروض للعمل يقال ما البصر الحسي الجواب هو انه ما
النور النفساني بنور الشمس بتوسط الهواء يقال ما الضد الجواب هو تولد الى طبيعة الشيء الموضوع بمنزلة ما هو سواء
يقال ما الرسم الجواب قول مميز للموضوع من غير مركب عن صفات عرضية اكثر من واحد يقال ما الخاصة الجواب هي كالرسم
الا انها من صفة واحدة عرضية يقال ما الانسان الجواب هو ناطق مايت فحي دلالة على الحس والنطق والحركة والناطق
دلالة على العقل والروية والمايت دلالة على السيلان والاستحالة يقال ما الممكن الجواب هو الذي بالقوة تارة وبالفعل
فيما يوصف تارة يقال ما الممتنع الجواب الذي ليس بالفعل ولا بالقوة فيما وصف به ابدا يقال ما القول المطلق الجواب الذي لا
يثبت بها تارة اخرى يقال ما الكيفية الجواب ما هو شبيه وغير شبيه يقال ما الكمية الجواب ما احتمل المساواة وغير المساواة يقال
ما الصدق الجواب مطابقة القول لما عليه الامر ويقال ايضا الاخبار عن الشيء بما هو عليه يقال ما الكذب الجواب لا مطابقة
القول عليه الامر وايضا الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو يقال ما الحق الجواب هو ما وافق الموجود وهو ما هو يقال ما العنصر الجواب هو
طبيعة لا انية طبيعة يقال ما الهيولى الجواب قوة موضوعة لحمل الصور منفعلة يقال ما الجوهر الجواب هو القائم بنفسه
الحامل للاعراض لا يتغير في ذاته موصوف لا واصف يقال ما النفس الجواب تمام جرم ذي آلة قابلة للحياة وايضا هي جوهر
عقلي متحرك من ذاته بعدد موتلف وايضا هي جوهر علامة متولدة بالفعل يقال ما العقل الجواب جوهر بسيط يدرك
الاشياء بحقيقتها لا بتوسط زمان دفعة واحدة وايضا هو الذي من شان الجزء منه ان يصير كلا وفي معنى هذا القول من
شانه ان يعقل مثلا وهو عقل جزئي ان يعقل كل المعقولات التي من شانها ان يعقل ان يقصر بالزمان او يعترض عايق
وليس شيء من الموجودات لهذا المعنى سواه يقال ما القادر الجواب هو الذي تنفذ ارادته فيما لم بالقوة العاجز عنه ذلك
يقال ما الفعال الخير الجواب هو الذي لا يبخل على احد في شيء من الاشياء يقال ما الازلي الجواب الذي لم يكن ليس وما لم يكن
ليس لا يحتاج في قوامه الى غيره والذي لا يحتاج في قوامه الى غيره لا علة له يقال ما القايم بذاته الجواب هو الذي حل ما
فيه وما ليس هو قايما بذاته هو الذي حله وخارج منه يقال ما العلة الاولى الجواب مبدع الكل متمم الكل غير متحرك وايضا
فعال وايضا خير محض يشتاقه كل شيء سواه ولا يشتاق الى شيء سواه وايضا هو وجود مطلق لكل وجود عقلي وحسي وايضا
الواحد بالقول المطلق لا كالجنس الواحد ولا كالشخص الواحد يقال ما النفس ايضا الجواب روح الله منبجسة بتوسط العقل

يقال ما الكتر الجواب قوة روحانية تنفعل فعلها من خارج بها ما الحركة الجواب هي على ثلثة اوجه مستوية ومستديرة ومنفرجة يقال ما
الطبيعة الجواب صورة عنصرية ذات قوى متوسطة بين النفس والجرم لها مبدء حركة وسكون عن حركة يقال ما السماء الجواب جوهر
مستدير مركب مجبول على حركة شوق دائمة   يقال ما الفرح ايضا الجواب انبساط الطبيعة من داخل الى خارج والطبيعة
هنا الحرارة الغريزية والحزن انقباض الطبيعة من خارج الى داخل يقال ما النوم ايضا الجواب غوص القوى في عمق النفس يقال
ما الارادة الجواب هي نزوع وحركة قوة بسيطة نفسانية من قضم بعد الشوق يقال ما اللذة الجواب انطباق الشهوة الطبيعية من
النفس بلا مانع يقال ما الكل الجواب هو جوهر محيط بالاجزاء لا شخص لها هذا اخر المقابسة التي اتت على حدود هذه الاشياء
وهي وان كانت تحتمل التخفيف فبعض المطالبة والاعتراض ببعض الاستقصاءات قد حوت معاني غريبة وطرقا واضحة وقد كنت
عرضت اكثر هذا على ابي سليمان وعلى غيره فما اصبت عند احد منهم ما يحكى الا ما قال جماعة من النحويين فانهم تعرضوا لكلمة كلمة
بعد كلمة منها من ناحية الاعراب والصيغ فاعادت على ابي سليمان ذلك فقال انا استعام لك عموم المعنى في النفس بصورتها التامة
فلا تكترث ببعض التقصير في اللفظ قال وليس   هذا منى في تصحيح اللفظ وائتلاف التزويق وتحبير البيان ولكنا اقول متى صح اللفظ
ولم يواتو اعتاص ولم يسمح فلا تفت نفسك خصايص المطلوبات وغايات المقصودات فلان تخسر صحة اللفظ الذي يرجع الى
الاصلاح اولى من ان تعدم حقيقة الغرض الذي يرتقى الى الايضاح ولولا هذا الذي قاله هذا الشيخ لما اخترت نثر هذه الحدود على
ما عرفتك من اعلالها واطراد القول عليها وفي بحر الحكمة قد نغترف نقدا اوفى فضلا كثيرا وتاجر عوزا عظيما واحرز ملكا كبيرا **مقابسة**

٩٢ **اخرى** قال ابو سليمان انما صار العلم والمعرفة واليقين والفضائل باسرها قليلة في هذا العالم لشرفها في نفسها واتصالها بامها
وهكذا اعز كل شيء شريف في نفسه وعز في جوهره انظر الى المعادن في الارض والى قلتها اذا تدبرت سائر الاجسام ثم انظر الى
قلة الاشرف منها وهو معدن الذهب ثم انظر الى محل العالي بما فيه الا المستحق بالطلب والجهد والمعاناة والكدح وهكذا العلم
والفضائل تعرف في هذا العالم لانها تنبو عنه فلا يقر فيه ولا يانس به فمن هذا الحال اشتهر ونشا وكثر فانما ذلك بحوزة الطبيعة
وكثرة المادة وغلبة الهيولى ولاختلاف النفوس باصناف المزاج والتربية فاما كيفية النفس وارتفاع العقل واثاره الفكر وما كان
من باب الحقائق واليقين والطمانينة والسكون وروح البال وطيب النفس فانما ذلك بمعونة العقل واتصاله بجوده وغزارة
فيضه وغلبة سنخه وتعهد البارئ الذي اليه ينتهي العقول والوهم وعنده يقف النثر والنظم وعليه يشتد اللطف والذي هو الاهل

٩٣ المستولي على الكل **مقابسة اخرى** قال ابو سليمان انما عرض الاختلاف من الناظرين في العالم اقديم هو ام محدث
لامر لطيف وذلك ان الناظر الى الركن وجد الشيء الكاين ثم وجد الشيء بالفاسد فحكم ان المحدوث والقدم متعاقبا عليه
قدم الزمان وحدوث ايضا بالزمان فاتي الحكم بانه محدث واجب والناظر الى هذه الاجرام العلوية وجدها لا يكون ولا يفسد
ولا يعتريه ونحو ذلك فحكم بانه قديم وكان النظران صحيحين من الجهتين المختلفتين والشرف على الحقايق وهو الذي يقضي
بالواجب لانه يمضي السفلي الى العلوي او يبتدي النظر من العلوي الى السفلي فعند هذا التصفح والاستبانة يحكم بالحق و
يقول قديم بالسوس حديث بالتخطيط وكيف لا يكون كذلك واثار الصورة فيه ظاهرة واثار الهيولى فيه حاضرة فاثار الهيولى
هي التي رمت وعافت وبادت وانتشرت واثار الصورة هي التي ثبتت واستمرت وبقيت وشرفت وحسنت ولطفت فلا هو

٩٤ هذا عند من لا دراية له بهذا البحث متناقض وانه تلجلج في هذا الحكم بين السلب والايجاب **مقابسة اخرى**
قال ابو زكريا الصيمري عند ابي سليمان في مذاكرة طويلة ان كانت النفس واعتبار حالها بمنزلة الدرة في الحقة والجوهرة
في عمق البحر وما اشبه ذلك فليست النفس في حكم البدن ولا حالها الا تقربها حال الكاين الفاسد لان الدرة ليست في

المقلة التي فيها لو التقشار الذي هو عليها في شيء ولكانه كالبصل وقشوره فهي باقية لا ابقاء لها ولا خير فيها وفي المتكون
مع خواصها الشريفة وعجايبها الغريبة في حكم السائل الذي درس والدارس العافي وقد اتت المقابسات الاول على نحو
يلغز في تحقيق شأن النفس واثبات امرها وما اختصت به دون البدن والمزاج وتوابعها ولواحقها لا وجه للولوع بالاكثار
فان ذلك ربما جر الى التقصير وحمل على الاعتذار وهذا علم كلما قلت الحروف فيه كان المعنى بها اتم واخلص وكلما كثر اللفظ كان
ما يراد به يعود فيها انقص وليس كذلك باقي العلم والسبب في ضيق هذا العلم انه بحث عن حقايق الموجودات وقصد الى اعيان
المعقولات والخصايص عرية من العلل والشبهات بعيدة من الشكوك والعارضات غنية من التأويلات والاحتمالات لانها تنبو
اعراضها عن زخارف القول وترتفع عن مواقع الاستعارة والغلط والتجوز والاتساع ولهذا ما اتسع نظرهم الحصر الموجودات
في الامرة العشرة حتى لحظوا الجوهر والكم والكيف والمضاف والاين وكذلك متى والواجد له ويفعل وينفعل وحققوا
وحققوا حدودها واوضحوا علاماتها واستوفوا جميع احكامها المفصلة بين المعاني اللفظية والحقائق الالهية والامور
الطبيعية والمناسبات الكلية والجزئية وفي ضمن هذه الكلمات الشريفة الحاوية لكل ما علا وسفل معنى هو الجنس الاعلى ومعنى هو
النوع الاقصى ومعان بينهما اذا اضيفت الى ما علا عنها كانت انواعها واذا اضيفت الى ما سفل عنها كانت اجناسها ولما
فات ساير العلماء هذا البحث تاهوا واضطربوا وحاروا ولو احترقوا وصاروا في ذلك ثبوتا للعداوة وسببا للاختلاف وهذا
النظر ايضا عرفوا القوى الاولى من النفس الاثر لهم اذا اسموا شيئا بالباقي كيف يقترن به الجسم المتنفس اي الذي له جملة القوى
النفسانية القوة المولدة وبها تكون النسل والقوة المربية وبها تكون البقاء والقوة الغاذية وبها تكون الزيادة وبهذا النظر
استعملوا من العقل ما الشيء الذاتي وما ذلك الذي ليس بذاتي وما الكلي وما الجزئي وما المحمول والموضوع وما الصوري وما
الخاصة وما الاعيان والذوات والمواد وما المعاني المنطقية التي انما تضيف للاضافة وكيف حصل معنى يعم الحيوان
الذي هو جنس للثور والفرس والانسان وكيف حصل الناطق الذي هو فصل بين الانسان والفرس حتى تميزت
الاشياء بالجنس والنوع والخاصة والعرض ما هو بالموضوع وما هو بالطبع وما له مبدأ وما له من المبدأ وما علته فيه و
ما علته سواء وما لا علة له علته لما هو اول في العقل وما هو علة في النفس وما هو اول في الطبيعة وما هو اول بالزمان وما هو
اول بالدهر وما هو اول بلا تسبيل عني بالاطلاق وما هو بسيط وما هو ممزوج وما هو حق وما هو باطل وهذه تلامع
لا يراها الا الاولياء الاصفياء وجوه لا يركبها الا النبلاء الفضلاء وانا اعتذر من تشقيق الكلام في هذا الموضع وتقصير
الطويل مع تباعدي عن كثير مما هو اولى بي وانفع لي ولكن الكلام صعب لا يملك اذا اهطل ومنهار لا يحصر اذا انتشر
ووصى بتبعة الولي وغيره ما كان عفوا وشره ما كان تكلفا ولست اعني بهذا بلاغة البلغاء ولا خطابة الخطباء اذ لك
شأن عن غير هذا الحكم لانه ملحوظ بالهذر [illegible] في الاكثر وانما اعني ما يليق العقل ويحققها ويجتهما بالمعنى و
يأتي على المراد ويشفي عليل النفس ويهدي الى اليقين فذلك كالعرض لا ثبات له ولا سكون معه وقد يعرض ايضا في تحقيق المعاني
وتحصيل الاغراض بعض التجوز والسعة ولا يكون ذلك معتمدا بالقصد الاول ولكنه يكون كالشيء الذي لا يعرى عن محاذاة
الامر الذي لا يخلو من مثله وكيف يصدر عن الانسان المركب الممزوج بان لا عيب فيه او كيف يصح له فعل لا عتب عليه بينما
يصدر من المركب مركب مثله ومن الممزوج ممزوج شبيهه ولكن بين المركب والمركب بسيط وبين الممزوج والممزوج
صاف وبين المعقول والمعقول صلاة وبين المظنون والمظنون فنون تشير الى اليقين فما احرى من فتح الله بصيرته و
ايقظ نفسه ان يعترف بعجزه عليه ويشكر ما قد وهب له وقد رويت في هذا المكان عملا وجملة لبعض اصحابنا

اكتبه وكان تذكرة لنفسه وباعثاً لتحبير لسانه ومشهد طرفه وهو بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما عاهد عليه الله فلان بن فلان
وهو يومئذ آمن في سربه معافى في جسمه عنده قوت شهره لا تدعوه الى هذه المعاهدة ضرورة نفس ولا بدن ولا يريد بها
علواً ولا يستجلب منفعة من الناس ولا يستدفع مضرة منهم عاهده على ان يجاهد نفسه ويتفقد امره وما استطاع حتى
ويشجع ويحلم وعلامة عفته ان يقتصد في مآربه حتى لا يحمله الشره على ما يضر جسمه او يهتك مروءته وعلامة شجاعته
ان يحارب دواعي نفسه الذميمة حتى لا تقهره شهوة قبيحة ولا غضب في غير موضعه وعلامة حلمه ان يستبصر في اعتقاداته حتى
لا يفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة ليصلح اولاً نفسه ويهذبها ويحصل له من هذه المجاهدة ثمرتها
التي هي العدالة بتذكر إيثار الخير على الشر في الافعال والحق على الباطل في الاعتقادات والصدق على الكذب في الاقوال التي هي في حكم
السعادة وان تحصيلها يكون باختيار ما ذكر بالجهاد الدائم لاجل الحرب القائمة بين المرء ونفسه التمسك بالشرع وتقويم
لزومه وظايفه وحفظ المواعيد حتى ينجزها واولها ما بينه وبين الله عز وجل وقلة الثقة بالناس بترك الاسترسال
الجميل لانه يجلب المسرة لذلك الصمت في اوقات حركات النفس للكلام حتى يستشار فيه العقل وحفظ الحال التي يحصل شيء شيء
حتى يصير ملكة ولا يفسد بالاسترسال والاقدام على كل ما كان صواباً الاشفاق على الزمان الذي هو العمر ليستعمل في المهم دون
غيره وترك الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغي وترك الدنية وترك الاكتراث لاقوال اهل الشر والحسد لئلا يشتغل بمقابلتهم
والانفعال لهم وحسن احتمال الغنى والفقر والكرامة والهوان بجهة وجهة وذكر المرض وقت الصحة والهم وقت السرور
والرضى والغضب ليقل الطغي والبغي وقوة الامل وحسن الرجاء والثقة بالله تعالى فاذا يسر الله تعالى اصلاح نفسه بما
جاهد عليه تفرغ بعد ذلك الى اصلاح غيره وعلامة ذلك انه لا يبخل على احد بنصيحته ولا يمنع احداً رتبة يستحقها ولا
يستبد دون الاخيار بما يتسع له فاذا اكمل الله ذلك ورفع عنه العوائق والموانع وبلغه ما في نفسه من هذه الفضائل
يصير بها من اولياء الله الفائزين وانصاره الغالبين وعباده الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فلا يستحيا
لعجلة الى كل ما مأمور به وتحقق بعد ذلك الى ما جانبه الى كل ما وكل الجود ومن اعطانه لا يحسن ان يرغب فيه وما هو
مما لا يحسن ان يستعيذ منه وهو حسبه وعليه توكله ولا قوة الا به وهذا آخر العهد وهو غني عن تقريظي وهو لا يحتاج الى حسن
لفظه وراجح عليه فمن جعل هذا كتيبة صدره وعقيدة سره ووسيلة بينه وبين ربه فهو الفيلسوف الحق المبين والمتقي بالله

مقابسة أخرى روي لابي سليمان كلاماً لبعض الصوفية فلم ينكره ولم يعش منه وقال لو قلت انا في هذا الفن
شيئاً لقلت للحواس ممالك وللاوهام مسالك وللعقول ممالك فمن خلص نفسه من المهالك قوي على المسالك ومن
قوي على المسالك اشرف على الممالك شرفاً يوصله الى المالك قال ابو الخطاب الكاتب ايها الشيخ هذا والله احسن من كل ما سمع
لو زدتنا منه فقال الحواس مضلة والاوهام مزلة والعقل مدلة فمن اهتدى في الاول ونجا في الثاني ادرك في الثالث ومن
ادرك في الثالث فقد افلح ومن ضل في الاول وزل في الثاني خاف في الثالث فهو من الهمج واستراح منه منظومي
الكاتب لبعض الذي ما استعفى وتكلم هذا الحديث قوم ما اعلم منا على بعض لما كافة وما قلناه كاف فيما قصدنا فاستتب
خفت العار واستحليت الغار ولكل افق يد وروى عليهم دركه يطمئنون اليه ويتسقون فيه ونحن يتعطفون
ولولا هذه اللطايف التي هي شعلة النفوس الوافرة والناقصة لكانت الصدور تنفرج بأسا والعقول تتحير يأساً
والارواح تزهق كمداً والاكباد تتفتت سهداً فسبحان من له هذه القدرة وهذه الخليقة وهذه الاسرار في هذه الطريقة



مقابسة أخرى هذه مقابسة وسمنا فيها كلمات نافعة كانت متفرقة في ديوان الحفظ ولم ينسبها الى الشيخ ولا احد



كانت تجري في مجالس مختلفة وهذا موضع يقتضي حصول معانيه لتكون مجاورة لأخواتها وداخلة في جملة ما لاق بها ويقوى
النفس بعد هذا جمع النوادر للفلاسفة مع التصفح والايضاح ان اخر الله مدة لا بد منه واعان على الاظفار بما يجب النفس
يكون شرف الجامعة وعائدة للظافر وغنيمة للطالب لرؤيته تسهيل ما عسر وهو ولي المنة في الاولى والاخرى انه ما قاله
ولكل قائل برهان وما كل تربية تصلح للعقبان وما كل طبيعة محتاجة الى برهان وقال الحق بين بنفسه ومنير بسراجه ومعقوليته
ومعلوم برهانه مستغن ببراهينه ومن سلك سبيله نجح وقال قائل انواع الاختلاف ستة الاضافة والتضاد والقنية
والعدم والايجاب والسلب والمضاف مثل الضعف والنصف والتضاد مثل الصالح والطالح والقنية والعدم مثل البصر
والعمى والموجب والسالب مثل فلان جالس فلان ليس بجالس وقال قائل لكل صانع صناعة ولكل تابع طبيعة ولكل مدبر تدابير
وما كل صانع حكيم وما كل طابع كريم وما كل مدبر مصيب ولكل انسان لسان ولكل لسان سنان وليس لكل لسان سنان ولا لكل بيان
برهان وما كل ذي قلب بلبيب وكل انسان ذو نطق وما كل ذي نطق بلبيب وكل انسان ذو نفس وما كل ذي نفس
اريب وكل انسان ذو حس وما كل ذي حس بلطيف وكل انسان ذو عقل وما كل ذي عقل بعاقل وقال آخر ما تجد هذا
الرباط المعقود والسرج المشدود والافق الممدود والمركز المعهود والمد المجاح وقال آخر التعليم الهندسي صناعة من
الصناعات العقلية والانسية وتقع بحثها على المقادير والابعاد والاشكال والزوايا وما يقع تحت كل مقدار وبعض من الزوايا
الخطية والسطحية والجسمية وقال الهندسة صناعة معرفة المقادير وطلبا بعضها وحدودها وخواصها وما يقع تحتها
من اجزائها واشخاصها والمقادير هي الاشياء ذوات الابعاد وهي ثلاثة طول وعرض وعمق والمقدار الخطي بعد واحد وهو
الطول والمقدار السطحي بعدان وهما الطول والعرض والمقدار الجسمي ثلاثة ابعاد وهي الطول والعرض والعمق والجسم
المقدار التام وقال قائل اذا اغاص الانسان في البحر واستخرج درة فيها غناه فقد حاز سعادته وملك ارادته لانه
ليس من شرط الغناء ان يستخرج جميع ما في قعر البحر من الدر والجوهر فان طالب هذا مغرور بعقله مختل ولكن اذا حصل
له الغنى بدرة واحدة خاصة اذا كانت ثمينة فقد كفى واغنى وهذا معناه على ما سبق الى الفهم اي لا يلهج بالاستكثار بالعلم و
بالتوغل في فنونه وكذلك في السير المختلفة والاحوال المتباينة فان الرشد اذا اصيب والغبطة اذا نيلت والخير اذا وجد فقد
سعد المرء بها من العطب وان فاته وراء ذلك جميع ما هو داخل في باب الخير وموجود في ناحية الزيادة ولعمري ان الاحتياط
حسن وطلب الاقصى شجاعة ولكن الغاية المتوخاة موهومة ولا سبيل الى بلوغها والذي يجب بذل الاستطاعة وقلة الرضى بالقنوع
ومصارعة الزمان بكل حال وما احسن ما عبر بهذا المعنى بعض الموفقين حين قال انا احرص على بلوغ الغاية لبعد المنو
لانه لا اخذ دونها ونشح على ساعات العمر لقصر المدة لانه لا عمل بعدها وهذا كلام عال وينبغي ان يكون الحرص ثابتا من الكد
والاجتهاد بريا من التعب المؤدي الى العطب وقال آخر انما انت لب في قشور فاحفظ لبك بصيانة قشورك ولا تصن قشورك باضاعة
لبك واعلم انك ذو لب واحد وذو قشور كثيرة وتمييزك من قشورك صعب وقيامك بلبك اصعب والامر الاهم يجب ان يتمم
هو ان تأتي قشرا بعد قشر حتى اذا وصلت الى القشر الحافظ للب اشفقت عليه وسترته ليبقى لبك مصونا في قشرك فانه
ان يذل لهذا القشر باب الى التواء وجالب الى الفساد وستنقشر عن ذلك في الثاني على حسب ما يصيبه من اولى بك واقلك
عليك وانفذ حكم فيك و [illegible] الذي نظمك وانت بدد وجمعك وانت مفرق وتغلولك وانت مغيب واوجدك وانت عديم واقلك
وانت عاجز واهملك وانت ساه وانبهك وانت راقد ولاطفك وانت جاف والفك وانت متناف وقادك الى حظك وانت
نافر واتاح لك الخير وانت يائس واعلى يدك على احظك وانت كاره وعلى هذا انظار للخصم وخلقيه لا تستقصي فيه

بقي علينا بعد هذا الجزء اوشي منه وهو **مقالة اخرى** منه مقتبسة اشتقاقها من مواضع مختلفة من كلام الاوائل المترجمة
المنقولة الينا وهي وان كانت محتاجة في بعض حروفها الى تفصيل وشرح فانها فاضلة الفوايد كثيرة الجدوى ولعلها تتعلق ببعض ما يكون
ايضا فانها عند الروية النظار مما قد مرت شاذية بالبيان مستوفاة بالبرهان والقليل من هذا الفن كثير والصغير كبير قال فمن ذلك
قال بعض الاوائل الكرم والنبات المشتبه اذا اخذ منه الجزء ونبت من القضيب الكرمة والتفاحة والرمانة فان هذا منه ما ينبت ومنه
ما لا ينبت الا في اسفله وعلة ذلك لان صورة الكرمة وما اشبهها غالبة على صورتها فلا تنمي ولا تنبت الا في الاصل الذي يجتمع فيه القوى
الطبيعية وهي الجبلة بهذا الاسم وانها منتشرة في الاغصان وقال ايضا النفس في العقل صورة لانه يتمها او احدهما فاذا تمت تلك
الصورة واعطتها النفس تمام ما تهيأت له يكون اول طبقات الانفس وهي النامية وتكون في الحيوانية ولا تكون فيه الا نفسانية
في تمام الشيء القوي المنبعث من الشيء الخالص المحض الذي لا هيولى له ان ينتسب اذ ليس للهيولى بالشيء الذي نعت منه على
حقيقة تقصير لم يزل حقا وهو مشبها لطيفا من الانفس العاقلة منها وغير العاقلة وقال قائل لو كان للعقل ثلاث جهات جهة
الى جهته وجهة الى معقوله وجهة الى ذاته فقيل له ان جهته الى الباري هي التي جعلته عقلا اولا ثم نظره اليه انما هو واستمداده من الصور
التي صورت فيه بدءا لانه وقع فيه جميع الصور فاستمداده ليس بزيادة صور لم يكن وكانت ولكنه ليبقى ويقوى كما يستمد
الهواء من نور الشمس فهو يزداد من غير صورة تحدث فيه كذلك النفس انما تستمد من العقل الصورة هي على حالها وكذلك الطبيعة
تستمد من النفس يقوى بها ولكن اشراقها عليها ابقى قواها ولولا ذلك لضعفت وانتقضت وقال لنا علمان احدهما علم محض
كعلمنا بالاشياء الاوائل بلا روية ولا فكر كما نعلم ان علة كل زوج او فرد فانه لا يمكن ان يكون الشيء الواحد في حالين مختلفين
كالانسان لا يمكن ان يكون قائما قاعدا معا وكعلمنا ان كل متحرك من ذاته دائم الحركة وكقولنا كل دائم الحركة بجوهره دائم الحياة
ولنا علم فكري مثل علم القياس الذي يستنبط منه الشيء من شيء اخر كقولنا الانسان حي والجوهر حي فالانسان اذن جوهر وقال
قائل اذا قويت الهيولى علينا ونحن على وجه الدنيا الذي فيها الاعطب وبحوص وبشم وغموص فاذا استولينا نحن على الهيولى
وجدنا الشيء ما هو من الشيء بالجوهر اذ كنا نحن نعقل العقل الاول وكانت الاشياء فيه وفيها هو فكيف يمكن ان نتذكر
الاشياء والاشياء فيها والتذكر انما يكون في انا لا اوات لانا ننسى في وقت ونتذكر في وقت اخر وهناك الدهر الاول
وقال الفيلسوف الذكر انما هو حركات الفكر على الوهم العارض حتى يرد ما في خزانته على ما كانت الفكرة تحركت به وقال
قائل الفكرة انما تقع على الشيء المفقود والعلم يقع على الشيء الموجود والاشياء في العقل الاول حاضرة ابدا وقال اذا
اردنا ان نحس بانفسنا فان نعلم العلوم الشريفة حرصنا على تعارف انفسنا الهيولانية فيكون كانا نصير في الصنعة وانا
فانا رأينا انا استفدنا منها علوما شريفة وكنا نحن الناظر والمنظور اليه والعالم والمعلوم وقد قيل لارسطو لم لا نذكر العالم
العلوي ونحن هبطنا الى هذا العالم فقال انما صرنا لا نذكر العالم العلوي لانا صرنا في هذا العالم الحسي واختلطنا بالاشياء
الهيولانية وفارقنا ذلك العالم لانا لا نعد وعلى ان نكون هناك وهنا لطخ من الاشياء الهيولانية فصرنا كانا لم نر منها الا سبيل
علينا وصرنا كانا انما بدأنا من هذا العالم لشدة ميلنا اليه والى الاثار التي كانت منه اذ ان هذه الاشياء الهيولانية انما هي
اثارنا وذلك ان كانت النفس هي التي اثرت الاثار الحسية بمعرفة العقل وقد ابها اباها وكنا نحن العقل فلا محالة ان هذه
الاثار انما هي اثارنا واختلطنا بها كانا اذ انا مكونين وكانت الاثار من اثارنا وانما هي اثارنا لا نحن من اثارها وقال انما
لا نذكر ذلك العالم لانا قبل ان نصير في هذا العالم لم نكن اصحاب ذكر وذلك ان الاشياء هناك حاضرة ظاهرة وليس
هناك مستقبل ولا ماض بل كلها حاضرة بحضورها الان عندنا فكذلك لم نكن نحتاج الى الذكر لانا لم نكن من ابناء الزمان

بل الزمان من ابنائنا لا انا لما في حيز الدهر فحيث الدهر فليس هناك تذكر البتة وانما نحتاج الى التذكر في الاشياء الزمانية التي تكون مرة
وقد لا تكون مرة فحيث انا هناك التذكر فاما الوضع الذي ليس المعنى فيه مساغ فليس هناك تذكر وقال ايضا الاشياء التي علمنا
لم نعلمها في وقت من الاوقات فنحتاج الى ان نذكرها بل قد علمناها بنوع الدهر لا بنوع الزمان وقال ايضا انا قبل ان
نتلطخ باوساخ الهيولى ونحن في العالم الاعلى كنا علماء ولم نكن اصحاب ذكر ولم نكن نحتاج الى ان نذكر ما قد علمنا لان الاشياء
قد علمناها حاضرة تحت ايدينا لا يغيب عنا منها شيء ولا يستتر وقال كل اثر لزمنا في هذا العالم الحسي فانه لا يلزمنا في هذا العالم
العقلي مثل النما والحس والوهم والقياس والتذكر وما اشبه هذه القوى وقال الاشياء التي لزمتنا في هذا العالم فانها لا
يلزمنا في ذلك العالم وذلك ان الذي يلزمنا هاهنا النما والحس والروية ونحن هناك لا ننمى ولا نحس ولا نروي فلذلك
لا نقدر على ان نذكر في ذلك العالم لانه واقع تحت العلم لا تحت التذكر وكل شيء هناك انما يعلم ولا يذكر لان الاشياء هناك
حاضرة بحال واحدة ولم يكن وقت لم يكن ثم كانت لان كان ويكون من باب الزمان والزمان اثر من اثار ذلك العالم والاشياء التي في
العالم العقلي ابدية لا تتغير ولا تستحيل من حالها وهي افضل واكرم من الدوام لان الدوام بها كائن دواما ولم تكن هي دائمة
الدوام وليس الدوام غيرها بل هي الدوام وذلك ان الصفة والموصوف هناك شيء واحد قيل فما حاجة النفس الى العقل
الى العلة الاولى قال حاجة المعلول الى العلة فانه ليس من معلول طبيعي ولا صناعي ينقطع عن علته الا فسد وباد كالحي فانه
اذا فارقه روحه مات وفسد وكالنامي اذا فارقه النما باد وفسد وكذلك الصناعات والعبارات والبنا وقال العقل الاول يدرك
الاشياء بغتة والعقل الثاني ايضا يدركها بغتة اذا كان متصلا بالعقل الاول ولا تقوم عنده الاشياء الهيولانية فاذا فارقه احتاج الى ان يتوصل
بالمقاييس فيدرك شيئا بعد شيء وايضا العقل الثاني بالوهم هو الذي عليه الاقدار والمسافات الجسمية وانما كان الوهم
ذلك لانه يقبل اثار الجسم فيجسم الاشياء ويكثر الصورة المجردة واما اذا مال الى العقل الاول انطبع به فاذا ادى اليه الوهم
الاثار التي قبلها من الحس علمها علما عقليا والقى عنها الاقدار والمسافات وذلك انه يعلمها علما صوريا وقال العقل النفساني
له طرفان احدهما طرف الوهم والاخر الى العقل الاول فاما اذا مال الى الوهم كان فكرا وروية لا يلتبس عليه الوهم فيريد ان يتخلص
واما اذا مال الى العقل الاول كان عقلا مجردا بلا روية ولا فكر ولا زمان فالفكر انما هو العقل الوهمي والعقل النفساني المدرك
للوهم ولا فكر ولا يقدر الوهم على ان يتوهم شيئا بلا شكل ولا قدر جرمي وقال الفيلسوف العقل وحده لا يموت اراد به
انه يميزه من قوى النفس النامية والحسية لان الحس والنما يضمحلان لان النفس يستفاد نحوهما من العالم الهيولاني و
اما العقل فلم يستفد من هذا العالم فكذلك يبقى قال فرفوريوس وهو المفسر ان هذا الرجل الفاضل قال في كتاب النفس ان
العقل النفساني اذا اتصل بالعقل الاول الخالص كان عاقلا دائما ولم يكن عاقلا مرة وغير عاقل فاذا فارق البدن كان احرى
ان تلزمه هذه الصفة ولا تفارقه واما الاخر من الحس والنما والتوهم والفكر فانها كلها تبطل مع بطلان الجسم وذلك انها
اثر النفس في الجسم فاذا بطل الجسم وفارقته النفس بطلت هذه واما العقل فليس من قبل الجرم كان ولا من قبل النفس بل
النفس كانت من اجله وصورتها وقال اخر الرسم من حيز الحلو من حيز المر فاما الحريف والمر والعفص والحامض وبينهما اعني
بين الحلو والمر قال ويكاد يكون عدد صور الطعوم مثل عدد صور الالوان هذه سبعة وتلك سبعة الطعم حلاوة و
مرارة وملوحة وحرافة وعفوصة وحموضة وكالالوان بياض وسواد وحمرة وخضرة واسمانجوني وشقرة ولون السماء
واكثر ان تكون الصفرة منفردة فجعلها بين الشقرة والخضرة وقيل ما بان الطعم منبعث من الشكل مثلا وكذلك في الالوان
وليس كذلك في الاشكال لانه لا ضد لها فصار الشكل واحدا منه منبعث كل شيء وهو المدور والالوان كلها ماخوذة منه

اكثرة لو اياه ويميز ما بال الشيء في الايجة افا لم يكن من جنس الغذا فيقال ان الدهن وما اشبهه لا ينقسم الى جنس مما يحتاج الى حلو
والشهو كلها انكون في ذلك الجنس فلا يحلد بر جنسا اخر اليه مثل التفاح فانه لا يحلد به اليه حسن الطعم مع حسن الرايحة
او الشهوة لطعم مما ينقص من الجسم عند الشم وان كان الطعم وحده لا يجاذب حاسة اخرى كان اقوى لم تقل فاما الصلب فانهم
يخلطون قوة الطعم والرايحة يريدون بذلك اجتماع اللذتين فاذا كان ذلك كذلك لم يكن الشامة الذايقة يحلد بها اللذ
وحده ولا الشام وحده وقال الرايحة الطيبة تصحح الاعضاء وكانت الغذا بغيرها وقال زعم بعض الاولين ان الجسد يكون مواتا
وهو بهيئة من الهيئات ومقدار من مقادير المزاج ثم يكون حيوانا اذا تغيرت هيئته ومزاجه وعلى بعض ضرب بالتغير وضرب
مثلا فقال الم تر الى تغير الات الصناعة بعد الاهيئة ساعة تغيرها من الالة وراينا اهياتها اذا فارقتها استحالت الى غير ما
كانت عليه فقد ومد النجارة يخرجه قد وما فاذا قلبت هيئتها الى المنشار بطل النحت بها وحدث النشر بها لان ما في الحديدة
المصنوعة قدوما او منشارا امر يحصل لانه اذا زاد على مزاجها او نقص لم تكن الحديدة بالحال التي تقطع بها فلو ان يبسها اشتد في
النقصت وكذلك لو اسرف لينها لما مضت فيما تحمل عليه من الابدان فالمزاج الذي مزجت به طبيعة الحديدة كانت الحديدة
ماضية فاجتماع قدر المزاج والهيئة تكون الاعمال للعمل وزعم ان الطبايع الاربع لما كانت مقادير معتدلة في بدن الحيوان
المعتبر بهذه الهيئة القابل للحس كان البدن حيا واذا تغير المزاج وانقلبت الهيئة كان مواتا ومنهم من زعم ان البدن
يكون على قدر المزاج وتهيئة من الهيئات لحصل شيء في ذلك البدن عرض تكون حياة ونفسا وضرب مثلا فقال انا لم نر شيئا مفردا من
العالم يعمل بوحدانية فان الزاج بمفرده نجدها فعلا وذلك انا لم نر برد الحجر يحيط ولا حره ولا لونه ولا عرضه ولا طعمه ولا صورته فلما
ازدوجت كان الخيوط لها فعلا قالوا فلم نر شيئا لا نفراده بفعل ورأينا الحيوان مركب من اشياء صغيرة قلنا ان الحياة ثمرة افراد
ازدوجت وهي عرض في البدن لان العرض واقع عليها لانه لا يكون ولا يفسد بل الافساد للموضوع فلما رأينا الحياة تكون
وتبطل بالافساد البدن جعلناها عرضا حادثا في البدن وضربوا امثلا فقالوا انما مثلها في حدوثها بين الابدان كمثل الصوت
الحادث بين اليدين المتصادمين وكاللون الحادث من بين يدين كالسواد الحادث من بين العفص والزاج وكغير ذلك من
الاشياء الالوان والطعوم والاعراض الحادثة من بين الالوان المختلفة ويضاف هذا القول الى ديموقراطيس وهذا ظن زايف
راي مضعوف وقد سبق في صدر هذا الكتاب ما يستبان معه تأويه النفس من البدن واستقلالها بجوهرها وتمامها
بحقيقتها وانها غير محتاجة الى البدن الا اذا الحلت البدن واستعملته وصرفته عن لوازمه واعراضه اللايقة به وانها النفس
ذات النطق والعلم والحكمة والبيان والفكر والاستنباط والعقل والنظر فهي اعلا واشرف من ان يكون لها الوصف
بمعونة البدن وارهاده والاسباب المباشرة بالبدن الظاهرة لمعرفة محصاة وليست تلك من حقيقة النفس بسبب وان كان
مجموع هذا كله يوجد في الانسان وبالانسان ونعوذ بالله من الخبط في القول والعمل وقال اخران البدن يستحيل من
حال الى حال فيكون مرة مواتا ومرة حيوانيا وضرب مثلا فقال لما راينا الاجسام تستحيل عن طبايعها وتستحيل اخلاقها
لم تكن لها كالماء السائل تستحيل جمدا فيبطل سيلانه ويستحدث جمودا وسكونا ويبسا وكالماء يستحيل بخارا صاعدا
بعد ان كان هابطا وكالماء يعقد وكالانهار ويستحيل دهنا ثم يعود الدهن نارا عند قلب اناء واعتدالها بر فلما لم يكن
في طبعه من استحالته الا يستحيلات حملا والمنهم من فعل غيره تضيفا على ابدان الحيوان بالاستحالة والتكمو بين الموت و
الحياة والحركة والسكون فقلنا الحي هو الميت مستحيلا والميت هو الحي مستحيلا وضرب مثلا فقال مثال ذلك العصير العنب
يكون عذبا حلوا ثم يصير مسكرا ثم يستحيل خمرا مرا مسكرا ثم يعود خلا حامضا مخللا والعنبة واحدة لم تبرح الا انها استحالت

تغيرت الفاعليا التغير كلاهما وكذلك البلعث تكون بشرة ثم رطبة ثم تمرة متعدة جملة اقاويلهم في ان النفس ليست بعين وانما من زعم ان
النفس عين فانهم اختلفوا في كيفيتها وموضعها وزمانها وحركتها وسكونها وجميع افعالها فزعم منهم زاعمون انها عين سوى البدن فانها لم
يعلم بمفارقتها البدن وزعم انها في جميع اجزاء البدن النامية وزعم اخرون انها ليست تكون الا في مواضع الحس واحتج اخرون انها
لا تدرك الا بالابصار والسمع وكل اثر للنفس تعلم الاصوات او عرفا او طعما او لونا او لمسا وهذه الاشياء الخمسة لا تقع الا في هذه الاجزاء
الحسية الباقية من البدن وهي العين والانف والاذن واللسان وسائر البدن للمس فلما راينا النفس محتاجة الى هذه الحواس الخمس قضينا
عليها بالجهل اذا كانت مفردة وحدها وقضينا لها بالعلم اذا قارنت البدن وضربوا مثلا فقالوا انما مثل النفس في حاجتها الى ما ذكرنا
كمثل النور الذي لا يرى الا على بدن لا يرى في الهواء الابيض وكالنافخ في المزمار لا يسمع لنفخته صوت الا بالمزمار ولا يسمع للمزمار
صوت الا بالنفخ واما الذين قالوا انها في جميع البدن فانهم قالوا لما راينا النفس اذا فارقت البدن لا ينمو علمنا ان النفس في الاجزاء
النامية لذهاب النمو عند مفارقتها وضربوا مثلا فقالوا مثل ذلك النار التي لا تكون الا حيث تجد غذاءها فاذا فارقها غذاؤها
بطلت فالنار كالبدن والغذاء كالنفس واما الذين قالوا لا تكون الا في الاعضاء الحسية فقالوا لما راينا النفس لا تفارق البدن الا
علمت ولم نرها علمت الا في بعض البدن علمنا انها ليست في جميع البدن وضربوا مثلا فقالوا انما مثل اعضاء الحس للنفس المغناطيس
للحديد الصلب فهو واسطة بين الحديد والحجر وكمثل النجار الذي لا يحتاج الى الة الحس لذلك ومنهم من زعم انها غير ذات موضع
تغتذي من البدن بما يشاكلها وانها جزء من اجزاء البدن يعلم ببعض اجزاء البدن وتفعل باجزاء اخر وزعموا انها تعلم بالحس
والصماخ والخياشيم وما اشبه ذلك مما لا يقال له ظاهر ولا باطن وزعموا انها تفعل بالمعدة والرية والطحال والدماغ والدم و
الوتين والبلغم من الفواعل التي لا حس لها وزعموا انها تحل وتفعل بالكبد والقلب والكليتين والعصب الذي فيه الحس والحركة و
وصفوا بها فزعموا انها هي الروح الحارة الرطبة التي انشاتها الطبيعة من رقيق الدم الكاين في القلب المصطفى من دم الكبد المستحيل
من تصفية الغذاء وزعموا ان هذه الروح تنبعث من القلب في عرق اجوف ذي طرفين حتى تصل الى الدماغ منتشرا في عصب الحس
والحركة واحتجوا بقول اسندوه الى بعض سلفهم وهو افلاطون حيث يقول ان في البدن ثلاثة ينابيع ولكل ينبوع جداول تؤدي
ما حملت الى اقطار البدن فاحد الينابيع الثلاثة الكبد وهو ينبوع الغذاء وجداوله عروق الدم الساقية لجميع الاعضاء والاجزاء
والاخر القلب وهو ينبوع روح الحياة وجداوله العروق الاوردة الضوارب الناشرة لروح الحياة في جميع الاعضاء والاخر
الدماغ وهو ينبوع الحس وجداوله العصب الحساس الشامل لجميع الاعضاء الحسية وقالوا ايضا لما راينا الطبيعة تفكر افعالها و
تفصيلها العلة وراينا العلة غاية الفعال وراينا غاية افعالها استيلا لها روح الحياة لان الحياة افضل افعال الطبيعة التي
اياها ملت واليها صمدت واول فعلة فعلتها من هضمها الغذاء في المعدة واحتجوا على ذلك ان قالوا لما راينا افضل
الافعال واكثرها واقواها للحرارة وراينا فلك في جملة العالم في الجنس المستحيل منه الجنس النامي والجنس الحي فلما قضينا
للحرارة بشرف الفعال وراينا الفعال اشرف افعال الطبيعة شهدنا ان روح الحياة حرة من الحرارة وضربوا مثلا فقالوا انما
مثل النفس في البدن كالشمس في العالم المسخنة بنفسها الفايضة بحيزها على جميع العالم وزعم اخرون انها ذات موضع وتغتذي
بما يشاكلها من غذاء البدن وانها عين سوى البدن تكون في البدن وانها علامة بنفسها متحركة ووصفوها بصفتها فقالوا
النفس نور مفرد لا حر فيه ولا برد ولا طعم ولا عرف ولا صوت وضربوا مثلا فقالوا لما لم تر الابصار بذلك الا الالوان و
الاثار بالنور علمنا ان الابصار عاجزة من العلم بالالوان الا بافادة النور اياها ذلك العلم ولما لم يكن للشيء ان يقبل ما ليس
من جوهره علمنا ان العلم من جوهر النور فلما راينا العلم من جوهر النور علمنا انه معلول واحد والمعلول الواحد يكون من علة

متشابهتين لان الحر لا يكون من النار والثلج فهذا صحيح هذا اعتدنا اعلمنا ان النفس ليست بصفة النور فقضينا على النفس والنور
بالموافقة وانهما من جنس واحد قلنا وراينا الاذان لا تدرك الاصوات الا بالهواء الموصل للاصوات اليها ثم الاسمخة ولم تر الهواء
الموصل ذلك كالا بحقيقته وصفاته للشبهين انه لنور وصفاته قالوا وكذلك راينا الخياشيم لا تدرك الاراييح الا بالهواء ورأينا
اللسان المدرك للطعوم لا يدركها الا بالرطوبة واللين المشبهين لرطوبة الهواء ولين الماء قالوا ثم راينا الحشة تدرك الحر والبرد في الهواء
والماء ورقيق الابدان وان غليظ الابدان مستغلق على ما فيه محسوس لا يظهر منه الا الارق من الابدان فيما نحن نظهر كل ما
الى الحشة لو لم نا رأينا الاشياء الموصلة متفقة على صفة واحدة من الرقة واللين التي في صفة النور قضينا للنور بجميع وجوه ايضا
المحسوس الحواس وجعلناه سبب العلم ومفيدا ومستفيدا فقلنا للنفس لنور فضربوا امثالا قالوا مثلها مثل السراج المنير
عن نفسه المنير عن غيره والمفيد العلم لغيره وكذلك النفس حيث كانت عالمة وافادت العلم قد خرجت ابقاك الله عن المقا
ضروبا من الكلام في النفس مختلفة ومؤتلفة وانت انما اعتنيت بما سبق في الكتاب وبما يتلوه ايضا في الثاني فبحثت عن كل ما لك
ربما صد عن تحقيق المراد والكلام بين زيادة وربما جلبت الفساد وفتحت بابا الى الشك وبين نقصان ربما جلبت الاشكال وسد
طريقا الى الفسيح هذا اذا كان المتكلم عليه من باب الجلي ومن فن الواضح فكيف اذا كان في الغامض المعنى اللطيف المحتجب وهذا
اقتصاد مني وتحفظ واستدل على النزاهة والتيقظ فقل من استرسل وخطب مطنبا واجاب بما اتى به مستقصيا الا دخل عليه
ما يثلمه ويكسره وغلب على خطئه ما يتادى به ويقصر وحين الكلام في الواضح الجلي ان يكون لطيفا يستجمع الى السامع ما يربط مراده وفي
الغامض الخفي ان تكون مكشوفا ليحتوي السامع منه ما يغنيه بحشوه ولا يبرمه لانه انما تقتضى المعاني تارة بسوء التاليف وتارة بالاكثار وتارة
بالتعريض دخلها الخلل ولم يبلغ المحصل لها على ما قد ثبت رايه وساق نظمه وسعيه اليه الى قاعدة وكل خطيب مصقع وكل بليغ
وكل باحث متوغل وكل طالب مترفق اذا كلم في النفس يجب من شانها انهيا ويحصر ويقصر فان المطلوب في هذا الامر صعب
والغاية بعيدة والشوط بطيء والعجز شامل والقاصر مفقود والمتفاضل مرتفع والقوى محدودة والقلم زلال والتردي متوجه
ولذا كان الكلام في النفس على ما اصف مع رواد في لا اتى بتسطيرها في هذا المكان فكيف الكلام في العقل وهو البحر العميق اللجي
الذي هو في ذلك ابيق فكيف الكلام في العلة الاولى وهو الذي كان اليه القصد وعليه وقف العمل ومن اجله يحل غيب هذا الامر واشتمل
بارقة هذه الحال وصبر على اثار الكون والفساد وترقى في سلاليم العرفة والمنظر ويجرع كل كاس هي امر من الصاب والصبر ونقل
الاتصال بالباري ودقة البحث ولطف النظر وبقدر رتبة العقل التذ الكلام عليه وطرب على الخبر عنه وبقدر محاسن النفس عرض العشق
وبذل الصوت وجرى السعي وتولى من كل الف وكيف لا يكون الكلام في هذه المعاني صعبا والبحث شديدا والقوة عاجزة وانت
لو اردت اثار الطبيعة في عرصة الكون والفساد من هذه الرتبة المكثر للابصار بعد استنفاذ قواها المساعدة للانسان بقدر
استيفاء ما فيها لم تستطع ذلك ولم تقدر عليه نعم ولو كان كل من هو في شكل ظهيرا لك ونظيرا معك وكان ابو سليمان انشد اثرا
بعض اصحابه يتشاكى في هذا الوجه قال له يا هذا انفق في الاستقصاء وقد كنت من هذا المطلوب بما يجاد به عليك ويساق ونما
اليك كلا تعسف فالعنف محرمة وعليك بالرفق فانه سحر النفس والشاعر يقول والتذ يقطع جفاء المحالب وقد والله صدقه وقال
المتوان طلب ما لا يتقادر لك لتدبير مثل ما لا ينقاد لم يحسن لك منه شقاوة وملالة وتضييع زمان وامارة بسعي واحتمال خسف
اختراع اسف النفس جاهل الله قوة شريفة الهيئة بهية واصلت ابناء الطبيعة على قدر قوابلهم بجود العقل الذي هو الرتبة
الاولى بقدر ما اسعد الفيض من العلة الاولى ثم مراتب ابناء الطبيعة مختلفة اختلافا لا نهاية له وكل قد نال شيئا فلا ما نال به عرفه
وشكره وما حرم لا يتركه اياه وكرهه ولكن هكذا كان وعلى هذا بان فليكن الرضى واقعا بحسب الموجود ذلك الموجود به عليك

واعلم

واعلم ان الصورة التي هي محيطة من الاول الى الآخر انما يعتريها الطرفين لا بينونة هنالك ولا فصل ولا حيلولة ولا نقص فكيف يكون من هذا النهج شيء عن شيء او سوى شيء او شيء دون شيء وشيء فوق شيء او شيء على شيء او شيء مع شيء او شيء في شيء و انما ثبتت هذه الاسماء بالنظر الثاني للملاحظ مواصلة لآثارها ومواصلة لقوابل آثارها وعلى الحالين كان الاختلاف و الائتلاف والتباين والتواصل والتفرق والتجمع والجيئة والذهاب والوصل والفصل والعظم واللطف والكبير والصغير وجميع ما يجري الى هذا الجانب ويبرز بهذا المثال في بلاد القوابل لا في بلاد الفواعل فيسأل عن هذا بين الجبل بين طرفك او شريب لها رفقك ولطفك فانك تجد المواد التي من شانها ان تنفعل على مراتب الانفعال وتجد الصور التي من شانها ان يفعلها على مراتب الفعل وتعلم ان الاعتبار تارة ينفرد بالصورة وتارة بالمواد وانما تركب منهما وبينهما واستبد بهما و استند اليهما هو في عرض هذا الاعتبار وفي حومة ذلك النظر وان الشك ان قادح والغلط ان سنح فانما هو من اضافة شيء الى غير شكله او تحليته بغير ما هو لايق وقد طال العي والجدل في هذه المواضع فان كان لك سمع فاطرب وتزحزح وخذ وحب واعدل واعقل واسلم واقدم وانعم وارق وابق وان كان بك صمم فاعطف على دائك وسل عن دوائك فليس يحسن بالاخشم ان يفترى على من يشم والسلام

مقابسة اخرى

حضرت القومسي ابا بكر المتفلسف وكتب لنصر الدولة عامين وكان كثير الفضل فقيل له هل يجوز ان يكون اثبات الناس المعاد والمنقلب اصطلاحا منهم ومن اكابرهم وعقلائهم في باب التناسي سالف الزمان ثم الف الناس ذلك وهتفوا بنشره ولهجوا بذكره مع تاكيد الشرايع وتاييد الكتب الناطقة به فقال المعاد اثبت في انفس الناس وارسخ في عقولهم واعلق بلذهانهم من ان يكون اصله راجعا الى التواطؤ والتشاعر ومردود الى الاصطلاح والتنادي وهذا الظن بهرج وزائل مائل وعقل مغرور وقول رذل منخلط فاسد و مزاج ما وقف وهل وقع الاصطلاح على نصر وابطاله وانه لا حقيقة له ولا دليل عليه ولم ترد الكتب بحالته وبقيته ومر الظنون منه ومنع الخلق اعتقاد صحته ولم يرجع فابطاله وترك الايمان به راغب ووارد وبقيته وسبب والناس من جهة الحواس والشهوات وحب العاجلة ونيل اللذة اكثر نظرا واقوى وانفذ عزما واشد انقيادا واسرع ارتكابا واثقل احتقابا وابين سماتا واقوى نزاعا ولكن العقول ذلك ظاهرا ودعت الى اثبات الثواب والعقاب في الثاني دعوة مشهورة متصلة على اختلاف لغات اربابها وتباين اشارات المخبرين بها ولم تكن هذه الدعوة عن قسر وتمويه ولا حيلة ولا مكر بل عن تحقيق وايضاح وبينة وافصاح وكيف يسع عاقل يظن ان الناس على ما هم عليه في دنياهم ونحلهم وعاداتهم ومهارستهم وتظالمهم مع الاستطاعة الحاضرة والتكليف العام ومعرفة الاصلح والافسد والاحسن والاقبح يفنون و يبيدون ويهلكون عن حال باقية بها يحسن المحسن ويثاب الخير فيعرف المعنى هذا مما لا يجوز بجوازه عقل وان قيس ولا يلين لرقيادٍ وان استميل ولا يدنس بروهم وان استكره وانما يتحرك عند هذا الظن من ضاق بحجمه وقل علمه ونبا سماعه وفهمه وفسد حسه ومزاجه وجعل نفسه مصبا لكل ريح ومغيضا لكل سخف وامتاز لكل حافر فالناظر في اثناء الامور الداعي احاديث الزمان الفاحص عن السرائر الطالب لظاهر الاحوال وباطنها فانه بنفسه عن هذا الراي والفساد هذا العقد ويشتمل على ما نطقت به الكتب القديمة وتضمنت الاسفار الصحيحة واتت به الشرايع الصادقة وبنيت عليه الاذهان الحادة وشهدت له الفطرة السليمة ودعت اليه العقول الراجحة وهذا وان تمادت في الجدال الاعمار وغلب على من الاخرة لم يا يأتي به الليل والنهار فاما من لم يغبه في حياطة دينه وهمه في معرفة الغامض الواضح من نفسه وما له وبحث عن المراشد والمصالح في الظاهر والباطن ونظر في السياسة تعرف

والاشية ونحوها بالورد والصبا ليصير ذلك المتولد منها فقد جاء اللفظ بالية هذا الرأي وكأنه مؤذن بهذا الخطر وبجلاله
في الاعلين في حظيرة القدس وحضرة الانس حيث لا عبث ولا ثقل ولا فراغ ولا شغل ولا هجر ولا وصل ولا ذنب ولا عذر

٩٩ مقابسة اخرى سمعت بعض مشايخنا ببغداد وغالب ظني انه نظيف الرومي يقول العالم من حيث هو كائن
فاسد ومن حيث هو فاسد كائن فذلك نظم بلا وبلاء نظم ومتصل منفصل ومنفصل متصل ومعقول موسوم وموسوم
عقل ويقظة رقاد ورقاد يقظة وغناء فقر وفقر غنا وحياة موت وموت حياة قال والدليل على ما قلنا انه لا ينزع الى الحس
ضرورة ويشرف به العقل اضطرارا انظر الى السماء ونظرا شافيا وتأملها تأملا بليغا وجل في افاقها بفكرك ونظرك مليا وتأمل
صورها استقلالا تاما فانك تجد نجومها منتثرة متساقطة كان سلكها قد وهى ونظمها قد انخرط على هذا ادراك الحس و
سابق العيان وشهادة المنظر وظاهر الخبر والاثر ثم انك لا تستثبت بعد امعان النظر وانعام الفحص ومواصلة البحث ان
تجدها متسقة اتساقا ومتفقة اتفاقا وموزونة وزنا ومعدلة تعديلا ومنظومة نظما ومعباة تعبية ومزينة بحلي زينتها وحلاها
بكل حلية حتى يقضي اختيارا واضطرارا انها لو انتهارت او انها زالت من حالتها المعروفة او حالت عن صورتها المالوفة باقل من شعرة
نثرتها وهباة تربة تهافت اصلها وبطل بعضها وكلها واضمحل خفيفها وثقيلها وبار كثيفها ولطيفها واضطرب اولها واخرها واختل
محيطها ومركزها وهذا لان الحس حيث قضى في الاول قضاء بما في الطبيعة من الخلل والنقص والتلون وقد يما قيل
الحس حاكم مدلس وساع مفسد ومتوسط عياب وقاض خصم ودليل سوء ومشاطة مشوهة وموضح لا يبقى ناقد
مدلس وخاطر ملفق وصديق متملق ومعلم مضل ومقوم مزل وناصح مزور ومرشد معرب وجار مخاتل وشريك
سروق ووافد كذاب لا تقنع به ولا مفزع اليه ولا خير فيه ولا معول عليه فاما العقل فانه يقضي بانتظامه ودوامه وسلامته
وصحته وثباته واتصاله والتيامه وذلك لان العقل منيف وقاض عدل وصديق مشفق ووالد حدب وجار محسن
وشريك ناصح وهاد صدوق وصاحب مؤنس وخطيب محقق وزاد مبلغ وملاح منعم ومحادث مطرب وجليس
مفكر وغور شايع وضياء ساطع وقول فصل وركن وثيق وجوهر شريف وطود منيف ونقطة متصلة وذات مقدمة
وخير محض وجود بحت من فايدة على ما اخر وتقريظه ونشر خصايصه وتحصيل فضايله لا الوجود الحق من الموجود
الحق لا الحكم الفصل من الحكيم العدل وانما اومى هذا الشيخ الى المعنى ايماء خفيا اقتصت منه هذا الذي تراه وتفرقة في العلم
ظاهر لنا فهذا ركوا على البذل وتزيد على الانفاق وثمرته حلوة وعوده نامية وسلطانه قوي وعزه اقعس ذروته عالية من

١٠٠ مقابسة اخرى سئل
قبل بما شرف عليه جلالة واستقامت له على عادته ومن تعرى عنه بخست قيمته وبلحت عورته ابا سليمان يوما الطبيب المعروف بغيروز فلان ملأ العين والنفس ما معناه فقال غيروز لا ادري فان شئت ان تتصدق
علينا بفايدة فان زكاة العلم اوجب على ربه من زكاة المال على صاحبه فقال ابو سليمان هذا سهل جدا وما احب ان يقال
فانه يدل منك على عجز قد محاه الله عنك وعلى ملق قد رفع الله منه قدرك فقال غيروز ما احوجني الى ان املك رضاك
باتباع امرك وابلغ ارادتك فيما يشرفني بالطاعة وما اتعاطاه الا للعلم ولا اتملق الا لاهله وليس بعد هذه المراجعة
المحمودة الا اسعافنا في طي المسئلة فقال معنى قولهم فلان ملأ العين والنفس يجمع بين النظر المقبول بالعين اذا
نظر اليه وبين الخبر الممدوح باللسان اذا اشرف عليه وكان هذا كالحجة من الناس بالفرق بين الشخص والنفس فان
احدهما اذا لا يسر الاخر كالانسان بهما واذا اخطاه احدهما كان نقصه من جهته واذا لم يكن من النقص بد ولان يكون
الحق بين ما لعينين اولى اعني ان يكون الانسان ملأ النفس فان لم يكن ملأ العين لانه اذا كان ملأ النفس ملأ العين كان



نوعا كان لطيفا وعيوبه وان كان ملاء العين غير ملاء النفس كان بدنا كثيفا وغلظا ولو كان احله الهيولى من الهيولى الاكثر والاثر قسيم من الصورة وفي بانه استلفاتان الكمال المطلوب وانما قيل في اللغة العربية هذا ملأ اى هذا اهل الملأ ومنه الملأ وقوم الملأ والملأ والملاء والاشتقاق معروف لا يدفعه الا ضعيف فقال غيره زين الله عليك ايها السيد فوالله ما نجد شفاء لداء الجهل الا عندك ولا نظفر بفوت الفضل الا على لسانك ولا نظفر يقينا الا بحسن تعريفك اذا فاتحناك ولا نجمل ظننا بانفسنا الا اذا ابعدنا عن مجلسك ولو كانت هذه الغاية عندنا بعينها متى لنا ان نأتي بها على هذه الطراوة والحسن اقنع الله الارواح برويتك والعقول بهدايتك فقال ابو سليمان سمع الله منك واجاب مثله فيك فما اعلقنى بمودتك وما اوفق مروتك جزاك الله خيرا

١٠١ **مقابسة اخرى** قال ابو القسيم عيسى بن على بن عيسى ليس في الدنيا خصلة يحسن الانسان فيها الى نفسه ويحمد عليها الا العلم وما يدخل معه كالصبر والكظم والتغافل والاغضا فاما الخصال البواقي فان الانسان يحمد بها اذا احسن الى غيره او شكره فهذا لك الاحسان غيره اكرمك الله وابقاك انما يعشى على رواية كلما سمعته من هؤلاء الجلة الا فاضل في عشيقهم وحمد لله تعالى على ما اتاح منهم فلا يقران هذا الفصل ثم يقول ويا قرب هذا من الغاية فانه رجال الحكمة مختلفة ولكل كلمة قائل ولكل قول واع ولكل عمل عامل ولكل عامل راع وهذا الشيخ من قد اعلاه الله كعبه في علم الاوائل ووفر حظه من الحكمة المبثوثة في هذا العالم وفيما قال حث على حسن معرفة فضل الحكمة وفي ضمنه فضل الانبعاث على اكتسابه والاستكثار منه فان الحكمة سكينة الالهية وحلية ملكية وقنية عقلية وقد اطلقها الناموس الحق على الله عز وجل فما ظنك بما يعتبر رب العالمين به وخالق الخلايق اجمعين ثم بسببه بشر خلق من الماء والطين وابرز لعيون الناظرين تبارك الله رب العالمين

١٠٢ **مقابسة اخرى** قال بعض اصحابنا كل شيء اجوزه من اثار النفس فانى اجوزه في اليقظة وكل شيء اجوزه في اليقظة اجوزه في المنام الا التركيبات لان النفس تخترع بها امورا لا تستجيب لموادها الا بها وانما اعنى بما اجوزه الانذارات والاطلاعات وقوة الكهانة وما اشبه ذلك وهذا الذي قاله هذا الشيخ يحتاج الى شرح ولعمري للنفس هذه القوة وهي لها بالحق والواجب ولكن البيان عن كون ذلك على التحقيق بالفعل عزيز ولعل الزمان يتسهل فيمكن التكلف عليه بما يزيله شرحا ووضوحا ان شاء الله عز وجل وعلى ذلك فانى اقول في هذه الحال ما تعين من الحق الذى اياه نقصد وفي طلبه نسعى ونخفد ونرجو ان لا يكون هذا الاعتراض والتبحر مناقضا بعد ذلك للاستعفاء والتلافي وليس ينبغى لنا ان نجترى على العلم متعدا في طلبه فضولا ما لا يفى به ولا يحسن بنا ان نتحلى بما وهبه الله تعالى لنا وفتحه علينا فتوهمت انا مقصرون فيه وكما ان اظهار التشجيع مع اخفاء الجود قبيح فكذلك اظهار التفاخر مع كتمان القدرة قبيح الخير ابدا بين الطرفين والوسط المطلوب كل ذى عقل وعين فاذا لا باس ان يكون ذلك العطف على ما سبق من قول هذا الفيلسوف في هذه المقابسة وهو هذا فيكون هذا اقل افادنا بمبلغ علمنا ووكلنا المستفيد منا في الزيادة منها الى غيرنا ممن قد رفع الله قدره علينا وجعل الحسن الينا اعلم ان الحال التي قد وضحت الفرق بين النوم واليقظة وهي التي يحمل الانسان بقوة احديهما فنشرح لما هو قد سبقه باعيانها وجواهرها واعراضها وامور اهي مشهورة في الات على ما هى عليه من حقايقها وزخارفها وامور اهي على انها في الثاني من اوقاتها وهذا الاجمال والشرح يستفادان من جهتين احديهما هي الهيئة الحاصلة للشخص في السنخ والاصل اللذين يتصلان بالقسمة السماوية والقوى العلوية والاخرى هي الهيئة الحاصلة للشخص في الفرع والتأتى بالروية النفسية والفكرية وهاتان الهيئتان انما تختلفان في النظر الطبيعي وكلاهما لا تتمايزان بالنظر العقلي والاول لا الهي فعلى هذا الاوفق بين اليقظة والنوم ما دام الحكم يصدر من صاحبها عن اطلاع النفس واخذ الآلى والقبض لما ابقى وهذه حال لهاهنا

كثيرة الى القوة والضعف والشدة واللين والصعود والتصويب وبحسب التهيء الانذار وصدق الزجر وتحقق الكهانة
انما ارتفع الحال في هذا الموضع لان النظر كان موصولا بالامور المجردة والمباحث الصافية والحقايق المثمرة للسكون والثقة
فاما ما اتصل بالتركيب فان النفس تفعل قوتها بتبليغ اصنافها وضروبها لا بسبيل الحقيقة شيئا منها من القوة الى الفعل بحسب المواد
وعدم اعيانها لان الطبيعة لا تأتيها ولا تعطف عليها وانما يتعطل الطبيعة منها لان النفس لا تأذن لها في تولي ما لو لا تلقي اليها امثالها ومعها
والنفس ايضا في هذا تتشبه بالعقل فما الرجل منه برحمانيه وما اختلفت عنه لا تجسم ما تطلبه والموصول كان في الغاية والنهاية فالعقل
قايل بالوجود لا بعلة وطوره ولا يجوز طوقه ولا تتطاول الى ما يسوله فقد تبين لان ما تراه من ايضاح ما قاله هذا الشيخ في تجويزه في اثنا
جميع ما يقترن في اليقظة الا التركيب لان التركيب وربما في الطبيعة في قابل وفي اثار النفس ايضا تركيب ولكن الاهي الا ترى ان ما
في السلم والتباغض والتكعيب والتثليث انما هو من فنون التركيب ولكن بنوع خارج من اثار الطبيعة في المواد المنقادة حتى
اذا علوت من هذه الربوة الى اللواحق بالعقل وجدت هناك امورا يضيق عنها وصف اللسان ووصف البيان ولهذا الفصل
خصوصية ليس بعدها سعي ولا دونها رضى جعلنا الله واياك من صفوته بجوده وقدرته

مقابسة اخرى

قلت لعيسى بن زرعة ابي علي وابن عبد الله الطبيب حاضر انا شديد الحرص على معرفة شيء قد طال تخالجه في صدري مع صعوبته
مسالتي منه وحسن ستفهامي له فيه فقال ما هو فقلت اريد ان اعلم ان الاشيا التي نجدها بالحس والعقل كلها تابعة العلل
والعلل للاشياء فقال لي من اين ثارت عليك هذه المسألة فقلت رايت جالينوس في منافع الاعضا يذكر امورا يكشف دقايق
ويثير عجايب وينشر حكما جليلة ولعمري ان ما خطه في ذلك الكتاب وقاله واستنبطه يكاد يكون عن وحي والهام فضلا
عن غير ذلك فمما نزع اليه هذا البحث انه رايته يصف العين ويذكر مكانها من الانسان وانها كالربيئة والطليعة وما وانا فلو
جعلها في موضع آخر ذكر ايضا الاحتياط في العين لكثرة افات هذه اذا صمد ثقيل لو جعلت احدى العينين في نقرة القفا والاخرى
في وسط الجبهة لامكن ان يقال لو جعل احدى العينين من خلف ليكون وقاية وحراسة مما يكون هناك ويحدث ويذكر الضرر الذي يعرض
من تلك الجهة فكانك ايها الحكيم لما وجدت هذه الامور على ما نزلت به وعينت اثرت منها هذه الاعراض من المعاني بفضل عقلك
وقوة بيانك ولطف اشارتك فكان الاشياء تابعة للعلل على هذا والمتبع بمقالتك يقتضي ان العلل تابعة للاشيا ليس الاشياء
تابعة للعلل بدليل ما ضربنا من المثل لانك هكذا وجدتها فعلمت ما وجدتها بينتها ولو وجدتها على غير ما هي عليه لكانت
استنباطك على ما كنت تجدها عليه بفضل فحصك واستقرائك فعلى هذا عللك التي شرحتها وحكمك التي استخرجتها تابعة للامور الموجبة
فقال في جواب ذلك ما احكيه على قصوري عنه وكان ابن عبد الله الطبيب ينصر ما يقوله ويرتضيه ولقد اضطرب على كثير مما
قال لا ازعم في اول الجواب ان المسالة غوصا وانها معروفة عند الاوايل وقد اوسعوا فيها كلاما كثيرا في الكتب معروفة ولكن
اقول في هذا المكان ما يكون مقنعا ان لم يكن كافيا ان الاشياء التي من شانها ان تكون معلولة هي تابعة لا محالة لعللها وان
اختلفت سبلها في انبائها كما اختلفت احوالها في كونها وفسادها والعلة ما دامت علة فانها تقتضي تباخا منا والشيء
ما دام مقتضيا فانه يتبع علته الخاصة به وهي مع ذلك موجودة معا لا على معنى القران ولكن على معنى الوجوب فقد قضى
العقل مرتبة التابع دون مرتبة المتبوع ودرجة المتبوع فوق درجة التابع والعلل بنظرتنا على ضربين علل موضوعة
علل مصنوعة والصناعة متطلبة للموضوع لان الوضع هو بالطبيعة في الاول فاذا صحت هذه العبرة انكشف ان الاشيا
كلها عللها ومعلولاتها على وتيرة واحدة وسنن واحد في الوجود من العقل وان كانت موسومة بالتركيب بالعقل
فالاشياء اذا احتيج علتها ما دامت العلل عللا لها والعلة مستتبعة للاشيا ما دامت تابعة لها فالاتصال بين العلل والمعلول

١٠٣

اتصال

اتصالك بالامر لا انفصال له ولا بينونة فيه وهذه الطبقات مبلغ الوجود وبحسب حدك ونظرك واستخراجك فاما ما عليها العلة
في وجودها وما عليه المعلول في وجوده معلولا فامر لا يتميز الا بالترتيب الذي تكرر القول فيه قال فيرقياليوس قد هجم بنظره في
فصح على علتين احديهما موضوعة لذلك ومطبوعة على ذلك والاخرى يدنيها منها ويضيفها اليها ويشبهها بها فقال اما
البشرى وتصرفا بالقياس الانسي واثارة للحكمة الالهية واستنارة بالحال التوحيدية فالعلة الاولى طباعية والاخرى صناعية
والقياس المشار اليه من الاولى برهاني والقياس المدلول عليه من الاخرى بياني وانما يفزع في وقت بعد وقت الى ما هو دون
البرهان لان خفايا الاشياء واسرارها وخوابيها في اعماقها كثيرة والعقل الهيولاني لا يفي في هذا الجسم الجزئي الا بالاضاءات
ولا ترى الا كذلك فلذلك ما ترى صاحب هذا العقل يطمئن مرة ويقلق مرة لان النفس تومض كالبرق اذا استنار او كالنجم اذا
هوى قال والكلام في هذا الباب اطول مما يظن قد تجلا بعد القدر شيء يمكن ان يكتفي مع التخليص فيه واعادت هذا بحكاية
ابو سليمان فقال لي قد تجد علة في شيء من الاشياء تكون ذاتية فلا ثمرة لها عندك الا ان تعرف انها كذلك فقط وقد تجد علة اخرى
لشيء اخر ولا تكون ذاتية له لان اخرى تزاحمها الا ان العقل يرتع فيها وينبسط في استنباط الحكمة منها والحال الاولى من العقل شبيهة
بما في العقل وكل ما في القوة فليس للعقل منه الا الاينية والكمية والكيفية ثم قال فعلى هذا التاسيس الاشياء تابعة للعلل لانها
معلولاتها والعلل مستتبعة المعلولات لانها علل لها وهذا الشرح العقلي لا بترتيب الحس ولا بتجرد لحظ العقل الا بشركة
من المعلول واذا علوت عن هذه قليلا لم تجد ما ينبغي ان يعطي حد العلة ولا حد المعلول وانما ترسم هذه الاسماء والالقاب
ما دمت تتصفح للامور وتقبس بعضها ببعض وتستعمل اسماءها وتثبت صفاتها ولو خلص النظر من هذا الكدر لم يشهد
الا الواحد والا الاحد والا ما اختير عنه لفظ ولا بيان لم يقوى فاستتر في هذه المضايق بقوى نفسك وتملك عقلك ودع عنك اغماض
وغامض الغامض فان ذلك ينهضك ويكدك

مقابسة اخرى

حضرت ابا سليمان يوما فقيل له اذا كان للاشياء
محرك اول فلم لا يكون لها مسكن اول لان الاشياء تسكن تارة وتتحرك اخرى فقال الاشياء تتحرك كما قلت وتسكن ومعنى تسكن
انها لا تتحرك فمحركها في الحقيقة هو مسكنها لانها اليه تتحرك اذا تحركت وبه تسكن اذا سكنت ولو سكنت بغيره لاحتاجت
في التحريك الى المحرك وفي التسكين الى مسكن غيره ولكانت اما ان تاتلف السكون من جهة المسكن او تاتلف الحركة من جهة
المحرك وكانت تستمر على الحركة والسكون او كان المسكن لا يخليها فتتحرك بالمحرك وكان المحرك لا يدعها فتسكن والوحدة
تحوج الايماء اليها وترددت العبارة على الطف الوجوه عنها في هذا الكتاب تابى هذا الوصف وتمتنع من هذه السمة وذلك
ان المحرك هو المسكن والمسكن هو الاول لا لانقسام الاول المحرك بين الحالين مختلفين ولكن لانقسام الموجودات التي من
شانها الانفعال بالحركة مرة وبالسكون مرة ولو كانت الاشياء تحتاج في كل عرض لها الى من تنسب اليه لبطل التوحيد راسا اعني انها
كانت اذا انضامت تحتاج الى ضام لها واذا تبددت تحتاج الى مبدد لها وعلى هذا لسائر السمات وليس يطرد هذا البحث و
لا يلزم هذا الاعتراض بل المحرك الاول بالتحريك الاول على ما يليق به وهو الذي جمع وفرق وحرك وسكن واعاد وابدى وافنى
كل شيء بما كان محتملا له غير باخس ولا ناقص وهذا الكلام من سر التوحيد فليكن اكبارك له على قدره وبعد رحظك
منه ثم قال وعلى ان الاشياء بنظر اخر تنقسم انقساما اخر وذلك ان منها ما سكونه طبيعة له ومنها ما حركته طبيعة له ومنها ما هو
مهيا للسكون في وقت وللتحريك في وقت فلا يتحرك في وقت السكون ولا يسكن في وقت الحركة فلو ان مجموع هذا الباب
راجع الى واحد متى حرك شيئا ما اليه يتحرك ومتى سكن شيئا به يسكن ومتى لزم شيء نهجا واحدا فلم يلزم لكان الخلل يدخل
والنظام يزول والفساد يقع فان ظن من فكرة نه ولا معقول عنده مع هذا ان الخلل والفساد قد وقعا بما اثبتنا احد من تعين

١٠٤م

الأمور وتصرف الدهور وتلف الأنفس وزوال النعم وتنغص الأمور واعتراض الآفات والعلل فليعلم أن هذا ليس عن
قبيلها كما في وقف ذلك ان كل من اوجب الحركة العلوية بالفعل اوجب الحركة السفلية بالانفعال فبحسب ذلك تمزج هذه الأمور
ويوجد منها اختلاف الشأن ولو كان هذا العالم السفلي ثابتا على صورة واحدة كالعالم العلوي الذي هو على صورة واحدة لكان
لا اختلاف بين العالمين وكان لا يكون احد العالمين اولى بتحريك الآخر من العالم الآخر بتحريكه فحينئذ كان يسقط العلوي و
السفلي فلا يبين الفاعل من المنفعل ولا المؤثر من القابل ولا البسيط من المركب ولا البائد من الدائم ولا الصافي من الكدر ولا
الطري من الدائر وهذا كلام مرذول ليس عليه بهجة لأنه يرفع الواجب بحركة ما تحرك الى واحد وسكون ما سكن بذلك الواحد
لأن هذه الفروع جارية على اصولها وهذه الأواخر تابعة لتلك الأوائل اعني أن لكل هيولى معينة لصورتها الخاصة بها ولكل صورة
هيأة هي لأجلها الخاصة لها فلا تعادي ولا فساد ولا تظالم ولا عناد في هذه العناصر والجواهر ما دامت سالكة نحو غاياتها
سائحة لتوامها الى مآلها فأما من ظن في هذين العالمين غير ما هما عليه فهو في واد الوهم واسير الحسبان او بغلبة من مرة او فساد
من خلط او لعله تقليد من تقلد من قد اضله واعماه واعلام الحكمة بارزة والأساس محكم والقدرة ظاهرة والعجائب منتشرة
والنظر مستخرج والعقل منجد والنفس مائجة والطبيعة منصرفة والأمور موزونة والأسرار مكتومة والشواهد ناطقة و
الأدلة حاضرة والأعلام منصوبة انظر الى الشمس في اشراقها والنار في احراقها والنجوم في تلألؤها والبحور في اعماقها والأرض
في نباتها والجبال في انتصابها والأودية في انسلاكها والى الغرائب في اضعافها وانيابها لتعلم ان الذي هو واحد في الحقيقة هو املك
بها واولى واقدر عليها واعلى منها وما احسن ما قال بعض بلغاء الحكماء انه قال لأمر ما ربطت الجواهر بالأعراض ولأمر ما تحركت الكواكب
والأفلاك ولأمر ما تباينت العقول والأزمان ولأمر ما تصرمت الليالي والأيام ولأمر ما وضع هذا المهاد مركزا لهذه الأوتاد ولأمر
ما لا يعجز المعاني الحركة عن تقدير احد صدق هذا الحكيم الفاضل لأمر ما تجري على سنن لاحب ودليل ما شاهد واما غائب
اما من جهة الحس واما من جهة العقل وقد بان بما اتسق القول فيه من هذه المقابسة ان المتحرك متى سلب الحركة ما حركه بقي ساكنا
فليس يحتاج المتحرك الذي سكن في الثاني الى مسكن غير من سلبه الحركة التي سكن بعدها وليس المحرك مجبرا على التحريك فيحرك
ولا يسكن بل هو واهب الحركة المتحرك ونازعها من الساكن فالمحرك هو بعينه المسكن والمتحرك بعينه هو الساكن ومن كان طاهر النفس
صافي القريحة صائب النظر قصد الصواب ولحظ الحق دون ما التام ها هنا من البيان ولم يحوج نفسه الى شك مؤد الى وحشة
فالحق انس لكل عقل والباطل وحشة لكل نفس

١٠٥ مقابسة اخرى

سمعت ابا سليمان يقول لو لم يكن في النوم من الحكمة
إلا أنه شاهد على المعاد لكونه مع ما فيه من راحة الأعضاء وسكون الجرم واستجلاب القوة اليها بعد العياء والكد ولو
كان النوم صلة مصمتة لا شعور لصاحبها بها من اولها الى آخرها لكانت الوحشة داخلة في الشك قائما والتهمة واقعة ولكنها حال
يتزود الانسان منها امورا غريبة واحوالا عجيبة ويلتقط منها غيبا كثيرا ويستقبل منها عيانا ناظرا فهل هذا الا رمز من اليقين
الأعلى ما سلف القول فيه من ثبات النفس على حال واحد لا تنام والنوم شبيه بالموت فاذن لا تموت لأن الموت شبيه بالنوم
والكلام جميعا قد زكتا عنها وحططنا دونها وتالية هذه المقابسة مدخولة ولكن الشيخ كذا قال والاعتراض عليه مع علو رتبته في الحكمة
وجميل ظننا به في الاجابة والاصابة ليس من حقه علينا ولا مما يجمل في الحال التي تجمعنا اعني انه كان الأولى ان يقول لو لم يكن في النوم
من الحكمة الا انه راحة لأبداننا وجمام لأرواحنا وتخفيف عن أثقال ما علينا في اليقظة بضروب التصرف واصناف الحركات لكفى
ومع ما فيه من الشاهد على المعاد الذي عنه نبحث ونجتهد بين وعليه نكون مضطربين ومن اجله نفث ما في صدورنا مرة وحينئذ
فالحق اكرمك الله هذه الغاية بالسعي اليها والتشمير لها وبذل كل موجود وما هو دونها والاستعانة بكل صاحب قريب

فيها والاستقلال بالروية في تحصيل حقيقتها او نفض الراحة والدعة عند فرصة تلوح من ناحيتها وبالحق هذا وجب الاجتهاد
والاحتشاد. وهذا الفرق وهذا التحفظ والتيقظ وهذا التبادي والتدارس وهذا التنادي والتناصح وهذا التحدق والتراوح
وهذا التثبت والتسامح لان الانسان في هذا العالم وان بلغ المنتهى فاما في نفسه من كل علم كالهندسة والحساب والنجوم والطب
وسائر اجزاء الفلسفة وكذلك ان اشرف على غاية كل علم يتعلق بالاديان والآراء والمقالات والنحل فان آخر مطالبه ان يعلم
مقاده ومصرف منقلبه وكذلك ايضاً اذا بلغ في الدنيا كل حال عليه وكل دولة سنية من المال والثروة واليسار والعزة والامر
والنهي والبائن عن اصناف البرية ونيل كل شهوة ولذة وبلوغ كل ارادة وامنية فان آخر ما يفتح صدره ان يقف على ما يفضي اليه
مصيره تحت عنايته وهكذا فانه فقد صار النظر في هذه الخاصة والخالصة من اشرف ما في قوة الانسان واملأ ما في همته واعظم
فوائده وطلبة هذا المطلوب على جميع الخلائق حاموا حومه وارادوا ارادة ووردوا وردة واشرابوا وسلكوا شواهده ومطلوا
وراموه وخاضوا واسوا ايمه ورابوه حتى يتفقوا على اثبات هذه الغاية لشدة حاجتهم اليها وتوقف حسرتهم عليها هلالهم
اختلافهم في تحقيقها على ما ينبغي لها حتى هتف قوم بما ألقي على السنة الانبياء وهيم قوم بما رأوه من التناسخ في الادوار وادعاه
قوم آخرون بامور تبهرج بها معون والاياب في احصائها تعب فاستخلص اكرمك الله نيتك وعزيمتك في البحث عن هذه
الغاية مع الرفق الذي كلما من لا يبسه وصل به الى ما طلب منه فان الكث تحت هذا السقف على هذا الظهر يسير والتقلب
شيك والحاجة الى الزاد ماسة والعائق مع هذا كله عظيم والتناصر مرفوض ولولا لطف الله الذي به تماسكت السموات
والارض وانتظم كل ما يصل بالحس والعقل لكان اليأس يغلب ويستولي والقنوط يستحكم ويستعلي

١٠٤

مقابسة أخرى

سمعت النوشجاني يقول وقد جرى حديث الصديق وحكي في عرض الحد الذي للفيلسوف وهو الصديق آخر هو انت
ويقال الصديق هو انت الا انه بالشخص غيرك فقال الحد صحيح ولكن المحدود غير موجود فتعجبنا منه فلما رأى ما اعترانا
قال تأيدوا وتثبتوا فليس التسرع بالانكار من اخلاق بغاة الخير وسعاة الحق ان الحد الذي تلتمسه حاكين عن الحكيم صنع منا
ناحية العقل المحدود وغرض في عالم الحس فتناصفنا هنالك بالدلالة عليه لم يكن ان يوجد ها هنا بالاشارة اليه وذلك ان الذي
في العقل تصور كل شيء بصورته التي لا كثرة فيها ولا اختلاف ولا تعاند ولا اتحاد حتى اذا غلبتنا الكثرة وعمر التضاد واقتسمت
الاشياء الى الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض جاء الاختلاف والتعاند اما ظاهرين واما خفيين وقد صح ان الانسان
ذو طبيعة ومزاج وشكل واغراض متفاوتة كثيرة فاذا ما صادف آخر وهو ايضاً ذو طبيعة اخرى وخواص اخر اما زايدة
على الصاحبه واما ناقصة عنه عرض حينئذ التفاوت والاختلاف بالواجب لا محالة فمتى يكون هذا الانسان على ما وصفنا
هذا الانسان والحال العلى ما وقفت عليه وبانت لك حقيقته وايهما ينبغي ان يتبع صاحبه ويأخذ عنه ويقتدي به ويأخذ بأ
وينطق بلسانه ويهم بقلبه وينصرف على ارادته وكلاهما على رتبة واحدة في الحد الذي وصفت في الصديق فان اوجبت على
احدهما طاعة الآخر والاقتداء به فهذا خلاف الصداقة التي تقدم حالها لان هذه الحال بالعالم والمتعلم اشبه بالتابع والمتبوع
اشكل قلت لم فعل هذا اما فائدة هذا الحد ولم قال الفيلسوف شيئاً لا حقيقة لمدلوله ولا يوجد في الشاهد اصلا فقال قد قصد
بهذا الحد المبالغة في الحس على توخي الصديق لصديقه حالا لا يكاد يفصل بينهما في ارادة وايثار وقصد ومحبة وكراهية وعز رضاه
فان هذا الحد اذا لحظ افقه العلى سلك اليه بالهمة الشريفة والعزيمة التامة والجد البليغ والاجتهاد المستخرج للوسع فيما تقف
ذلك داعية الى الغاية التي كلما قرب منها كانت الحال اعني الصداقة الى الحقيقة اقرب وعليها اشمل وبشرائطها اجمع وكما يجتمع
هذه الصفات ابعد ثم قال وكيف يصح هذا الحد في الشاهد والحس والانسان اذا كان وحده لا يلائم نفسه ولا يوافق بدًا رأيه

ولعله يتموج ويكفي في كل يوم بل في كل ساعة مرارا كثيرة مثل ابي براقش كل لون لونه تخييل وتحيل لما يعال الانسان وان كان واحدا
بوجه فانه كثير بوجه اخر فالكثرة التي حالت بينه وبين صديقه فرقتهم وهو احوال مختلفة التفرقة الذي فيه والكثرة التي تكون بها
كنت تجد انسانا الاحوال جيئة واحدة وشكل واحد اعني انك كنت تجده ابدا طلق الوجه متبسم الثغر سهل الخلائق ما في الخلق
جوادا بالمال سهل المأتى قريب المأخذ طرّاحا للخلاف واما على خلاف ذلك كلح عابس الوجه منغلق الثغر شرس الخلق ملوما للبشر
بخيلا بالمال عسر المرام بعيد المنال مولعا بالخلاف او فيما بين هذه الاضداد بالزيادة والنقصان والانحراف والاعتدال فلما
وجدته على احوال مختلفة واشكال مفترقة واخلاف لا تتلائم ولا تتلاحم علمت انه انما اصادف من هذا بعينه وطينته وعلى هذا دليله
والبحث فيه ونحو عمرو وغيره [illegible] وطلوعه كان المعنى الذي نباك عليه الحد عنهما ابعد وهما عنه انفر واشرد وانما ذلك الحد لصحته
عن قضايا العقول وحجة الحق حيث لا تزاحم الاشياء الا المشاكلة ولا بالمماثلة فلذلك ما كان مطلوبا في السمع مقبولا كريها عند العمل
وهكذا حكم ما يوضح بالعقل ويحد ببراهينه الا انه لا يحصل ذلك الا بالمباشرة الحسية والكلف البشرية والعادة الانسية ولكن
والصبر والاجتهاد والاعتياد والرياضة والدربة والتسبب والتعود مطايا مبلغة او مقدمات واسباب محققة او مقومة ولو
لا هذه الفضائل التي تسلك اليها هذه السبيل لما وجد احد في صدره برد اليقين ولا طمأنينة الحق ولا ظفر بسرور النفس ولا
عرف روح العقل ولا احس لسكون الطباع ولا يطمع في اصابة المطلوب ولكان الياس اغلب من الرجا والقنوط اوسع من
الامل والعدم انسى من الوجد وليس الامر كذلك بل النعم سابغة والدواعي محركة والاستطاعة حاضرة والعناية معرضة
والرجاء مطمع والمراد مزمع والداعي عال والنجاء متوال والله موفق وليس يبقى حاطك الله الا السفولة والكسل وحب الهوينا
والضجر ومتى تدرج في نفي هذه الرذائل المكروهة والارادات الذميمة بالزهد في الدنيا ورفض الشهوات ومخالطة
اقران الخير ومجانبة خلطاء السوء عاد البعيد قريبا والعسير منقادا والممتنع مستجيبا والعاصي طائعا قيل له ان الحد قد
حوى هذا كله الا قيل هو انت الا انه غيرك بالشخص فبالموافقة تكون احد الصديقين الاخر وبالمخالفة يكون الشخص الاخر
فقال ليس بجائز ان تكون في الحد تناقص ومتى استجيز هذا جاء الفساد الذي لا يخفى على احد ان كان المراد بانه بالشخص غيرك
كأنه يوجد سواك وتوجد سواه فهذا الامر بيّن فيه ولا شبهة على احد منه والعدد وايضا كذلك وان كان المراد به يوافقك في جميع
محل صوابك وارادتك فقد قلنا ان هذا الوصف بعيد خطر ذلك التعاند الذي سلف استبعادا فيه واستكثارا من جهة الطباع
والطينة والعادة والمواد والهوى والشكل فاذًا الحد يصح ملحوظا بشرح العقل في المدى النقي
البعيد المشرق المونق الخالص المنير البحت لا انا قصدناه وجدانه في ساحة الحس الكدر بالظلام السيال المتموج المضمحل المستحيل ولهذا المعنى
كان الوصف بالزائد على الموصوف والقول فاضلا عن القول عليه فاما هذه الامور وتفصيل الاحوال فكأنها في جميع ما ينقلب فيه ويتغير
عليه قيل له قد حصلنا جميع ما قلته ووجدنا في انفسنا زيادة كثيرة لمعرفته افدناه الان الفرق بين الصداقة والالفة فقد يالف الانسان
ثوبا وزيّا وطعاما وبلدا ومذهبا ومكانا ولا يصادق شيئا منها والصداقة اذا اخذتها من جانب الاشتقاق لفظها كانت
من الصدق والصدق ميزان النفس وصورة العقل وكمال الجملة وزينة التفضيل واذا الف انسان انسانا فقد اجراه مجرى جميع
ما سميناه واذا صادقه فقد رفع شأنه واعلى محله ومن هذه وادرجه الرحم لا يصدق اذا لاطفت ولا ينصف اذا عومل قيل له
هذا تم هذه المقابسة التي حركت منا سواكن واثارت علينا كوامن فقال اعلموا ان الكرم من الخير والحكمة مجلس الفوائد فرصة
ليس كل وقت يوافق نشاط السائل في سؤاله رغبة المسؤول في اجابته ولا في كل حال يمكن للانسان ان يتفق ما يقول ويقوم ما يعمل
يحقق ما يروى وقبل وبعد واني احدثكم عن الصداقة شيئا حسنا قرأت في اخبار الملك الحكيم الاسكندر انه كتب الى معلمه ارسطوطاليس

بعون



يصف له ما يرى فى مسيره الى الهند من الامور العجيبة والاحوال الهائلة فكان فيما اكتب اليه الحكيم انا اتينا الى الخليج من البحر ومنه الى مدينة عظيمة من مدائن الهند ورايت فى الجزيرة من ذلك الخليج شيئا ناشرا كبارا فى هيئة الجزيرة ثم صديقى فيلون وتلك الجزيرة اعجبنا انها ان كان هنالك مكروه يقع فى ... وبلغ فانا هذا هلك فيلون وجنبا الاسكندر وعطفنا وان فقد كالاسكندر لا فقد لم يكن على وجه الارض خلف لمثل فيلون وعلتى من خلاقى وخلصانى فاذا ذلك الذى رايته فى البحر دابة عظيمة من دواب فلما دنا اصحابى منها غاصت فى البحر فاضطرب الماء وغشى الموج سفاين اصحابى فاغرقها فلما شاهدت ذلك اشتد جزعى على صديقى فيلون ومنعنى همى من خلاقى وانقصر عن ذلك بقلب مصدوع وطرف مولع بالدموع فسئل عند هذه الحكاية عن مسائل من شكل الصديق وحقايق فاجاب عنها بغير تكلف ولا تعسف بعد تفكر طويل واستعفاء قليل واخرى وقال كل مسئلة من هذه تستوعب فكر النفس وتستغرق بال الانسان وتاخذ برسف اقطار العالم وتضل فى قفار البحث وما احسن ان تستحيل الى بكل ما ينجع منى فى شانى قصير وورد فى ... وحظى نزر قيل له على ذلك اخبرنا ما العشق فقال تشوق الى حال ما محركة دالة على صبوة فى شكل الى شكله قيل له فما الحيرة قال هى من احوال العشق لا انها محاولة الحال الى الاتصال اقصابرفع التمييز رفعا ويقطع التخيير قطعا وتحدث الكلف وتورث التلف قيل فما الكلف قال كالامر اللاحق بالشى قيل له فما الشغف قال قريب من الكلف وهو اشد ارتفاعا فى ملازمته من الاول على انا ان انصفنا المنقل فى هذه الاسماء اشياء لا حدودها وغاياتها لم تنته الينا صحيحة تامة غير مخرومة ولا مثلومة وانما نصفها الحتها اشتاتا بها وبعض علاقتها الاطلاعا على جميع مضامينها وعلى جميع ما خلفها وخفا اخواتها فلتكن الحال معروفة عندك للعيب والعليب اذا اعثر على ذلة ولا يعرى منها احد من البشر وان الطف مقدو وقت حاشية كلامه وتحودى سماع لفظه يسمع كلام من تبين فى بديع خطابته ولا غضاضة على من اذا اقتصر قصر من جهة يشاركه بنو جنسه قيل له انما الصداقة لغة وهى اثر هذه المقايسة فقال صحة الظاهر بالموافقة وسلامة الباطن من المخالفة واستقرارها على حد المواصلة بالمناصفة والمساعفة والايثار مع الاهتمام بكل دقيقة وجليلة والاحتياط فى كل ما هو من اسباب القوى والزلفة واطراح كل ما اشار الى المؤونة والكلفة وقيل ان رايته زدت فى المحبة كلاما فقال المحبة حركة متقلقلة من النفس نحو المحبوب لانها تقلق والروح وتضعف البدن لانها تنقل القوى كلها الى المحبوب بالتحلى بحيثه والتمنى بقدم بالكمال الذى يشهد فيه فالشوق يتوفر عليه والشوق شاغل عن كل ما عدا المشتاق اليه وهو قوة تسافر من هذا الوجه زادها الاطراق والتفكر والوجوم والتسهر والتتبع والتحير قيل فما المعرفة قال ان كانت ضرورية فهى نتيجة الفطرة وان كانت استدلالية فهى ثمرة الفطنة ولا بد فيها من البحث الطويل والعريض والسماع الواسع الكبير لان النفس لناطقة لا تعطيك مكنون ما فيها الا بتصفيك كل ما هو دونها من اجلها قيل فما العلم قال قال بعض الاوائل هو الراى الواقع على كنه حقايق الاشياء وفوعا تاما لا ينتقل عنه قيل له قد استفدنا فيما يحكى وانما نرغب اليك فيما حاكم فضلك واستنبطه فكرك وجاد به عقلك وانتهى اليه وصلك فقال العلم وجدان النفس مطلوبها وانا اعترضت الريب على الانسان فى امره وذلك انها اذا وجدت مطلوبها توجلت به والتذت فيه بها وهذه صورة عندنا وشك الانسان بعد ذلك بالراى الضعيف والظن السخيف من ناحية الطبيعة والعادة والا انه وما جرى مجراها لا يحيف محصولها ولا يسلبها ما صار بالواجب لها قال والعلم انفعال ما ولكن باستكمال يودى الى النفس سرورها وحبورها اللذان هما خاصتان لها والمعرفة تنفذ فى الاشباح الماثلة الاحساس القابلة والعلم ينفذ فى الارواح القابلة للعقول وقد يتعادلان عند العامة كثير لدقة الفرق وغموض الفصل وذلك ان العامة تطلق كلا منهما تحريفا وتحويفا فنزل عن كنه الحقايق لا انها حضيض الامور بما تراه العين وتسمعه الاذان ومن وراء البصر والسموع ومعادن الحكمة الالهية ومجارى الملكوتية ومصادر نفس الانفس الزكية ومواردها لتابعة الارواح الطينية ومعارج رواة العقول الصافية قيل فما التوحيد قال

اعتراف النفس بالواحد لوجدانها اياه واحداً من حيث هو واحد لا من حيث قيل انه واحد وهذا هو الحد بين توحيد الجمهور
بالتقليد وبين توحيد الخاصة بالتحقيق فاما اعتراف اللسان فهو ثابت عن اعتراف النفس اذا كانت هذه النيابة على حد الكمال
لم يكن تلقيناً من عامة الناس ثم قال وليس معنى قولنا وحد فلان انه قال هو واحد فهذا مفهوم العامة لا معقول الخاصة بل معنى
وحد انه عرفه واحداً وعلم واحداً واثبت واحداً ووجد واحداً لا انه نفى عنه الثاني والثالث فصاعداً وكيف ذلك ولا ثاني له فينفى
ولكن لانه واحد وحد بل هو هو هذا وواحد لا على سبيل تنسيق عادة اصحاب اللفظ ولا على تعقيب يقتضيه الف الكثرة الخلق بل
على الخلفات لا شوب فيها وتجريد ذاتية لا نعت لها واشارة الى الهوية لا عبارة عنها ثم قال وهذا موضع يرتفع عنه العقل الانسي ويسفل
عنه الانسان العنصري وذلك لان العقل يجد العلة الاولى وجداناً على تهمة واشرف نعت وابلغ قول فيه شوائب الروية لانها
عليه فانه لا الفيض ومقتبساً من نائره وعالياً في جوده ومتشبهاً بحقيقته ومناسباً بغيره يتجلى به من كان بهذا قاله ومن كان به كاملاً على
دونه وعن وفا ما سواه فلذلك يظن الانسان اذا سما عقله الى هذه الآفاق العلية ونحا نحو هذه الغايات البعيدة انه خوطب
وانه وهذا عارض على بربوة العين وناظر الحدقة في حيث هذه الحدائق المونقة والظلال الرحبة والثمرات الحلوة و
النعمة الدائمة والسعادة الحاصلة والامنية الشاملة قيل ينزل قليلاً عن هذه الربوة فانها قال خلقنا عن درجاتنا ومقاماتنا الى ما
حيث المعرفة هذه الذات فانى والتوغل في هذه الاعماق ما الفتوة قال طهارة الحالة والطرائق في كل حال مباشرة لانها متى فقدت
جاءت الحلوة والرثاثة ومن ذلك سمي الفتى فتى والفتى فتياً لان الكرم والجود والعفة والنجدة وكبر النفس وعلو الهمة و
سائر خصال الفضل والخير غضة في كل زمان طرية في كل مكان كان الظاهر بها والمظهر لها والمؤثر لاحكامها والمجاهد لرسومها فتى و
صاحب فتوة قيل له فما المروءة فانها تتبع الفتوة فقال هي القيام بخواص ما للانسان يكون عليه محموداً او بما يحمد وهي على المروءة
اعمق بباطن الانسان واما الفتوة فهي اشد ظهوراً من الانسان فكان الاولى اخص والثانية اعم اي لا فتوة لمن لا مروءة له وقد يكون
ذو مروءة ولا فتوة له فاما اذا اجتمعا فقد اخذ الحبل بطرفيه وملك الامر بحذافيره قيل لابي الحسن بن وهب قال الغزال الصلاة اقتران
غرابه لا افتراضاً وجبر هذا القول فقال صدق هذه نفثة فاضل فالحسن كمال الصلاة لانها مؤثرة بالعقل ومجراة على الاحكام مر محمود
على رسومهم فاما العلاقة فهي من قبيل الحس والطبيعة عليها اغلب وآثارها فيها ابين وفي الجملة ينبغي ان يعلم ان ذا الطبيعة
مشاكل لذي الطبيعة وكذلك ذو النفس مشاكل لذي النفس وكذلك ذو العقل مشاكل لذي العقل وهذه التفرقة لم تقع في جهة
الطبيعة الاولى لانها واحدة سارية في الجميع ولكنها وقعت من جهة المواد والقوابل بالزائد والناقص وهكذا الحال في النفس
والعقل لانهما ابداً وبحالهما اسمى واسنى وذلك ان الطبيعة انما تعطي الشيء اليسير مما تجده وتحصل من ناحية النفس العقل و
الطبيعة نفس في الاصل والنفس عقل في الاول والعقل هو المبدأ وكل هذا واحد اذا لحظت القوة القائمة والجود المنبجس من الواحد
كل اذا لحظت الجود المحض ومتى حصل شيء من شوائبه ومنعنا البحث من مواتبه وارتفع الحاجز الذي قصد وانتفى العارض
الذي تعرض وجدت حقيقة هذه الحال من غير خور ولا اختلاف فالهوى من موطن الطبيعة والحب من علائق النفس
والعشق من محاسن العقل وكل واحد من هؤلاء الذين سميناه هو صاحبه في موضعه وحكمه بحكمه في مكانه ومتى اخبص
الفاضل الحكيم بهذه الاوائل وساق اليها هذه النواحي وقام من الادنى الى الاشرف وانتسب الى الاقوى دون الاضعف وهي
كالطرق المذللة والسلاليم الموصلة بجلالة نفسه وينسب بغيره حتى اذا نيل الفوز وعاين الغاية التي هي الغرض الاول والمراد الاقصى
ادرج ما علا ذلك كله ادراجاً وطوى ما سواه طياً وهذه كالرموز لا تاويل لها الا رياضة للانسان طبيعته حتى لا يتم الا بما ينبغي و
لا ياتي الا ما يجب ولا يقول الا ما يحق حسنة لا يتطاول الا الى ما يحيط عنه ولا يتشرف ما يزعم مهر ولن يتم له ذلك الا واخر الا بمواصلة



العقل وصحبته والعمل برسمه والتسرع الى قبول نصحه والعقل وان لم يكن باسره عنده ثم صعدته ويترع بشرفه الى اصله ويفيء له
بانوار السيرة الفاضلة والاخلاق الحميدة ويلقى هوائج الطبيعة ويحسم مواد العادة الردية ويحث على استعمال ما لا يستغنى عنه
في العاقبة ويمنع العاجل الذي هو مؤثر على الاحوال الراسخة والطارية ولن يتم هذا كله الا بما كان الانسان دون ان يكون معنيا
بالاصل معرضا بالفرع ثم قال ولا تمت فيك الا ما احياه الله لك ولا تربح على نفسك ما كفر الله عنك وخذ بادب اهل الحكمة
نفسك واغذ بها روحك واستر عليها عادتك واجعل الخير كل ارادتك ولا تكترث بسيلان طينتك وذوي عودك وتعاند
اخلاطك وتزايل اوصالك وارتداد نفسك ومفارقة الفك واستحالة عنصرك وفساد مزاجك ودوام اختلاجك وتعلم
تدبيرك وعاجلك فانك باق بحقيقتك دائم بجوهرك موجود بذاتك واصل بانيتك كامل في جملتك سعيد في تفصيلك عجيب
في سرك ظريف في خبرك بديع في شانك مثل الدهر وعنوان الغيب ومحبوب الشاهد وتمام العين ونظام السلك ومنال الطالب
ومغنى كل واجد ومانع كل وحشة ومحصور كل انسة ورقيب كل حاضر ونجي كل غائب هذا بعض حديثك وجزء من شانك وبعض
ما ياتي بحديثك ويتناجى واذنك ويسري في فؤادك ويد غلغل ويحجب عنك ويرقك ويسيغ فيك طرفك ويريك بك ويحول
عليك ويعرضك فيك ويكشفك لك ويعرفك اياك ويحدثك بك ويدنيك منك ويقربك اليك ويحضرك بين يديك ويعهدك و
يعشقك ويجودك ويزودك ويريحك بروحك ويحييك ويحيط بك ويحتاط لك فيا لها عطية ويا لها سعادة لو كان للمتمنى
فطنة بها ومهدية تعدد بك توفيق انما البشر اما سر لك في الثاني يحسن حصلت في الاول من البشر انما يسرك ان تصفو من هذا
الكدر ويلقى في هذا القشر والقذر وتصير في زمرة الملأ الاعلى حيث لا بلاء ولا ذنب ولا شوب ولا غير حيث لا يصل اليك البلاء
ولا يتسلط عليك الاحزان حيث تبلد وعينك في بحار شارب في معدن الامن والقرار بعد استيفاء مدة هذه الليل والنهار وحيث لا
ينطق بلسان بالدعي ولا حصر ولا يتم بنفس يعتريها طيش وضجر ولا تسمع باذن يلجها اذى ولا ينظر بعين يغشاها قذى
حيث يستهلك الالهية البشرية وتستغرق الربوبية العبودية حيث لا ينفعل لحادث ولا يحل بما مر ولا يتقلب بهواه ولا يحتج بما
ولا يجل برايه ولا تقتدل باخلاط ويا لها حيث لا سلطان للطبيعة عليك ولا يبريان لهواها فيك ولا تخطيط من رسوقها
واشكالها عندك حيث لا تظن فتخطى ولا تتمنى فتحسر ولا تامل فتخاف ولا تجرك فتسكن ولا تسكن فتحرك حال ثابتة باينة
عما يعتاد من هذا البلد الذي انت فيه غريب وال ووطنك مشتاق ان سميتها سكونا فذلك سكون بعقد وطمانية وامن وسكينة
وان سميتها حركة فهي حركة تشويق وتشبه واستمداد واستلذاذ لا كارادتك التي الفتها وعادتك التي عرفتها وحالاتك التي
سلفتها فلا يسحرنك الاسماء والكنى هذه الاشكال ولا يسهونك هذا الترتيب الذي لا تلحظ وترى فوق حستك نفسك
وبه نفسك عقل وفي اثناء العقل انت بما انت انت لا بما به انت وغيرك ولا بما انت به غيرك وانت ولكن بما انت به كنت
انت واذا احلت هذا العالم لم تكن هناك لان الكون يعقبه فساد ولا فساد هناك فاذن لا كون ولا فساد ومن الكون والفساد
دفعوك ومن الشيء وضاء ملوك ويا لتيه الذي لا اسم له عندنا لحقوك باهل لا انت خلاصة ذلك العالم في هذا العالم ولكنه لا
من الغربة بها محجوب ونالك عنا وكد ودرب ومسك كلال ونصب ولغوب ما انكرت نفسك وانكرك الناظر اليك الا
ثبت فيك ما يميزك ولهج بك من كذبك وغشك وصحبك من استعزك وغرك وملكك ما عافك وصدك فلما ضللت
الطريق وزمنت مكانك وعكفت على ما يعللك فالفت ذلك المالف الوضيع فلما اراد احتطامك ظللت تجزع وتفزع و
تستغيث وتستصرخ وانت الجاني على نفسك فمن يصرخك واشلو بوبه لنفسك فمن ينقذك هيهات لا رحمة للطبيعة
اليك ولا عطفة للحس عليك ولا اثر عند العقل منك ولا نسبة لما حل عن هذه كلها فيك شقيت قبلك ولو سعدت بغيته

حتى تعلم مصابك انه اصغر منه بعد فيرلتن ولا بالى السؤال فعلى نفسك فانك لابد تقوح فلما عرنا هذا الشيخ بهذا الفن ولوحنا
فى هذا الوادى سكتة ساكتة وجب علينا حسن الادب التفرق عنه فامرت ايامه حتى تطاول ذلك المجلس ضمنا امثال ذلك الا انه فقال
الرجل اصابنا والثنا بالخير الذى هو دل ان امتنت المتفرق تمام الذى من تلك الجهة العلية فانا اصل وانها وبار ج ومن وهبه الله لها
وهب لك خليقة الجود وعلى المستحق ومن عرفه الله ما عرفك حرى بالتلطف فى المسئلة وانت بحر الله فى الخلق تعلق بالجواهر وشجرة
العقل فى العالم تخرج ضروب الثمر فى كل حين وابان فلان ذلك مكنونا بالمعرفة مؤيدا بالنصرة جوادا بالعطية ربما بالرفد مصيبا الا المطلوب
جاليا بالعيون بما ثمها بالالسنة مصحوبا بالتوفيق مذكورا بالثناء والغايات متنافسا عليه بالطارح والتالد فقال لولا ان اعلم ان
اشفق المعتبر لكم بهذه الكلمة الغرر هذه الفقرة الفقرة التى توفى حسنا على الدر لا ثبت عليكم ووردت انفاسكم اليكم شفقة بل بروا اكم من هاد
لله بقين وبيانه لا ان منكم من حضر المارقين فى قولى الان فيما اجبتم فما يخل بالحق على اهله لا شقوة لا ينفس بالصواب على طالبه الا احد
ورئى فقيل له فما العقل فقال العقل خليفة السلة الاولى عندك بنا بحك عنه وينا عنك به ويبلغ اليك منه ويدلك على قضائه والسكون تحت
حكمه ويدعوك الى مواصلته والتوحيد به والاعتزاز اليه والاعتراز به وهذا كله يتضح لا غش فيه ورفق لا عنف معه وبيان لا يخلط تحليل
ويقين لا يطيف به تخلج قيل له فقد قيل ان العقل ما خوذ من العقال فقال هذا كلام خلف ومعناه دنى ودعوى هى اقرارها لا شتقاق
من الكلمة على جهة واحدة فى المطلوب التنازع لانه ما خوذ من تركيب الحروف وتاليف اللفظ وهو فى المسموع اثر انما انطقنا بلغة اخرى
بالرومية والهندية بمعنى العقل لكان يزيل به معنى العقال لا والله بل هذا المعنى موجود ايضا فى صفاته ومذكور ايضا فى عرض ما يبعث
من لان العقل يعقل اى يمنع ويحبس وهو ايضا ينتج ويطلق ويسرح ويفرج ولكن فى حال دون حال وامر دون امر ومكان دون مكان
وزمان دون زمان بل العقل اذا دنوت اليه وصوف فى بقاع القلاسب ومعنى لا لم يبعث الا بصورة احدية ابدية سرمدية مشاكهة للمبادى الاخر
مشاكلة بما تما به هو فكل من نال من هذه الصورة وهذا الجوهر وهذا العين نصيبا وحصة من احسن الاعتدال والمخرف وطبيعة الوالدة
الاثير وطينة الملائية والياء بدو فوته الفاعلة والمنفعلة ونفسه الصحيحة والباعد واحال الحسنة والسيئة وعادة الكريمة والليثة كان
ذلك سلية سعادته وشقاوته وبهما الى الصيرقائه ويناتهم وبالرتها منقص وطريقا الى متقلاه وشده وقدمه ولا اطلقه بعض
مفهوم الى بعض وتجوه الانثالم من مفرقة وخصوصا صفا الزمن تجوهر ومركبا عاما الى بسيطه وبه اصار الى نظامه وتقويمه فقد زال ما
وبا غيا تخلص من نفسه انه منتم سلما الهو محبو بًا واصل الحبيب ومقيدا اطلق من قيده ومنفيا اعترف بنسبه وذليلا البس
ثوب عزه ومنالا اهلى الى روحه ونعيمه ثم قال والكلام فى العقل والعاقل والمعقول واسع ولسنا نقدر على اكثر من هذا
الابهام فى هذا الوقت مع تقسيم البال وانفساح الوقت قيل له فما الروح قال قوة منبثة فى الجسم بها قوامه فى الحس والحركة
والسكون والطمانينة ومبداها من ائتلاف الاستقصات ومادتها فى جميع ملايمها وموافقها من ضروب الاغذية النبات
وغير النبات وهى ابعض الاصل حواصل المركبات وقد ظنت العامة وكثير من اشباه الخاصة ان النفس هى الروح وانه لا فرق بينهما
الا فى اللفظ والتسمية وهذا ظن مردود لان النفس جوهر قائم بنفسه لا حاجة بها الى ما تقوم به وما هكذا الروح فانها
محتاجة الى مواد البدن والاته وبها يوجد ويعيش وبها يبطل ببطلان البدن ولو اردنا استقصاء الفرق بين هذين لاحتجنا
الى الحد بين المعروفين مع الشرح الطويل وهذا القدر كاف فى حل هذه المسائل قيل له فما الراى قال شىء من نتائج النطق
التوهم بشركة العقل والتجربة قيل فما السعادة قال نيل النفس طلبتها قيل فما طلبتها قال عودها الى معادها حرية من كل
دنس وكدر خالصة من كل عارض وشوب قيل فما تفسير عودها قال كلمة مشكلة والاشارة دقيقة قال يجب ان يقال
على التقريب عودها انما هو استعمالها وبلوغها غايتها التى كانت قبلها او مقصدها قيل فما الجود قال بذل ما حواه الملك

دعاوه

وما حوته النفس من الحكمة بصفاء من الدرن خالصة من الكدر قيل له فما الظن قال قوة وهم لا دعامة لها من العقل ولا ايد لها من العيان
قيل له فما الوعد قال قول يمانح قلب الموعود بانتظار الخير قيل له فما الوعيد قال قول يخبر بمن توقع المكروه وحلوله قيل له فما الحكمة
قال العلم بحقائق الاعتقاد في العلم والتناهي في الاجتهاد ببذل الوسع في صالح العمل قيل فما العالم قال صنع متقن قال اقديم هو ام محدث فقال
محدث ولكن في هيئة قديم وقديم ولكن في معرض محدث فاما القدم فبحق المماثلة للعلة الاولى والتوشيح الصادر عن الجود الاتم واما الحدوث
فبحق العيان الذي يشهد من ناحية المعلول الثاني قيل فما الدنيا قال لعب ولهو وغفلة وسهو وهي في غيب ظاهر عيان ومعنى
حسن ومفارقة لحقيقة عقل قيل ثم ماذا قال شاهد كذوب وزخرف خلوب قيل ثم ماذا قال موجود ولكنه معدوم وحقيقة ولكنه
باطل وتعظم ولكنه احلام وكون ولكنه في طي اضمحلال واضمحلال ولكنه في طي كون ومتصرم ليشير الى الدوام وغاش في جلباب نصيح وعدو
في ثياب صديق قيل فما الانسان قال شخص بالطينة غريب بالروح جوهر بالنفس اله بالعقل كل بالوحدة واحد في الكثرة فان بالشخص
باق بالنفس ميت بالانتقال حي بالاستكمال ناقص بالحاجة تام بالطلب وحقير بالنظر خطير في الخيرات العالم فيه من كل شيء شيء وله بكل شيء تعلق
صحيح بالنسب الى من نقله من العالم قوي النسب لمن يستفيد عنه اسم لخبر الانسان كثير واسرار عجيبة من عرفه فقد عرف سائر
العالم وما ستره وقد حوى جوهره شبهاً من كل ما عرف ويرى فهو مثال لكل غائب وبيان لكل شاهد هيولى عجيب الشأن شريف المرقاة
غريب الخبر والعيان قيل له فما الشريعة قال هيئة في اخراج الذروة البشرية تصدر عن القوة الالهية وينشئها من النفس لها من
النفس لها خواطر طبيعية واوائل حسية قيل له فما صدر من العلو اشرف لم نشأ من اسفل فقال فاتحة القوة الصادرة من هناك اشرف و
غاية الناهية من ههنا اشرف قال ومما يوضح هذا ان تلك يسير في الزمان بعد زمان لانها في غاياتها تقوى وتصح وتظهر وتثبت وتتمكن و
تثبت وسعادة الشريعة علمية وفيها افتتاح الحكمة وسعادة الفلسفة عملية وفيها حقائق العمل والعلم الالهي والعمل تحت بشري وتلك استصلاح
القلوب النافرة واستجماع النفوس الشاردة الابية وهذه روح للنفوس الكريمة وجلاء للصدور الصدية وارتقاء الى المعارف العلية باليقين الحق و
الرضية وتلك تستقل بجملة مقنعة وهذه تستقل مفصلة موثقة ومتى رام شرعي ان يعرف الطبيعة والنفس والعقل والاول وآثارها و
اسرارها وعيونها ودواعيها وما في اعماقها حتى انتهى اليه وقصر بالدليل عليه وتبطل عزوفه وفجر ينبوع منه لم يجد سبيلاً الى حرفة منها
الا برمز غير شاف وعلامة غير نافعة بالغرض ودعوى غير مثبتة ومتى رام فيلسوف ان يضع ناموساً الهياً نهلاً بالكلمات الصحيحة من
العقول السليمة مجموعاً فيه مصالح البرية قدر على ذلك وقلنا هذا في قديم الدهر عند مسيس الحاجة اليه ثم درس على الايام كما اتى
سائر ما يأتي عليه الزمان وكان جميع ما ثقفناه ولقناه عن الشيوخ في مجالس مختلفة مع جماعة متعاونة فلذلك ما استوسق هذا القدر
الذي ملكته هذه المقابسة وقد بقي شيء يسير وانا احمله بتمامه ان شاء الله تعالى قيل فما الموجود قال ليس فوقه ما ينعت به ولا دونه ما
يحط اليه لانه لو كان فوقه غيره لكان ايضاً موجوداً ولو كان دونه لكان ايضاً موجوداً اعني هذا كما نراه للعين او ثبت الحس او انتصب للنفس
او تحقق بالعقل من غير غرض ولا توهم ولا وضع فهو موجود اما بالقوة واما بالفعل قيل له فما العني قال صورة العقل مشهود
بالحس لتناهي مطلوب بكل غاية محفوظ بكل رعاية موثر بكل ايثار مختار بكل اختيار غاية كل طالب يقين كل شاك وسكون كل قلق
ومحرك متحرك بسيط بالعقل مركب بالحس مظنون بالظن موهوم بالوهم نظام كل موجود وقوام كل معدود وتمام كل مشهود
ثم قال ومن عجائبه ان من حاول اظهار باطل لا يستطيعه ولا يقدر عليه ولا يتمكن منه بوجه ولا بسبب حتى يشوبه بحق ويشبه
منه لا يقبل وهو صرف ولا ينفق وهو بحت هذا يدل على ان هذا العالم الذي هو في هيئة باطل لكونه وفساده مفتقر
الى ذلك العالم الذي هو في حقيقة حق لصحته وتمامه واستقامته والتيامه ولانه لا طريق للكون والفساد اليه هذا اذا
كان المبطل قاصداً للباطل باختياره وحوله وقد يكون للانسان غير هذا الرأي بان يقصد الحق المحض والصواب المجرد فلا

يبلغ ايضا غايته لانه والانشى به اصابه من غير ان يستصحبه او يتزلا وتربه ومن هذا لان الناظر في الحق لما طالب الحق مزوج مركب
مشوب مخالط لا يخلو من شيء من خطيرة العقل الاشرف يلتبس به من ناحية الحس وهو فى الاصل مترجح القبول فذلك ان يجهول عليه متنزل
نعتا بوسائط سوء سمومه كذا او وقع عليه استمر ولهذا يعبر بالتكثر عليه اسهل من التوحد والتوحد عليه اعسر من التكثر ومن لدن ابتدأ
من به ايجاد الحال وتعلق بنفسه من هذا الدنس وهو نور انفس الانسان المقترن بالعقل بهيمية هو بالكثير وسبعية هو بالناظر
هذا الاعتبار يقتضي ان يكون بالاكثر اكثر وبالاقل اقل ولما اتفق بالوجود ان يكون هذا الانسان وحال فى الغاية طالبة لصورة الوحدة هي
الثلاثة وهذه الصورة تتم من الثلاثة واستحال ان يكون مركبا بالنفس لواحدة اعني الناطقة لانها لا تقبل التركيب ولهذا تقبل الاجزاء
العلوية بواطن لانها عادمة المزاج والتركيب والشوق فلما كان الانسان متقوما من جزء ناطق وجزء حي وجزء مايت وكان الناطق
يتم ويقيه ويصله به والحي يحس ويتحرك ويسكن والمايت ينمى ويفسد ويبطل كان جميع ما يحيط بعقله او به او كرحمة او شهوة
مدخولا ناقصا متخفيا متلونا حتى اذا اتوى الجزء الناطق الالهي واختص بما يخصه وملك ما هو اللايق به من العلم الحق والعمل الحق
حينئذ اهمل الجزء الذي اعني ما هو متحرك حساس وما هو ميت باطل وان شئت ما هو بهيمي وسبعي طلب الى افقه العلى و
مكانه البهي خلوه مما يخبره من كل ما عاقه التركيب والتقليب والاستحالة والاستبادة والفساد والدثور وبلغ معاده الذي كانت
منها التعلق به والمصير اليه فالحق المعتقد والخير المؤثر والصواب المتحلي والجود المعتاد والزهد المقام ورفض ما ليس عائد
الفضائل وحجب عنها وحال دونها فلا تزال هنالك باقية بقاء لا اخر له وكيف يكون له اخر وانقطاع وحيلولة وارتجاع وقد
استفاد ذلك البقاء من الحق الاول والموجود الذي ليس قبله موجود بالتشبه والاقتداء والمماثلة والاحتذاء والتحقق و
الارتداء هذا ما لا يجوز ان يظن بحسنه وجهد وان تواتى الشاهد ملكا حكيما اصار شيما سائسا لملكه يرغب كل احد من خدمه
خاصته ورعيته واوليائه فى خدمته وحضور مجلسه فى التشبه به وبأخلاقه وهم طلبا الكرامة منه والحظوة عنده وطلبا القرب
منه والدنو اليه مصروفة الآفات منه بحليه الحرمة ملحاة للامانى عنده وان الاطماع تنقطع منه والجاه والقدرة يظهران به العز
والمجد يسمان عليه وترى كل واحد من الخاصة والعامة يبذل وسعه ويفيد جهده ويسألوا على مكنه الى نيل تلك الحال و
تلك المنزلة وتلك السعادة وتلك الغبطة فاذا كان هذا في المثال الحسي على ما يجده من غير شك ولا مرية فما قولك في الحقيقة التي هي
والغاية الالهية والنهاية الاصلية يا هذا ان الامر لعظيم وان الشان لخطير وان المطلوب لعزيز وما هو الا ان تصمد نحو السعادة بتطهير
الاخلاق وتعديل العادة واصلاح السيرة وتقديم الجد في الراي وقصد العزم بالجزم وتوخي العمل بما المرجوع في العاجل بالثقة وفي
الاجل بالحقيقة مع الاشفاق على تضييع الزمان وتصرم العمر وتقطع انفاس الحياة حتى تلقط المشتري والزهرة بيدك وتخرق حجا
د ونهما بجوهرك وتصير فوقهما بحقيقتك وتنال حينئذ ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا سنح على بال احد من الانس فليكن
حاملكم شكلكم الى الحكمة ميل من يتخذها مطية للدرك الامل فانه سيجدها كنزا نافعا في اخر العمل لا ميل من عاد لها وليبيع بذلك
ويعرضها في اسواق الجهال وينادي عليها بين السفهاء ولا تلاد ويرضى بعرض الدنيا خلفا وبدلا عنها فكل ما كان هذا دابه
فقد انغمس في بحر الشقاء وسقط في شرك البلاء والعناء الذي يرجى له انتزعه ولا للعثرة شفاء ولا لصرعته انتعاش ولا لاسره
فكاك اخذ الله بنواصينا ونواصيكم الى ما املاه للاخيار الابرار بتحولوا عن هذه الدار بحسن الاختيار لا بقهر الاضطرار والسلام

تمت المقابسات ولواهب العقل الحمد سرمدا وصلواته وسلامه وتحياته واكرامه على سيدنا محمد النبي
المبعوث الى الخلق كافة شهادة ان لا اله الا الله ولا معبود سواه ٥٩

فهرست المقابسات

فهرست المقابسات

فهرست المقابسات

فهرست المقابسات

C.P. PRESS.

